



عَبْقَرِيَّاتُ عِمْرَأَ

عباس محمد العفاد

« طبعة جديدة منقحة ومراجعة »



اسم الكتاب: عيانية عمومي
المؤلف: عباس محمود العقاد
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم
تاريخ النشر: الطبعة العاشرة - أغسطس 2006م
رقم الإيداع: 2003 / 5632
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-2106-9

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد مراضي - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434 (02) 3472864 (02) فاكس: 8233462576 موب: 21 إمبابية
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmistr.com

المطبع 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 5984287 (012) - 5338289 (02) - فاكس: 5338276 (02)
البريد الإلكتروني للمطبع: Press@nahdetmistr.com

مركز لتوزيع الرقبي: 18 ش كاسل حدادي - الفيحة -
القاهرة - ص. ب: 96 الفيحة - القاهرة
ت: 5984277 (012) - 5984295 (012) - فاكس: 5984295 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmistr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 488 طريق الحوية (أرشدى)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام - عارف
ت: 2259675 (058)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmistr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



أسستها: أحمد محمد إبراهيم سنة 1998

احصل على أي من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب/CD)
وتمتع بأفضل الخدمات عبر موقع البيع www.enahda.com

جميع الحقوق محفوظة © شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية
أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر

تقديم

تم تأليف هذا الكتاب في أحوال عجيبة هي أحوال بأس وخطر، فلا غرابة بينهما وبين موضوع الكتاب الذي أدركته عليه، لأننا لا نتكلم عن عمر بن الخطاب إلا وجدنا أننا على مقربة من البأس ومن الخطر في أن.

فما شرعت في تحضيره وبدأت في الصفحات الأولى منه؛ حتى رأيتني على سفر بغير أهبة إلى السودان، فوصلت إليه وليس من مراجع الكتاب إلا قليل، وكانت الصفحات الأولى التي كتبتها في القاهرة مما تركته مع المراجع الكثيرة فيها، فأعدت كتابتها في الخرطوم، ومضيت فيه هنالك حتى انتهيت من أكبر شطريه، واستغنيت بمراجع الخرطوم عن المراجع التي أعجلني السفر عن نقلها؛ لأن أدباء السودان وفضلاءه يذخرون جملة صالحة من هذه المراجع، ويجودون بها أسخياء مبادرين إلى الجود، فلا أنكر أنني طلبت كتاباً في المساء إلا كان عندي في بكرة الصباح.

وإني لأتوفر على كتابته، وأحسبني منتهياً منه في السودان، إذ رأيتني مرة أخرى على سفر بغير أهبة إلى القاهرة، فعدت إليها بالطائرة ألتبس العلاج السريع، لأن يدي أوشكت أن تعجزا عن تناول القلم بما عراهما من تأليل «الخریف».

فعدت وما يشغلني عن إتمامه شاغل في السفر والمقام، ولم أحسب هذا البأس في الحاليتين من موانعه وعراقيله؛ لأنني ألفت بعض كتبى الكبار في أحوال تشبه هذه الأحوال، فألفت كتابي عن «ابن الرومي» بين السجن ونذره ومقدماته، وألفت كتابي عن «سعد زغلول» وأنا غير مستريح من كفاحه، وكلاهما من أثر الكتب عندي، وأكبرها في الموضوع وفي عدد الصفحات.

إنما حسبت هذا البأس من مطابقاته وموافقاته، ومن وضع الشيء في موضعه على نحو من الأنحاء، ولم أعدده من حرج التأليف، كما عدته من مهيئات جوه، ولا سيما حين ألفتني أدرس آثار الحركة المهدية، وأتقلب بين

مشاهدها وميادينها، وأستخرج العبرة من القتال بين الراجلين والفيلة في مواقع فارس، ومن القتال بين الراجلين والسفن المسلحة في مواقع الخرطوم وأم درمان، فهذه عقيدة وتلك عقيدة، ولكن العقيدة التي ظفرت كان معها حليف من الغد المأمول، ولم تكن العقيدة التي فشلت على وفاق مع الغد ولا مع الأمل. ولكن الحرج كل الحرج في التأليف، إنما كان في محاسبة عمر بن الخطاب، أوليس الحرج في الحساب أيضاً من العمرية المأثورات؟

فالناس قد تعوبوا ممن يسمونهم بالكتاب المنصفين أن يحبذوا وينقدوا، وأن يقرنوا بين الثناء والملام، وأن يسترسلوا في الحسنات بقدر لئيتقليبوا من كل حسنة إلى عيب يكافئها، ويشفعوا كل فضيلة بنقيصة تعادلها، فإن لم يفعلوا ذلك فهم إذن مظنة المغالاة والإعجاب المتحيز، وهم أقل إذن من الكتاب المنصفين الذين يمدحون ويقدمون، ولا يعجبون إلا وهم متحفزون للملام.

عرض لى هذا الخاطر، فذكرت قصة العاهل الذى تحاكم إلى قاضيه مع بعض السوقة فى عقار، يختلفان على ملكه، فحكم القاضى السوقة بغير العدل؛ ليغنى سمعة العدل فى محاسبة الملوك، وعزله العاهل لأنه ظلم وهو يبتغى الرياء بظلمه، فكان أعدل عادل حين بدا كأنه يحرص على مال مفصوب ويجور على تابع جسور؛ لأنه أنصف وهو مستهدف لتهمة الظلم، وقاضيه قد ظلم وهو يتراءى بالإنصاف.

قلت لنفسى: إن كنت قد أفدت شيئاً من مصاحبة عمر بن الخطاب فى سيرته وأخباره، فلا يحرجنك أن تزكى عملاً له كلما رأيته أهلاً للتركية، وإن زعم زاعم أنها المغالاة، وأنه فرط الإعجاب.

وهذه هى الأسوة العمرية فى الحساب.

فالحق أننى ماعرضت لمسألة من مسائله التى لخط بها الناقدون إلا وجدت على حجة ناهضة فيها، ولو أخطأ الصواب.

وإن أعسر شئ أن تحاسب رجلاً كان أشد أعدائه لا يبلغون من عسر محاسبته بعض ما كان يبلغه هو فى محاسبة نفسه، وأحب الناس إليه.

ذلك رجل قل أن يجور عن القصد وهو عالم بجوره، وقل أن يتيح لأحد أن

يكسب دعوى الإنصاف على حسابه، إلا أن يكسبها أيضاً على حساب الحق والنقد الأمين.

فإذا عرفت منحاه من الخلق والرأى، وسلمت له مزاجه ووجهة تفكيره، فكن على يقين أنه لن يتجافى عن النهج السوى، ولن يتعلق بأمر يعدوه المصالح ويشويه السوء.

وذاك أخرج الحرج الذى عانيت فى نقد هذا الرجل العظيم، وتلك حيلة معه إن لم يستفدها الكاتب وهو مشغول بعمر ونهج عمراً فشغله عبث زاهب فى الهواء.

وعلم الله لو وجدت شططاً فى أعماله الكبار، لكان أحب شىء إلى أن أحصيه وأطنب فيه، وأنا ضامن بذلك أن أرضى الأثر وأرضى الحقيقة، ولكنى أقولها بعد تخصيص لا مزيد عليه فى مقنورى: إن هذا الرجل العظيم أصعب من عرفت من عظماء الرجال نقداً ومؤاخذاً، ومن فريد مزاياه أن فرط التخصيص وفرط الإعجاب فى الحكم له أو عليه يلتقيان.

وكتابى هذا ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ لعصره على نمط التواريخ التى تقصد بها الحوادث والأنباء، ولكنه وصف له، ودراسة لأطواره، ودلالة على خصائص عظمته، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة، فلا قيمة للحدث التاريخى جلّ أو دقّ إلا من حيث أفاد فى هذه الدراسة، ولا يمنعنى صغر الحادث أن أقدمه بالاهتمام والتتويه على أضخم الحوادث، إن كان أوفى تعريفاً بعمر، وأصدق دلالة عليه.

وعمر يعد رجل المناسبة الحاضرة فى العصر الذى نحن فيه^(١)؛ لأنه العصر الذى شاعت فيه عبادة القوة الطاغية، وزعم الهاتفون بدينها أن البأس والحق نقيضان؛ فإذا فهمنا عظيماً واحداً كعمر بن الخطاب، فقد هدمنا دين القوة الطاغية من أساسه؛ لأننا سنفهم رجلاً كان غاية فى البأس، وغاية فى العدل، وغاية فى الرحمة.. وفى هذا الفهم تريقاق من داء العصر يشفى به من ليس بمينوس الشفاء.

وإنه لجهد جديد لعمر بن الخطاب، يطيب لنا أن نوجزه فى كتاب.

عباس محمود العقاد

(١) يعنى سنة ١٩٤٢، والحرب العالمية مشتعلة بين النازية والشيوعية وبين الديمقراطية.

عبقري



«... لم أر عبقرياً يفري فريه»^(١)»

كلمة قالها النبي عليه السلام في عمر رضي الله عنه، وهي كلمة لا يقولها إلا عظيم عظماء، خلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال.

فمن علامات العظمة التي تحيي موات الأمم: أن تختص بقدرتين لا تعهدان في غيرها، أولاهما: أن تبتعث كوامن الحياة، ودوافع العمل في الأمة بأسرها، وفي رجالها الصالحين لخدمتها، والأخرى: أن تنفذ ببصيرتها إلى أعماق النفوس، فتعرف بالبدية الصائبة والوحي الصادق فيم تكون عظمة العظيم، ولأى المواقف يصلح، ويأى الأعمال بضطلع، ومتى يحين أوانه، وتجب ندبته^(٢)، ومتى ينبغي التريث في أمره إلى حين.

كلتا القدرتين كان لهما الحظ الوافر في سيرة عمر بن الخطاب.

فأين - لولا الدعوة المحمدية التي بعثت كوامن العظمة في أمة العرب - كنا نسمع باین الخطاب؟ وأى موضع له كان من مواضع هذا التاريخ العالمي الذي يزخر بكبار الأسماء؟

إنه الآن اسم يقترن بدولة الإسلام ودولة الفرس ودولة الروم، وكل دولة لها نصيب في التاريخ، فأين كنا نسمع باسم عمر لولا البعثة المحمدية؟

لقد كان ولا ريب خليقاً أن يستوى على مكان الزعامة بين بني عدى آلہ الأقربين أو بين قريش قبيلته الكبرى، ثم ينتهي شأنه هناك كما انتهى شأن زعماء آخرين، لم نسمع لهم بخبر؛ لأنهم عظموا أو لم يعظموا، يعطون البيئة كفاء ما تطلب من جهد ودراية، وهي تطلب منهم ما يذكرون به في بيتهم، ولكنها لا تطلب منهم ما يذكرون به في أقطار العالم البعيد.

(١) فري الجلد: قطعه ليصلحه، وفري الفري أتى بالعجب، والمعنى: أن عمر عبقرى منفرد في عمله، فلا يقدر أحد على أن يصنع مثل صنيعه.

(٢) اسم من تدبى للأمر، أى: دعاء.

وقد كان عمر قوى النفس، بالغاً في القوة النفسية، ولكنه على قوته البالغة لم يكن من أصحاب الطمع والافتحام، ولم يكن ممن يندفعون إلى الغلبة والتوسع في الجاه والسلطان بغير دافع يحفزهم إليه وهو كاره؛ لأنه كان مفطوراً على العدل، وإعطاء الحقوق، والتزام الحرمات ما التزمها الناس من حوله، وكان من الجائز أن يهيجه خطر على قبيلته أو على الحجاز ومحارمه المقدسة في الجاهلية؛ فينبى لدفعه، ويبلى في ذلك بلاء يتسامع به العرب في جيله ويعد جيله، ولكنه لا يعدو ذلك النطاق، ولا هو يبالي أن يمعن في بلائه حتى يعده.

بل كان من الجائز غير هذا وعلى تقيضه.

كان من الجائز أن تفسد تلك القوة بمعاقرة الخمر والانصراف إليها؛ فإنه كان في الجاهلية كما قال «صاحب خمر يشربها ويحبها»، وهي موبقة^(١) لا تؤمن حتى على الأقرباء إذا أدمنوها، ولم يجدوا من زواجر الدين أو الحوادث ما يصرفهم عنها، ويكفهم عن الإفراط في معاطاتها.

فعمر بن الخطاب الذي عرفه تاريخ العالم وليد الدعوة المحمدية دون سواها. بها عرف وبغيرها لم يكن ليعرف في غير الحجاز أو الجزيرة العربية.

أما القدرة الأخرى التي يمتاز بها العظيم الذي خلق لتوجيه العظماء، فقد أبان عنها النبي عليه السلام في كل علاقة بينه وبين عمر من اللحظة الأولى، أي من اللحظة التي سأل الله فيها أن يعز به الإسلام، إلى اللحظة التي ندب فيها أبا بكر للصلاة بالناس وهو - عليه السلام - في مرض الوفاة.

سير غوره، واستكنه عظمته، وعرفه في أصلح مواقفه؛ فعرف الموقف الذي يتقدم فيه على غيره، والموقف الذي هو أولى بتقديم غيره عليه.

وليسست هي مفاضلة بين رجلين ولا موازنة بين قدرتين.. ولكنها مسألة التوفيق بين الرجل والموضع الذي ينبغي أن يوضع فيه، والمهمة التي ينبغي أن يندب لها، والوقت الذي يحين فيه أوانه.

وربما رأينا في زماننا هذا رئيساً يوصى لنصير من أنصاره بالوزارة، ويوصى لغيره بقيادة الجيش، فلا نقول إنه يفاضل بين النصيرين، أو إنه يرجح

(١) موبقة: مهلكة.

أحدهما على الآخر فى ميزان الكفاءة، وإنما يختار كلاً منهما لموضعه فى الوقت الذى يحتاج إليه، ولا غضاضة على أحد منهما فى هذا الاختيار.

فالنبي عليه السلام كان يعلم من هو أبو بكر ومن هو عمر، وقد عادل بينهما أجل معادلة حين قال: «إن الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَحِيمٌ﴾ ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ومثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾، ومثلك كمثل موسى قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾».

كان النبي عليه السلام يعلم - كما قال - أن عمر أشد المسلمين فى الله، ويعلم أن فى أبى بكر ليناً وهواة؛ فجمع للإسلام المزيتين حين اختار أبا بكر للصلاة، وضمن هذا الاختيار معنى من معانى الاستخلاف، أو كما جاء فى بعض الروايات أنه نص على استخلاف أبى بكر بالقول الصريح.

فتعزيز الإسلام بعد نبىه كان فى حاجة إلى كثير من الهواة والمجاوزة، وكان كذلك فى حاجة إلى كثير من الشدة والصرامة. وإن تذهب شدة عمر إذا احتاج إليها أبو بكر فى محنة يشد فيها اللين الوديع، إنما الخوف أن يذهب لين أبى بكر إذا اشتد عمر، ولاخوف من أن يلين عمر وأبو بكر شديداً فإن الموقف إذا استنفذ حجج الرحمة حتى يلجأ فيه أبو بكر إلى البأس ويصر عليه، فأقرب شىء أن يعدل عمر عن لينه، وأن يثوب إلى المعهود من صرامته ولده^(١).

وكان النبي عليه السلام يعلم أن احتمال التبعة أو «المسئولية» خليق أن يبذل أطوار النفوس فى بعض المواقف والأزمات، فيجنح اللين إلى الشدة ويجنح الشديد إلى اللين؛ لأننا إذا قلنا إن رئيساً أصبح يشعر بالمسئولية، فمعنى ذلك أنه أصبح يراجع رأيه فلا يستسلم لأول عارض يمليه عليه طبعه، ولايقنع باللين أول

(١) اللد: شدة الخصومة.

وهلة إذا كان من دأبه اللين، ولا بالشدة أول وهلة إذا كان من دأبه الشدة. ومن هنا ينشأ الاختلاف بين مرقف الرجل وهو مسئول، وموقفه وهو غير مسئول.

وهذا الذى ظهر أعجب ظهور فى موقفى الصاحبين من حرب الردة؛ فإن عمر الشديدي قد أثر الهوادة، وأبا بكر الرقيق قد أثر القتال وأصر عليه. وكان عمر يقول: «إن رسول الله كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة؛ يمدّه الله بهم، وقد انقطع ذلك اليوم»، ثم يقول للخليفة: «الزم بيتك ومسجدك، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب».

وكان أبو بكر يقول متسائلاً: «إن كثر أعدائكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب؟ والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون، قوله الحق، ووعد الصديق: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.. والله أيها الناس، لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه، واستعنت عليهم بالله وهو خير معين!».

هناك بلغت التبصرة بوجوه الرأى المختلفات غاية مداها، وجاء عمر بقصارى ما عنده من حجج الرأى الآخر حتى وضحت المناهج، واستقر العزم، والتقى الصاحبان عليه، فكانت شدتهما فى الحق شدتين.

وهب الأمر مع هذا قد اختلف فى موقف الصاحبين، فمال أبو بكر إلى السلم والمسامحة، فأين كانت شدة عمر ذاهبة عنه فى هذه الحال؟ أغلب الظن أنه هو الذى كان يتولى يومئذ أن ييسط وجه الشدة فى معاملة المرتدين؛ لأنه يعلم أنه المسئول عن بسط هذا الوجه دون غيره، فلا تقوت الإسلام مزية من مزايا الصاحبين.

إن محمداً عليه السلام قد عرف من هم رجاله، وما هو الموقف الذى هم مقبلون عليه بعد وفاته، فعرف الموضع الذى يضع فيه كلاً منهم، والعمل الذى يتولاه خير ولاية فى ذلك الموضع، ولم يفته أن يحسب حساب التبعة، وما فى احتمالها من ضمان للأخلاق الصالحة والعقول الراجحة، وأبو بكر وعمر من خيرة أصحاب هذه الأخلاق وهذه العقول.

ولا يحسن حاسب أننا نفسر الأمور بما كشفتته لنا الحوادث بعد وقوعها،

ولم يكن مقصوداً في النيات قبل ذلك، فإن الذي يحسب هذا الحسبان يخطئ تلك الخطأة الشائعة، التي لا تثبت على أقل نصيب من الروية والمراجعة، يخطئ في وهمه خطأة الذين يتخيلون أن هذه السياسات العالية من بدع الزمن الأخير، وليست هي من البدع في زمن كان؛ لأن العظمة لم تكن قط وفقاً على العصر الحديث، ولا سيما العظمة التي ترجع إلى الفطرة القويمة، والبديهة النافذة، والنظر السديد.

فكل هذا التقدير الذي أجملنا شرحه، كان تقدير قصد وتدير، وكان مفهوماً على البدهة بين ولاة الأمر في تلك الآونة، ملحوظاً بينهم في مناجاة النيات، قبل أن نلاحظه نحن في عصرنا هذا من تفسير حوادث التاريخ.

وإلى ذلك أشار عمر في قول صريح، حين قال لمن هابوه وتحذثوا بخوف الناس منه: «بلغني أن الناس هابوا شدتي، وخافوا غلظتي، وقالوا: قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا بونه، فكيف وقد صارت الأمور إليه؟ ومن قال ذلك فقد صدق، فقد كنت مع رسول الله ﷺ فكنت عبده وخادمه، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة، وكان كما قال الله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، فكنت بين يديه سيقاً مسلولاً حتى يغمدني أو يدعني فأمضي، فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك، حتى توفاه الله وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد، ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر، فكان من لا ينكر دعتة وكرمه ولينه، فكنت خادمه وعونه أخلط شدتي بلينه، فأكون سيقاً مسلولاً حتى يغمدني أو يدعني فأمضي، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عز وجل وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد، ثم إنني قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت^(١)، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والقصد، فأنا ألين لهم من بعض لبعض...».

بل ظهرت آثار الشعور بالتبعة بعد موت النبي، والحال على أشده في يوم السقيفة، والمسلمون مختلفون على من يلي الأمر بعد محمد، حتى قيل فيما قيل: من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير!

(١) أضعفت زادت أضعافاً.

فهى تلك المحبة لى شخص فيها لأنصار، ونعظم التبعات، وتوى رلة
اسمعه فيها بالكثير لى لا يسدركه لأعوام، كن عمر الحار الشديد خشى
يوادر الحدة من أى بكر، ويهى لكلام الير لعالج لأمر دلهو والنودة،
ويقول فما روه عن محنته دك اسوم «وكنت أد رى منه بعض الحد - أى
الحدة - فلما ردت أن أتكم قال أبو بكر على رسلك فكرهت أن أغضسه،
فتكم أبو بكر فكان هو أحتم منى وأوفر».

عمر الحار الشديد حائر من بوادر أبى بكر، وأبو بكر الحليم الوديع بكف
عمر عن الكلام، فيصيح

هؤلاء رجال يعرفهم صاحبهم، وهذه مواقف يعرفها صاحبها، وهذه مسألة
فصل فيها لزم، ولم يبق لنا نحن الدين نعود إليها ونستخلص عبرتها إلا أن
نراقب ما فيها من آيات الإعجاز، وسوايق النظر العبد.

ما وضع أبو بكر خيراً من موضعه، وهو بى الإسلام والخطر من داخل
أهله، والطب الذى يطبهم به هو صب لسلف والإحجام عن السطوة ما كن لى
الإحجام عنها سبيل.

وم وضع عمر خيراً من موضعه وهو بى الإسلام ولخطر عليه من أعدائه
المحذقين به، والطب الذى يطبهم به هو طب الصلابة والحزم لى لا يكل^(١)
عن صراع

وكانما توقع النبى عليه السلام ن أيام أبى بكر معدودات، ولكنها الأيام
اللى تحتج إليه، وتكفى لإنجاز عمله، وتوقع أن يأتى عمل عمر فى حيه
المقدور، فلا يفوت الإسلام أن يستمع بمقدرته فى عهد أبى بكر ولا فى عهده،
بقول هذا على الترجيح، ومن حقنا أن نقوله على التوكيد لأن حدث النبى فيه
على التخمين والتأويل قل عليه السلام «رأيت فى المنام أنى أنزع بدلو
مكة على قلب^(٢)، فجاء أبو بكر فزع ذوباً^(٣) أو ذنوبين برعاً صعيماً، ولنه
يعفر له، ثم جاء عمر بن لخطاب فاستحالت عرباً^(٤)، فلم أن عبقرياً يفرى فريه،
حتى روى الناس وضربوا عطن^(٥)».

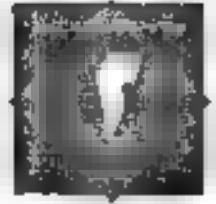
(١) يكل، مجى. (٢) قلب نكر (٣) ذوباً نكر (٤) عرب لربو لعلامة (٥) عطن مره لاس حور لنام.

وفهم فقهاء الإسلام أن ضعف الترع هو قصر الله، وبصرف العرم إلى حرب الردة، وأن قبض لرى على يد عمر هو قبض العبقرية التي يفسح لها الأجل، وينفسح أمامها مداخل نعم، ويؤنى لها من السبق ما لا يؤنى لعبير العبقرين.

ولنا أن نفسير العبقرية بمعناها الذي يفهمه الأقدمون، أو بمعناها الذي نفهمه نحن المحدثين، فكلا المعنيين مستقيم في وصف عمر بن الخطاب أتراف على كلا المعنيين شيئاً غير استقره ولسبق والابتكار؟ كلا، ما للعبقرية مدلول يخرج عن صفة من هذه الصفات ومن يكتب تاريخ عمر فقد يجد في النهاية أنه يكتب تاريخاً «الأول من صنع كذا، وأول من أوصى بكذا» حتى ينتهى بسرد هذه «الأوليات» إلى عدد العشرات.

وتلك هي العبقرية، التي لا يفري قريبها أحد، كما قال صاحبه وأعرف الناس به، صوات الله عليه.

رجل ممتاز



يوصف عمر بالعبقريه إذ نضرب إلى أعماله، ويوصف بها إذ ضربا إلى تكوينه الذي جعله مستعداً لتلك الأعمال، مصطبغاً بتلك القدرة، وإن لم يكن من اللام التلرب ن تقترب القدرة بالعمر الذي نستطيعه، لما يتفق أحياناً من وهوب لعوائق بينها وبين الإبحار أو الاتجاه إلى ذلك العمل.

إلا أن عمر كان رجلاً ممتازاً بعمله، ممتازاً بتكوينه، وكان وفاء شرط لامتيار ولنفرده في عرف لأقدمين والمحدثين، من المؤمنين بدينه وغير المؤمنين.

إذ وصفته للأقدمين الدين يقيسون العبقريه بالفرسة والخبرة، عرفوا من صفت أن الذي يوصف لهم رجل ممتاز، أو رجل سبيح وحده^(١).

وإذا وصفناه للمحدثين الذين يفسون العبقريه بالعلم، أو مشاهدات لعما، عرفوا من تلك، لصفه أنه رجل ممتاز، أو رجل موهوب.

كانت بضرة إليه - قبل السماع بعمل من أعماله - توقع في الروح^(٢) أنه من معدن في الرجال غير معدن السواد^(٣)، وأنه جدير بالهبة والإعظام، حقيق أن يحسب له كل حساب.

كان مهيباً رائعاً، المحصر حتى في حضرة النبي الذي تنطق من عنده الجبه، وأولها جبهة عمر.

أذن النبي يوماً لجارية سوداء، أن تقى بندرها «لنضرب يدها فركاً أن رده لله سداً»، فشن لها عليه لسلام أن نصرب بالدف بين يديه.

ودخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، و أصحابه مجتمعون.

فما هو إلا أن دخل عمر حتى وحمى الحارية وأسرعت إلى دفاها بحفيه، والنبي عليه السلام يقول: «إن لشخصاً ليحاف مثل ياعمر»

(١) سبيح وحده لا نظير له

(٢) الروح العقل أو القلب

(٣) سواد أساس عوامهم

وروت السيدة عائشة رضي الله عنها أنها صبحت له عليه السلام حريرة^(١)، ودعت سودة أن تكل منها فأتت، فعمرت عليها، لتأكلن أو لتطحن وجهه، فلم تأكل، فوضعت يدها في حريرة ولطحنها بها. وصحك النبي عليه السلام وهو يضع حريرة بيده لسودة، ويقول لها «لصحي أئت وجهه» هففت،
 ومر عمر بناداه النبي «باعد لله» وقد ظن أنه سيدخل، فقال لهما «قوموا فاعسلا وجهيكما».

قالت لسيدة عائشة فما زلت أهاب عمر لهية رسول الله ﷺ إياه،
 ومن تلك لهية أنها كانت رضي الله عنها تتحفظ في زيارة قبره بعد موته، وحكت ذلك فقالت «ما زلت أصعب حماري وأتفصل^(٢) في ثيابي، وأقول، إنما زوجي وأبي، حتى دفن عمر بن الخطاب، فلم أرل متحفظة في ثيابي حتى بنت بيني وبين القبور جداراً فتفضلت بعد».

وإن من أدب الرسول عليه السلام أنه كان يرمي تلك الهبة رصاً عنها، واغتصب أثره في نصرة الحق وهزيمة الباطل، وتأمين الخير والصدق، وإخافة أهل البغي والبهتان.

وقد كان الذين يعرفون عمر أهيب له من الذين يجهلونهُ، وذلك علامة على أن هيئته كانت قوة نفس تملأ الأفتدة قبل أن تملأ الأضرار. فربما احترأ عليه من لم يعرفه ومن لم يختبره. لتحافيه عن الخيلاء، وقلة، كثرته للمطهر ولثياب، أما الذين عرفوه وختبروه فقد كان يروعهم على لفحأة روعة لا تذهبها الألفه وطول المعاشرة، ومن ذاك أنه كان يمشي ذات يوم وحشفه عدة من أصحاب رسول الله، إذ يد له بالنعف، فلم يبق منهم أحد، لا وحمل ركبته ساقطاً!

وتدحرج عمر والحمام يقص له شعره، هدهش الحجام عن نفسه، وكاد أن يغشى عليه، فأمر له بأربعين درهماً.

فهذه هيبة من قوة النفس قبل أن تكون من قوة الحسد، إلا أنه مع هذا كان في منظر الجسد رعباً يهول من يراه، ولا يذهب الخوف منه إلا الثقة بعدله وتقواه.

(١) الحريرة هي: دقيق يصنع من لبن فتكون حساءً

(٢) التفصل: ليس الفضال، وهو الشوب يابس في البيت للحمة أو النوم

كان طويلاً نائن، لصول يرى مشياً كأنه راكب، جسيماً صلباً يصرع لأقوياء، ويروض العرس بغير ركاب، ويتكلم فيسمع السمع منه وفاق ما رأى من نفاذ قول وفصل خطاب.

تشهد العيون كما تشهد القلوب أنه لم يعد العظمة، أو معدن العبقريّة والامتنياز بين بني الإنسان، وللمحدثين علامات في العبقريّة تتصل بالتكوين، وتركيب الخلقة كما تتصل بمدلول الأخلاق والأعمال.

فالعالم الإيطالي «بومبرورو» ومدرسته التي تأتّم برأيه يقررون بعد تكرار النحرمة والمقارنة، أن للعبقريّة علامات لا تخطئها على صورة من الصور في أحد من أهلها.. وهي علامات تتفق وتتناقض، ولكنها في جميع حالاتها، صورها بمط من اختلاف التركيب ومديته للونيرة العامة بين أصحاب التشابه والمساواة

فيكون لعبقري طويلاً بين الطول، أو قصيراً بين القصر، ويعمل يده ليسرى أو يعمل بكتب اليدين، ويفت لظفر بفرارة شعره، أو بوزارة لشعر على غير المعهود في سائر الناس، ويكثر بين العبقرين من كل طراز حيشان لشعور، وفرط الحس، وعراية الاستجابة لطوارئ، فيكون فيهم من فرط سوريته^(١)، كما يكون فيهم من يفرط هدوءه، ولهم على الجملة ولع بعالم الغيب وخفيا لأسرار على نحو يلحظ تارة في الركبة^(٢)، ولفراسة، وقدرة في النظر على البعد، وتارة في الحماسة لدينية، أو في الخشوع لله

ومهما يكر من الشك في استقصاء هذه لعلامات، والمطابقة بين تفصيلاتها وبين بواقع، فهي بلا ريب صادقة في حالات، مقربة في حالات، غير أهل في كل حال للبصديق التام، ولا تسعد البصيرة، ولا سيما عندما تتفق فيها الطواهر والبواطر، وتتلاقى فيها ملاحظات العماء وشواهد، لعرف المذثور.

وهي عمر بن الخطاب من هذه العلامات كثير

كان كما تقدم طويلاً يمشى كأنه راكب، وكان أعسر يسراً^(٣)، يعمل بكتب بديه، وكان أصم خفيف بعارصين، وكان كما وصفه علامه وقد سألّه لال

(٢) لركابه والعريسة أن يض لشخص فصب

(١) سورة سلطس سطوته، وعذائه

(٣) الأعسر اليسر الذي يعمل بكتب بديه

كيف تجدون عمر؟ فقال خير الناس، إلا أنه إذا عصب فهو أمر عظيم
وكان سريع البكاء إذا حاشت نفسه بالخشوع بين يدي الله، وأثر البكاء في
صفحتي وجهه، حتى كان يشاهد فيهما حطان أسودان.

ومن فرط حسه وتوفيق شعوره أنه كان يميز بين بعض المذوقات والمشمومات
التي لا تسهل التمييز بينها، سبقه علامة ذات يوم ببها أنكره، فسأله وبك من
يُن هذا اللبن؟ قال الغلام بن الدقة انفلت عليها ولدها، فشرب لها، فحبت
لك دقة من حال الله.

وقد عرفنا أهل النادية، وعرفنا أنهم جميعاً أنصب إبل وألبن، ولكننا لم
نجد منهم إلا قليلاً يدعون أنهم يفرقون بين بن الدقة، ولبن غيرها هذه التفرقة
السريعة، ولا سيما في لمدخ الواحد والمرعى المتقارب.

وكانت به فرائسه عجيبة بادره يعتمد عليها، ويرى أن «من لم يدفعه ظنه لم
يغفره عيبه». وبروي به في أمر هذه الفراسة زوبات قد يصدق منها لقليل،
ونسرب لمباغة إلى كثير، ولكنها على كلتا الحالتين تبث بحقيقة لاشك فيها،
وهي أنه اشهر بالفرسه وحب القرس، والاسبساط ماسطرة العرصة، فمن
دلت أنه كان حائساً فمر به رجل حميل، فقال ما معناه أحسبه كان كاهنهم في
لحاللية، فكان كذلك!

ومنه أنه أنصر أعربياً برلاً من جبل، فقال هذا رجل مصاب بولده، قد نظم
فيه شعراً لو شاء لأسمعكم، ثم سأل الأعرابي من أين أقست؟ فقال من أعلي
لجبل فسأله وما صنعت فيه؟ قال ودعته وبيعة لي فل، وما ودعته؟ قال بني
بي، فلك قدفتته، قل فأسمعنا مرثيتك منه، فقال وما يدريك يا أمير المؤمنين؟
فوالله ما تفوهت بذلك، وإنما حدثت به نفسي، ثم أشد أبيات حتمها بقوله

فأحمد لله لا شريك له في حكمه كان ذا وفي قدره
قدر موت على لعاد فما بقدر خلق يزيد في عسره
هكي عمر حتى بر لحيته، ثم قال صدقت يا أعرابي.

وكان عمير بن وهب الحمصي وصفوان بن أمية يذكر مصاب أمر سر،
فقال صفوان والله ما إن في العيش بعدهم حسر، فوافقهم عمير وهو يقول

كالمصدر من خلفه عن الشر أم والله بولا دين على يس له عدى هضب،
وعيال أخشى عليهم الصيغة بعدى، لركنت إى محمد حتى أفته.

فقال صفون يحرضه على دينك، أن أقصيه عدك، وعياك مع عيالي
أو سبهم ما بقو، ولا يسعنى شيء ويعجز عنهم.

فوقع كلامه من نفس عمير فأسر إليه بعزمه على لغدر بالبي، وشحن سيفه
وسمه، ثم أطلق حتى قدم المدينة

فما نظر إليه متوشحاً بالسيف حتى أوحس منه وهمس لمن معه هد الكلب
عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشر، وهو لدى حرش بيننا وحزرت^(١) للقوم
يوم بدر. ثم دخل على النسي فأخبره خبره، وعاد إلى عمير فأخذ بحمالة سيفه
فى عنقه قلبه^(٢) بها، وقال لرجال من الأنصار ادخروا على رسول الله ﷺ
فجلسوا عنده واحدروا عليه من هذا الحديث فيه غير مأمون، ثم دخر به على
رسول الله، فلم رآه وعمر أخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال: «أرسلك يا عمر، ابن
يا عمير».

وجع رسول الله يسأل عميراً وهو يراوغ، حتى صاقب به مناقب الإنكار
هب ح بسره، وأعلن الإسلام والتوبة

هذه الفرسية وشبهاتها هى صرب من استيحاء العيب، واستبطا لأسرار
بالطر الثاقب، وم من عجب أن يكون هذه، لحصلة فرسة من هراتن العبقرية
فى حاشية من حواشيه،، إدام هى العبقرية فى بابها كئ ما كس عمل
المصنف بها؟ ما هى الحكمة، العبقرية؟ ما هو الفن العبقري؟ ما هو دهاء
السياسة فى النهاية العبقرين؟ من هو

الألعى الذى بظن بك انظن كأن قد رأى وقد سمعا
كل أولئك يلتقى فى هبة واحدة هى كشف الخفاء، واستيضاح النواطن،
واستخراج المعانى لى تدق عن الألأاب، فتصالح بالفراسة وشبهاتها 'مر
لا عجب فيه، ولا انحراف به عن الحق الذى تنتحيه.

والذى يغيب من الفراسة وشبهاتها فى صدد الكلام عن عمر رضوان الله

(٢) به جمع شبهه عند تحريكه ثم جره

(١) حرر النسي قدره بالحمس

عليه، أن يحصى بحصال الأخرى التي هي كافر سه هي هذا الاعتبار، وهي التفاضل والاعداد بالرؤيا، وانضر أو الشعور عني البعد أو «لغائى» كما يسميه النفسانيون المعاصرون، ولكل أولئك شوهد شتى مما روى عن عمر في جاهليته وبعد إسلامه، إلى أن أدركته الوفاة.

جاءه رسول من مبدان بهوت فسأله ما اسمك؟ قل قريب، وسأله مرة أخرى من؟ قل ابن ظفر، فتدغل وقال: ظفر قريب من شيء الله، ولا قوة إلا بالله ودوى يحيى من سعيد أن عمر سأل رجلاً ما اسمك؟ قال حمرة. فسأله من؟ قال ابن شهاب. فسأله ممن؟ قل من الحرقعة وعاد يسأله ثم ممن؟ قال من بنى ضرام وهكذ في أسئلة ثلاثة أو أربعة عن مسكنه ومرقعه، والرجل يحب بما فيه معنى لبار ومرادفتها، حتى استوفى، فقال عمر أدرك أهلك فقد احترقوا.

وقد يكون التأليف ظهراً في هذه القصة، ولكنها مع تأليفها، لا تحو من الدلالة على شهرة عمر باستكده الألفاظ في معرض التفاضل أو لإدار، أما الرؤيا فأحر ما روى عنه من أحبرها، أنه رأى هبل مقلته كأن ديك بقره بقرين، فقال يسوق الله إلى الشهادة ويقبلنى أعجمى هان الذبك في الرؤيا يفسر برجل من العجم.

عسى أن المكاشفة أو الرؤيا Vision كما يسميها النفسانيون المحدثون، إنما تظهر بأجلى وأعجب من هذا كثيراً هي قصة سارية الشهورة، وهي مما يحفه أولئك النفسانيون بهية التلغاثى Telepathy، أو الشعور البعيد.

كان رضى الله عنه يخطب بالمدينة خطبة الجمعة، فالتفت من لخطبة، ويأدى بأسرنة من حصن، الجبل - لحبل. ومن استرعى الدب ظلم.

علم بفهم لسامعون مرده، وقضى صلاته، فسأله عني رضى الله عنه ما هذا لدى ناديت به؟ قل أو سمعته؟ قال نعم، أت وكل من في لمسجد

مقال وقع في خلدى أن لمشركين هزموا إخوان وركبوا كتمهم، وأنهم بمرون بجبل، فبن عدلوا إليه قاتلوا من وجوه وضعروا، وإن حاوروه هلكوا، مخرج مى هذا الكلام

وجاء البشير بعد شهر، فذكر بهم سمعوا هي ذلك اليوم، وثلاث الساعة حين
جاوزوا الحبل صوتاً يشبه صوب عمر، يقول، ياسارية بن حصن، الحسن..
لجل! فعدك إليه مفتح الله عينا.

ولا دعى لحزم بنى هذه القصة استدداً إلى العقر أو إلى لعم أو إلى
التجربة لشائعه، فإن العقل لا يمنعها، والعلماء النفسانيون في عصرنا لا يتفقون
على نفسها، ونفى أمثالها، بل منهم من مارسوا «التلثي» وسجوا مشاهدته،
وهم محدون لا يؤمنون بدين، إلا أن المهم من بنى هذه لفصة في هد الصد،
أن عمر كان مشهوراً بين معاصريه بمكشفة الأسرار العيبية، بما بالفراسة،
أو الظن الصدق، أو الرؤية، أو لنظر العبد، وهي الهسات التي يحقها
بالعبرية علماء العصر الذين درسوا هذه، لمرية الإنسانية النادرة، ورقوها،
وأكثر من المقارنات فيها، واستعقيات عليها.

فهو رجل نادر بما تراه منه لغير، نادر بما تشهد به الأعمال والأخلاق،
نادر في مقاييس الأقدمين ومقاييس المحدثين.

أو هو رجل ممتاز وعقري موهوب في جميع الآراء

صفاته



بحر على هذا أمم رحر لا كالحل ربح عبرى، أو رجل ممتر من حصه
لحلقة لدين لا يعدون في الرمن الواحد بأكثر من الأحاد

تقوى رجل قوى؟ نعم هو رجل قوى لا مرأى، وكل عظيم فهو قوى بمعنى من
معنى القوة. نعلم هذا، فنعلم الشيء المهم عنه، ولكن بعد هذا لا نعلم شيئاً
مهماً عن صفته وأخلاقه، لأن الناس من حيث القوة أقوياء وضعفاء، أو
متوسطون ومنحرفون، إلى هذا تارة، وإلى هناك تارة أخرى، أما من حيث
الصفات والأخلاق، فهم ألوف وألوف، وهم في قوتهم أو ضعفهم أنماط
لا تحصى من المناقب والعيوب، وأخرى بنا أن نقول إن القوة صفة نسيئة من
حمة منقب لإسنان وعيوبه فهي حالة تدل عليها المناقب والعيوب، أو تدل
عليها الصفات والأخلاق، وليست هي بالحالة التي تدل على منقب لإسنان
وعيوبه، وتهدينا بغير هادٍ إلى صفته وأخلاقه.

فبذقت إن عمر بن لخصب رجل قوى فما زدت على أن تقول إنه رجل
عبرى، أو إنه رجل عظيم

وكل رجل من هذا القبيل، معرفته ليست بالأمر سسير لأنه بمط لا يتكرر،
فيسهل فهمه بالقياس إلى أمثاله الكثيرين وقد يكون الرجل العظيم بمطاً
وحيداً في التاريخ كله لا يطير له في بعض أمثاله وصفاته وإن ساواه في
النقد أبعاد وقرباء.

وعمر بن لخصب مثل هذا من أمثلة هذا الطراز الفريد، تفهم سره، فإيا هو
على وفاق مع جهره، وتتعد إلى بصره فإيا هو مصدق لظهور من سيماء^(١).

فهل حسب العقدة بهذا التقريب بين الظاهر والباطن، وبين الجهر والسريرة؟
كلا، ولا تقديماً بعيداً في طريق حبه، لأن لا يعرف هذا التقارب إلا بعد معرفة

(١) سيماء علامته، وبراء ما شتهر به

السريرة التي نحدث عنها، فلا بد إذن من البحث، ولابد من المعرفة، فإذا وصلنا إلى الغور البعيد عرفنا سبب اعتد أنه لا ينقض الطاهر المكشوف، ولكن لابد من الوصول إلى الغور البعيد قبل ذلك

لا تناقض في جلائق عمر بن الخطاب، ولكن ليس معنى ذلك أنه يسر ههما من المتناقضين، بل لعله أغضل ههما منهم في كثير من الأحوال، فالعظمة على كل حال ليست بالمصلب اليسير لمن يتبعه، وليست بالمطلب اليسير لمن يتعد إلى صميمه ويحتويه.

إما الأمر الميسور في التعريف بهذا الرجل العظيم، أن خلايقه الكرى كنت بررة جداً لا يسترها حجاب، فما من قارئ لم يفضلك صالحة من ترجمته إلا ستصاع أن يعلم أن عمر بن الخطاب كان عادلاً، وكان رحيماً وكان عيوراً، وكان فصلاً، وكان وثيق الإيمان، عظيم الاستعداد للنخوة الدينية

فالعدل والرحمة والغيرة والفطنة والإيمان الوثيق صفات مكية فيه لا تحفى على ناظر، ويبقى عليه بعد ذلك أن يعلم كيف تتحه هذه الصفات إلى وجهة واحدة، ولا تتشعب في اتجاهها طرائق قدداً^(١)، كما ينفق في صفات بعض الأعضاء، بل يبقى عليه بعد ذلك أن يعلم كيف يتم بعض هذه الصفات بعضاً، حتى كأنها صفة واحدة متصلة الأجرء ملاحقة لألوان.

وأعجب من هذا في التوافق بين صفاته، أن، لصفة الوحدة تستمد عناصرها من روافد شتى، ولا تستمد منها من ينوع و حد، ثم هي مع ذلك متفقة لا تناقض، متساسة لا تتخادل، كأنها لا تعرف التعدد ولتكثر في شيء.

حد لك مثلاً عدله المشهور، لدى تسم به كما لم يتسم قط بفصيلة من فضائله الكبرى، فكم رافدة^(٢) لهذا الحق الجميل في نفس ذلك الرجل العظيم؟ روافد شتى بعضها من وراثة أهله، وبعضها من تكوين شخصه، وبعضها من غير أيامه، وبعضها من تعميم دينه، وكلها بعد ذلك تمضي في اتحاد قوي إلى غاية واحدة لا تتم على هترق.

لم يكن عمر عادلاً لسبب واحد، بل لجملة أسباب.

(١) طرائق قد فرت مختلفة

(٢) رافدة، أي قد فرت من قضاة أو بهير

كان عادلاً؛ لأنه ورث القصة من قبيله وأبائه، فهو من أمية بيوت بني عدي
أدين بوبو السفاره والنكيم في لجاهلية وراسو أنفسهم من احل ذلك جيلاً
بعد حبر علي الإنصاف وفصل الخطاب، وحده بقل بن عبد لعري هو الذي
قصي لعبد المطلب عى حرب بن أمية حين نادوا إليه، وبنافسا على لرعامه،
وهو عادل من عادلين، وباشي في مهد بحكم والموار بن الأقوي.

وكان عادلاً؛ لأنه قوي مستقيم بنكوب طبعه، وإن شئت فقل نص بتكوينه
الموروث؛ إن كن أبوه الخطاب وحده بقل من اهل لشدة وابأس، وكانت أمه
حسنة بنت هشام بن المعيرة قائد قريش في كل نضل، وهو على حليقة لذي لا
بحاسي؛ لأنه لا يخاف، والذي يخل من بين إبي القوي؛ لأنه جبر، ومن الجور
على بصعيف؛ لأنه عوج يزري بنخوته وشممه.

وكان عادلاً لأن له من بني عدي قد قد قو طعم الضم من أقربائهم بني عبد
شمس، وكانو شدة في الحرب يسمونهم لعقة الدم^(١)، ولكنهم عيو على أمرهم
لقة عددهم بالقياس إلى عدد أقربائهم فاستقر فيهم بعض القوي المصوم للضم،
وحبه للعدل الذي مارسوه وربوا عنه، وساعدت عبر الأيام على تمكين خيقة
بعدل في خلاصة هذه الأسرة، أو خلاصة هذه القبيلة، وبعى به عمر بن الخطاب

وكان عادلاً بتعليم الدين الذي استمسك به، وهو من أهله بمقدار ما حربه
وهو عتوه؛ فكن أقوى عادلين، كم كان أقوى المدقين والمؤمنين.

وكذلك حتمت عناصر الوراثة الشعبية، والقوة الفردية، وعبر الحوادث،
وعقيدة الدين في صفة العدل لتي أوشكت أن تستوى فيه على جميع لصفات.

كن عادلاً لأسباب، كئنه عادل لسبب واحد لقة التناقض فيه وربما كان
تعدد الأسباب هو العاصم الذي حمى هذه الصفة أن تتناقض في ثرها؛ لأنه
منحه القوة التي تشده كم يشد الحبر لميرم فلا تتفك ولا تتوزع، فكان عمر
في جميع أحكامه عادلاً على ونيرة واحدة لا تفوت بينها، فو تفرقت بين يديه
مئة فصبة في أعوام متباعدات، لكن عى ثقة أن تتفق الأحكام كلما تعفت
بقضيا.. كئنه يطبعها بطابع واحد لا يتغير.

(١) لعقة الدم سموا كذلك لأنهم تحاسوا مع غيرهم فحسروا جروراً فلعقوا دمه أو مسسوا بدمهم منه

إلا أن الصفات إذا بلغت هذا المبلغ من القوة الرائعة، لم تكد تسلم من طرود النفاقض عليها، وإن سميت منه بصيغتها لأنها تسحل في صفات الصولة التي تثير الإعجاب والمدلعة، وكل بطولة هي عريضة لمبايعات والإصافات، ومن ثم لا تسلم من تنفض الأفويل.

وصفت عمر كلها صفات لها طابع البطولة، وفيها دواعي الإعجاب والمبالغة وممن؟ من الأصدقاء المصدقين لأنهم لا يتهمون بقصد السوء وهم هي بواقع أولى بالاحتراس من الخصوم لمتهمين فمن هنا يجيء النفاقض لا من طبيعة الصفات التي تأناه

فاعدل مثلاً هو لمساواة بين أعد الذس وأقربهم في قضاء الحقوق، وإقامة لحدود.

وليس أقرب إلى الحكم من انه

هذه سوى الحكم بين ابنه وسائر الرعية، فذلك عدس مآثور يقتدى به لحاكمون.

ولقد سوى عمر بين أبنائه وسائر المسمين، فذبح بذلك مبلغ لبطولة في هذه لصفة النادرة بين الحكام

وبذلك كف في تعظيم قدره، لا حاجة بعده إلى مزيد

إلا أنها صفة من صفات البطولة التي تروع وتعجب، ويملاً النفس برغبة في تحدث بها وإطبات في أحاديثها، فهي لا تكفى لمسلعين حتى يجعلو عمر مقيماً لحد على ابنه، مشدداً في عقوبته شتداً لا سوى فيه بينه وبين غيره. ثم لا يكفى لمبالغون بهذا حتى يموت لولد قبل استنفاء العقوبة، فيمضى عمر في حله وهو ميت لا تقم عليه الحدود ومن اعتدل من المسلعين لم يذكر الموت وإتمام العقوبة، وذكر لنا أن الولد مات بعد ذلك بشهر من مرض، لضرب الذي ثقل عليه، وعجز عن احتمال.

بمعنى ما تقدم قصة عبد الرحمن بن عمر في مصر، وهي كف رواها عمرو بن العاص وإلى مصر يومئذ حيث يقول: «دخلنا - عبدالرحمن بن عمر وأبو سروعة - وهما مكسران، فقالا أقم صيد حد الله، فبنا قد أصيبنا النارحة

شراً فسكرت، فبربتهما^(١) وطردهما، فقال عبدالرحمن إن لم تفعل أخبرت نبي، يا قدمت عليه فحصرني رأي وعلمت أنني إن لم أقم عليهما، لحد عصب على عمر في ذلك وعزّلني، وحالفه ما صنعت، فحصر على ما نحن عليه إذ دخل عبدالله بن عمر، فقمت إليه فرحبت به، وأردت أن أجلسه في صدر مجلسي فأني على وقال: أني بهدي أن أدخل عليّ إلا ألا أحد من ذلك بدا إن أحي لا يخلق على رعون لباس، فأما، لأصرب فاصنع ما بدا لك».

قال عمرو بن العاص «وكابوا يحقون مع أحد، فأخرجتهما إلى صحن لدار فضربتهما الحد ودخل ابن عمر بنخيه إلى بيت من لدار فخلق رأسه ورأس أبي سروعة، فوالله ما كتبت إني عمر شيء مما كان حتى إذ تحيت كتابه إدا هو نظم فيه «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله أمير المؤمنين عمر إلى، لعاصي ابن العاص».

عجبت لك يابن لعاص وأجرتك على وحلاف عهدي، فما أراي إلا عزّلت فمسيء عرب، تضرب عبدالرحمن في بيتك، ونخلق رأسه في بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفني؟ إنما عبدالرحمن رجل من رعيك تصنع به ما تصنع بغيره من مسلمين، ولكن قلب هو ولد أمير المؤمنين، وقد عرفت ألا هو دة لأحد من الناس عندي في حق يجب لله عليه. فبذا حاك كندى هذا فبعثت به في عبء عني قتب^(٢) حتى يعرف سوء ما صنع».

قال: «فبعثت به كما قل أنوه، وأقرأت ابن عمر كتاب أبيه، وكتبت إلى عمر كتاباً أعتذر فيه، وأخبره أنني صرّفته في صحن دارى على الدمى والمسلم، وبعثت بالكتب مع عبدالله بن عمر».

قال أسلم «فقدم عبد الرحمن على أبيه فدخل عليه، وعنه عباء ولا يستطيع المشي من مركبه فقال يا عبدالرحمن فعت كذا؟ فكلّمه عبد الرحمن بن عوف وقال: يا أمير المؤمنين قد أقیم عليه الحد مرة، فلم يلتفت إلى هذا عمر وورثه ففعل عبدالرحمن يصيح أنا مريض وأنت قاتلي، فضربه وحسسه، ثم مرض فمات رحمه الله».

(٢) القتب: الرجل. لصغير على قدر سديم البعير

() ربربهما رجرهما ومبرتهما.

فهذه قصة توافق أحبارهم ومن رويت عنهم، فلا يستعربها في جميع تفصيلاتها إلا حين تطرأ عليها المبالغة التي تتسرب إلى كل حبر من أخضر البطولات المشهورة، وذلك أن يقسو عمر على ابنه تلك القسوة التي لا يوجبها الدين ولا تقلها الفطرة الإنسانية، فيقيم عليه الحد وهو ميت، أو يعرضه للموت من أجل حد أقيم.

هذا هو العرب الذي استوقفنا بأنكرناه، ومضينا في تمحيصه فطابق التمحس ما قدرناه، أما سائر القصة فلا غرابة فيه من كل بوحه من هو من القصص التي يستعد فيها التلفيق والاختراع. إلا أن يكون ملفق من حقائق الرواة ومهرة الوضاع.

ولو كان المصدر واحداً معروفاً بالحدق في القصص لحسدها من وضعه، وتلفيقه، ولكنها سمعت من غير مصدر موثوق به، فهي أقرب إلى الواقع فيما يشبهه، ويجري مجراه، فعند أرجمن بن عمر يذهب إلى الولي لأنه شرب شيباً ضمه غير مسكر، فبدا هو قد سكر منه، ولا مذنب من إقامة الحد عليه، وإلا رفع الأمر إلى أبيه.. وهي شتشة^(١) عمرية لا ليس فيها، وهو ابن عمر لا مرء

ولوالي، ومن الوالي؟ عمرو بن العاص الذي لا حياء بدهائه ولا يبعد حسابه، فهو يتريث بأبي الأمر ويحسب أن يصرف الفتى إذا صار له الانصراف دون أن يقيم الحد عليه وهي شتشة لا غرابة فيها فمن يدري؟ ألا يحوز أن يصبح هذا الفتى أخاً للخليفة، أو مديراً للمستطير معه في يوم غير بعيد؟

ولخشفة يرى بالأمر فهوله ويستكبر أن يخفيه عنه وليه، فلا يصح إليه سؤفه من قبله، وهو ما هو في تحرحه من تبعة يحميها عفاً عنها، لحرص الولاة على تحري هواه، وانتعاء رضاه، فيشفق أن يقع ابنه في معصية ثم يحو من الحد الذي شرعه الدين، وهو مسئول عن لولاة والحدود ومسئول عن دويه لأقربين قبل سائر المسلمين.

كل أولئك كما قلنا سائغ لا غرابة فيه.

(١) الشتشة الحق والطبيعة

أما العريب من عمر حقاً في معدلته وعلمه بدين، وكرهته رياء الناس، فهو أن يتم على ابنه الحد وهو ميت، أو يشتد في إقامة الحد على ابنه حتى يتلف، أو يصاب بما يتلفه بعد أيام.

فلا موجب لذلك من حكم دين ولا اتقاء نعمة.

وهو مع هذه مخالف لما عرف عن عمر في إقامة الحدود، خاصة وفي مثل هذه العقوبة بعينها.

فقد جرى له يوماً شارب سكران، وأراد أن يشتد عليه فقل له لا تعثن إلي رجل لا تأخذه فك هواة، فبعث به إلى مطيع الأسود لعبدى لدقم عنه الحد في غده، ثم حضره وهو يصربه ضرباً شديداً فصاح به قتلت الرخص، كم ضربته؟ قال ستين، قال أقص^(١) عنه عشرين، أي أرفع عنه عشرين ضربة من أجل شدتك عليه فيما تقدم من الضربات.

وقد كان من دأبه أن يترى في إقامة الحدود، حتى ليؤثر - كم قل - تعصليها في الشبهات على أن يقيمها في الشبهات.

ومر يقوم يتعنون رجلاً قد أخذ في ريبة ففس. «لا مرحباً بهذه الوحوه التي لا ترى إلا في الشر»

وربما غضب على لوالى من كبار الولاة بخلوه في تقاضى الحدود على المعصى، كما فعل في إنذاره الشديد لأبي موسى الأشعري حين جرد شارباً، وحقق شعره، وسود وجهه، وسدى في الناس ألا يجالسوه ولا يؤاكلوه فأعطى الشاكى مائتى درهم وكتب إلى أبي موسى «لس عدت لأسودن وجهك، ولأطوفن بك في الناس» وأمره أن يدعو المسلمين إلى مجالسنة ومؤاكلته، وأن يمهله يتوب، ويقبل شهادته إن تاب.

وبفقد رجلاً يعرفه فقل له إنه يتابع الشراب. فكتب إليه «إني أحمد إليك الله، لئلا لا إله إلا هو ﴿عافى الذنب وقابل التوب﴾ شديد العقاب ذى الطرل لا إله إلا هو إليه المصير ﴿٢﴾».

(١) أقص حد له بقمصه أي أقص القصاص عنه بحذف عشرين وبعد لأصل أقصى عنه عشرين أي أنقص عنه عشرين، ورواه الباء من بحرف الرواة.

(٢) أنه ٢ من سورة عافى وذى الطول صاحب الفصل وإحسان.

فم يرل الرجل يردها ويبيكى حتى صحت توبته وأحس النزع^(١)، وبلغت توبته عمر فقال لمن حضروا مجلسه «هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخذ لكم رلة رلة فسددوه ووقفوه، وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوان للشيطان عليه»

وقد نكرر منه إعفاء الزنبت من الحد لشبهة القهر والعجز عن المقاومة، وتكرر منه الإعفاء لمثل هذا لعدو في غير ذلك من الحدود.

فم يكن عمر بالسريع استعطش إلى إقامة الحد، ولم يعرف عنه قط أنه أقام حداً وله مندوحة عنه

وفي قصة ولده مباح شئى ترصيه على شدة بخرجه وبحريه، ثم لاحاجة بمثله إلى ريب العدل، فيحور على أنه، ويسرف في لقسوه عليه، ليفل إنه سوى بينه وبين غيره

وأصح من ذلك أن تأخذ برواية عبدالله بن عمر، وهو أحق الناس بالمبالغة في عدل أبيه لو كانت المبالغة مما يجس بمثله، فقد روى هذه القصة فقد مخلصته «إن أخاه عبد الرحمن وأنا سروعة عتة بن الحارث سكرنا، فلم نصبحا نطيقا إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر، فقالا طهرنا فبنا قد سكرنا من شراب شربه..» ولم أشعر أنهم أتيا عمرو بن العاص، فقلت والله لا يحق ليوم على دعوس الأشهاد «دخل أحلقف»، وكبوا إذا بال يخلقون مع الحد فدحل معي لدار فصقت أخى بيدي، ثم حلدهم عمرو بن العاص، فسمع عمر بن الخطاب، فكتب إلى عمرو أن ابعث إلى عبد الرحمن بن عمر عى قتب.. ففعل ذلك عمرو، فما قدم عبد الرحمن عى عمر حله وعاقبه من أجل مكانه منه، ثم أرسه فلبث شهراً صحيحاً ثم صحباً، ثم أصابه قدره، فتحسب^(٢) عمة الناس أنه مات من الحلد ولم يميت منه».

هذه رواية عبدالله عن أبيه وأخيه ولو كان الأمر مبالغة في عدل عمر لكان لابن أحق الناس بهذه المبالغة، أو كان الأمر رحمة بعبد الرحمن لكان الأحق لناس بهذه الرحمة، ولكنه أمر صدق لا بعض فيه ولا زيادة

(٢) تحسب ظن.

(١) أحس النزع كتب عما كان فيه وانتهى.

فالذي يجوز له أن يفعله من هذه القصة هو الجواب الذي يستقيم مع حقائق عمر ولا يناقضها، وهو العدل الصحيح في محاسبة ولده على ذنبه ولا زيادة، ولا سيما لزيادة التي لا تتفق مع عدله ورحمته على السوء، وكلا العدل والرحمة من صفاته الأصلية فيه.

نعم كانت الرحمة من صفاته التي وارتت فيه لعدل أحسن مودة. فم عهد فيه أنه أحب العدل لعصه من الأقوياء المعتدين، كما كان يحبه لجذته لصعيف المعتدى عليه.

ولا يمتنع ذلك أنه كان خشن للمس، صعب الشكيمة، جافياً في القول، ذا ستغضب واستثير، فليست الخشونة بفيضاً لرحمة، وليست النعومة بفيضاً للقسوة، وليس الدين لا يستثارون ولا يستعصبون بأرحم أبس، فقد يكون لرحم ناعماً وهو منظور عسى لعنف والعضاء، ويكون الرجل خشياً وهو أعطف خلق الله على الضعفاء، من كثيراً ماتكون الخشونة الطاهرة بقداً يستتر به الرجل لقوى فراراً من مظنة الضعف الذي يساوره من قدر الرحمة، فلا تكون مداراة الرقة لا علامة على وجوده، وحذراً من ظهورها.

ومن المؤلف في الطوائف أن لرجل الذي يقسو وهو معتصم بالواحب قلماً يطبع على قسوة، ولاسيب إذ كان لواحب عنده شيئاً عظيماً يربى كل عقبة، ويبتلى كل حجة، ويقطع كل بريعة، فهو إنما يعتصم بالواحب في هذه الحالة، كما يعتصم الإنسان بالحصص النبيع كلما حشى أن تقتحم عليه طريقه، ولو لا خوف الرحمة أن تعبته لما كنت به حاجة إلى ذلك الحصص المبيع، ولا سيما حين يكون حصصاً بالغا في البعة، كما كان الواجب عند عمر بن الخطاب

أرأيت هذا الرجل لصارم احارم قاسياً قط إلا باسم وحب أو في سجين واجباً كلا، وما يذكر أنت سمعنا رواية واحدة من روايات شذذه إلا لصاحب الواجب قائماً إلى جانبها يزكيها ويسوعها. ومن كنت القسوة صعباً فيه، وما هو بحاجة إلى واحب يغريه بالقسوة، بل هو في حاجة إلى واجبات عدة تنهه عنها وتغريه باجتنابها.

وليس قصصاً في هذا الحلق أنه غير قاسٍ، أو أن الرحمة كانت تنفذ إلى قلبه كلف طريقه، وانحدثت سنيها إليه، فبذ بصيبه من الرحمة قد كان أوهي

جدا من ذاك، وكنت هذه الفضيلة من فضائله الأصيلة فيه لا تكاد تفرقه هي عامة حياته، حتى لبصيح أن تضرب لأمثال برحمته كم كانت نصرب الأمثال بعدله، وأن يقرن معه لقب العادل بلقب الرحيم.

وفى صدد الكلام عن الخليفة لإسلامي الكبير، قد يهمن خلق الرحمة فيه خاصة، لأن شأنها هي التقريب بينه وبين الإسلام غير قليل

فمن المحقق أن رفته للمسلمين ولدين الذي يديون به كانت مقرونة في أول الأمر برحمته لامرأتين ضعيفتين رهما في حالة من لشكوى تلين القلب ونكف الغرب^(١) وتمسح جفوة العباد والعضاء.

قال أم عبدالله بنت حنثمة لما كنا نرحل مهاجرين إلى الحبشة أقبل عمر حتى وقف على، وكنا سقى منه السلاء والأذى والعصاة علينا، فقال لي إنه الانطلاق يا أم عبدالله، قلت نعم والله لنخرجن في أرض الله أنيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا فرجا، فقال سبحانه الله، ورأيت منه رقة لم أرها قط

وحديثه مع أخته فاطمة في سبب إسلامه مشهور متواتر في أوثق الروايات فيه صرجه حين عم بإسلامها فأمى وجهه، فأدركتها بثورة لخطايه التي هيد منها بعصر م فيه، وفات وهي عصبي يبعو الله أتصرتني على أن أوجد له قال عبر مفريث نعم هفالت ماكنت فعلا ففعل. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لقد أسلمنا على رعم أفت

ويذكر لنا رواية القصة التي اتفقت عليها روايات كثيرة، أنه ندم وخلي عن زوجها - بعد أن صرعه وقعد على صدره - ثم انحنى بحية من المنزل، وطب الصحيفة التي كتبت فيها آيات القرآن، وخرج من ثمة إلى حيث لقي النبي، فأعص شاهدة الإسلام على يديه.

وغير عسير علينا أن نرقب طوية عمر، وبرى كيف كانت تتمشى فيها الحوالم والخطرات، وهو يتحدث إلى المرأتين بنت حسمة، ربت الخطاب.

هكذا يصل من يصل يشحذه لصال إذا لقي أئاده من الأصل، وأقرته من

(١) نكف لغرب محفف الحدة، أي تلين شديد القاسي.

لرجال لإساعة سبوعها الإساعة، والسحدي يعفده لتحدي، وكلما قويل البش
بمثله نضمرت سورة لعصب، وثمرت بحيرة القتال^١، رمضى ابعده، شطط لا
عتال فيه، ولا نكوص عنه، حتى يكسر عدو من العدوين، فلا موضع هد
لرحمة، ولا سبيل لها إلى ظهور وتتمادى الشره^٢ على ذلك شهوراً وسنين،
وكن الرحمة لم تحلق في النفس، ولم يسمع لها في حدى الصدر صوت

ما للمرأة الساكية أو المرأة الدامية إذا واجهت دث اسر لفوى، مما ححته
إلى قوته وبضاله؟ وما أخرى تلك القوة أن يهدأ فى مكاب كئها هى لحديقة
الحفية التى لم تحلق وليس لها صوت مسموع^٣ وما أقربها إذر إلى أن نخل من
إبدائها وتندم على قسوتها، وتثوب إلى النوبة و تخشوع، وهما من لئاب الدين

إن العرب يشفقون الرحمة من الرحم أو القراءة، وهو شفق عقيق المعزى
يهديا إلى نشأة هذه العضية الإنسانية العالية، ومودة عمر من الحصاب لرحمه،
ويرى قرده لا تنحصر دلائلها فى رحمته لأخته الشكية الدثرة فى المرأة قد
نرحم لصعها هى موقف شكوها وبأسها ولو كانت بعيدة لأصرة، منقصعة
السبب إنما يدل على مودة لدوى قرده ذلك الحب الذى كان يصمره لأبيه بعد
موته، مع شدته عيه وعظته فى زجره وتأديبه، فكان يصل الحديث عنه وينقل
أخاره، ويقسم باسمه وضر يقسم باسمه وهو كهل إلى أن بهى المسلمون عن
القسم بأسماء من ماتوا على الداهية.

وبدر بين الناس من أحب حوته كما كان عمر يحب حاه ريداً فى حياته وبعد
مماته، فم شاء أحد أن يكره له ففاضت شؤبه^٤، وجعل بعد قتله
يتأسى بمن أصيب مثل مصابه ولا يرى أحد فقد أحاً له إلا لتمس الاسوة عده،
حكى أحمد بن عمران العبدى عن أبيه عن حده قل «صلى مع عمر بن
الخطاب لصبح، فلما نعت من صلاته إذا هو برجل قصير أعور متك قوسه،
وبسده هراوة، فسأله من هذ؟ فقيل منم من بويرة فاستشده رثاه لأخيه،
فأشده حتى بلغ إلى قوه

وكك كنذمانى جذيمة حقسة من الدهر حتى قيل لم يتصدا
فلم تعرقت كأتى ومالك طول افتراق لم نت ليلة معاً

(٣) الشوق الموع

(٢) الشبه بشر

(١) الحيرة، طبعه والعبره

فقال عمر هذا والله الأنبياء، يرحم به ريد من «خطاب» أبي لأحسب أني لو كنت أقدر على أن أقول أشعر لئكيته كما بكيت أباك. ثم سألته ما أشد ما لقيت على «حبيب من الحرر» فقال: كنت عيني هذه قد ذهبت فبكت بالصحيحه، فأكثر البكاء حتى أسعدتها أعين الذهبه وحررت بالدمع فقال عمر

إن هذا لحزن شديد ما يحزن هكذا أحد على هالك. قال متمم لو قتل أخي يوم اليمامة كما قتل أخوك ما بكيت أبداً. فصر عمر وتعرى عن أخيه وقال ما عزاني أحد عنه بأحسن مما عزبتني...».

هذا هو عمر من وراء النقاب.

فما كان أخوجه رضى الله عنه إلى ذلك القاب، وما قل الغرابة في ذلك القاب من الشدة ولهبة، حين ينفذ الباطر إلى ما وراءه، فيرى مكان الحاجة إليه.

وقد يرحم لرحم أهل الرحم والقرنة، ويجفو غيرهم من الناس، ولكن الرحمة الأصيبة في الصاع تسوى في الحودة ولا يفرق، ونحو هي سبب الرحمة. ولا ننظر حتى تفرضها عليها القراءة بأسببها فكان عمر كم روى «الحسن» يذكر الصديق من أصدقائه بالليل فيقول ياطولها من لية فإذا صلى الغداة عدا إليه، فإذا لقيه الترمه أو عتقه.

وكان بكاء طفر يزعه ويقصع عليه صلاته وينعص عليه ليله

قدمت رفقة من التحار فرلوا المصلي، فاقترح على عبدالرحمن بن عوف أن يذهبوا لحرساهم من أسرق، ثم باتا بحرسن وبصليان، فسمع بكاء صبي فتوجه نحوه وقال لأمه اتقى الله وأحسنى إلى صبيك ثم عد إلى مكانه فسمع بكاء، فرجع إلى أمه كرة أخرى، ثم سمع بكاءه آخر الليل فقال لأمه ويحك إني لأرث أم سوء ما لي أرى ابنك لا يقر منذ السنة؟ قالت: يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة. إني أريعه عن الفطام^(١) فسألها ولم؟ فقالت لأن عمر لا يفرض إلا للفصيم فسألها وكم له؟ فلما علم أنها فصمت دون سن الفطام، أمر منذاً فنادى ألا تعجبوا صبيانكم عن الرضاع فإن نفرض لكل مولود من الإسلام.

وقصته مع الصبية الجدع مشهورة، ولكن تعدد لأنها «حق قصة بأمر تعاد

(١) أريعه عن الفطام: يقصود أني أحبسه على الفطام وأعوده.

قال أسلم خرجنا مع عمر رضى الله عنه إلى حرة وهم، حتى إذا كنا بصرار^(١) إذا نار تؤرث^(٢) فقال: يا سلم إنى أرى ها هنا ركباتٌ هصر بهم الليل والبرد. انطلق بنا!

فخرجنا نهول حتى دنوت منهم، فبدأ امرأة معها صبيان وقدر مصوية على در، وصبيانها يتضاغون^(٣) فقال عمر السلام عليكم يا أهل الضوء وكره أن يقول بأصحاب الدر، فأجبتة امرأة وعيكم لسلام^(٤) فقال: «دو» فقالت ابن خير أو دغ. هذا منها فقال ما مالكم؟ قالت قصرت السيل ولدت. قل، وما دل هؤلاء الصصة يتصدعون؟ قال الجوع قال: وأى شيء فى هذه انقرة؟ قالت ماء أسكتهم به حتى ينامو.. والله بيعد وبين عمر! فقال أى رحمك الله وما يدري عمر بكم؟ فقالت يتولى أمرنا ثم يعمل عندنا فأقبل على فقال: انطلق بنا

فخرجنا نهول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلاً^(٥) من دقية وكنة^(٥) من شحم، وقال حمله على قلت أنا أحمله عند قال: أنت تحمل وزرى يوم القيامة!.. لا أم لك!

فحملته عليه، واطبقت معه إليهم نهول، فالتقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئاً فحمر يقول لها: ذرى على وأب أحر^(٦) لك!

وجعل يفتح تحت القدر، وكنت أحيينه عظيمه، فرأيت الدخان يخرج من حلالها حتى طبع بهم، ثم أرسلها وأفرغ الحريرة فى صحفة وهو يقول لها أصعميهم وأنا أسطح لهم - أى نرده - ولم يرل حتى شبعوا وهى تقول به حراك لله خيراً، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين..»

وأمثال هذه القصة فى سيرة عمر كثير، لا يقل إنبها هى ومثيلاتها من لشعور بالتبعة وليست من الرحمة لأن لعهد بالشعور بالتبعة أن تأتي من الرحمة، وليس لعهد بالرحمة أن تأتي من الشعور بالتبعة!

كذلك لا يقل إنه قد كان يطبع أمراً سماوياً تحرك له نفسه، أو لم تتحرك، فإن النفس التى تتحرك للأمر السموى هى نفس التى فيها خير، ولها رغبة

(١) صرار مكان على مقربة من المدينة (٢) تؤرث تود (٣) يتضاغون يتصاحبون

(٤) الكنة من شحم مقدار منه (٥) العدل الجوالى

(٦) أحر لك، أى أهلك حريرة، وهو الصماء من الدقيق واسم

فيه، وقلمه تشفق من عقاب السماء، لا أن تشعر بأمل، لضم ومسع استحقاقه للعقاب.

على أن عمر كن يرحم هي أمور يحول فيها النفور لندى، دون الرحمة عند كثيرين. فمن ذلك أنه رأى شبحاً ضريراً يسأل على باب، فلما علم أنه يهودي قال له مألحاك لي ماأرى؟ قال أسأل الحزية والحاجة والس' فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله، فأعطاه ما يكفيه من عتاه، وأرسله إلى حارة بيت المال يقول بنظر هذا وضرب^(١) هو لله ما أنصفه من كلنا شيبه، ثم أخذله عند الهرم بم الصدقات للفقراء والسكينة والفقراء هم المسلمون، وهذا من المسكين من أهل الكتب.. ووضع عنه الجزية وعن ضربائه

فهب علمه الرحمة كيف يطعم الدين، ومن يطعم الدين هكذا إلا رحيم وقد فرض عمر لكل مولود لقيط مائة درهم من بيت المال، كم فرص لكل مولود من روحين، وهي رحمة قد بحجبها ليعور من لرب وثمرته في نفوس اسس ينفرون فلا يرحمون.

بل كن يرحم كل مخلوق حتى حتى السهم الذي لا يبين شكاية، فروي المسيب ابن دارم أنه رآه يضرب رجلاً ويلاحقه بالرجز، لأنه يحمر جملة ما لا يطيق وكان يدخر يده في عقرة لنعير لأدبر^(٢) لدويه وهو يقول إني لأخاف أن أسأل عما بك ومن كلامه في هذا المعنى لو مات جدى بطف^(٣) الفرات لحشيت أن يحاسب به اله عمر، وأبه لشعور بالسعة عظيم. لكنه كما أسفنا لن ينب في قلب كل أمير عليه شعة، إلا أن يكون به منسب للرحمة عظيم.

فبحر إذا برز صفه كبيرة إلى جانب صفته لكبره الرحمة إلى جانب العدل وكتهما من لبروز وابوثقة وعمق لقرار بمثابة العنوا الذي يدل على صاحبه، أو بمثابة العصر لأصل الذي يلازمه ويلاسه ولا يفارقه في حمة أعماله

(١) ضرباؤه نظراؤه، أمثاله (٢) يعبر لأدبر المصب باندير وهو مرض يصيب النوب كنقوكة

(٣) بطف لفرات يدشاطنه

ومن خصائص عمر أنه كان على هذا الشأن في جميع صفاته المشهورة،
حالاتاً لمعهور في الصفات بعلة من الناس من المحامد كنت أو لعيوب، إذ
قلما يوسم إنسان بأكثر من صفة غالبية بهذه مثابة من التأصل والبروز، فهو
عادل أو رحيم أو غيور أو فطن أو وثيق لإيمان، ثم تصعى إحدى هذه الصفات
على سائرهما فلا تعطىها إلى جانبها مكانه رسوخ واستقرار.

وعلى غير هذا العهد كان عمر في جميع صفاته الكيرة أسي بكونه،
فكانت كل صفة منها في قوته ورسوخه تكفى للغلبة على شخصية تتسم بها،
ولا تذكر بعيره، وإنه ليتصف بها فتأخذ من سماته ومعالمه ما يخصها به،
ولو كانت من الصفات القومية الشائعة في أئمة حلدته جميعاً، فيحيل إليك أنها
سمة مميزة له لم توجد في غيره.

هأحرار العرب كلهم غيور ولكنك إذا قلت «العربي، لعيور» فكأنما سمعت
عمر بن الخطاب لأنه طبع هذه الصفة القومية بطابعه الأبي لا يشبهه فيه غيره،
فكان الغيور بين العيورين

قل أكبر أصدقائه وأكبر العرفين به محمد عليه السلام «إن الله غيور يحب
العيور، وإن عمر غيور».

وتحدث أبي صحبه يوم وعمر فبهم فقال «بيد أن نائم رئيسي في لحة،
فبذ امرأة تتوصاً إلى جانب قصر، فقت من هذا القصر؟ فقالوا لعمر هنكرت
عيرنه فوليت مديراً.. فبكي عمر وقل كالمعنز أعليك أغر بارسل الله».

وكانت هذه الفيرة معروفة مخشاة من جميع من يعرفونه ويسمعون بطاعه،
والنساء من باب أولى يعرفنها ويعهدهن ويتقنهن كم لم يتقنها قط من غيره
استأذن على أبي يوم وعنده نساء من فريش نكمه ويستكثرنه عالية
أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يتدنن الحجاب.

فدخل والنسي يضحك

قال عمر أصبحك الله سبك يارسول الله. كأنه يسأله عن سبب ضحكه.
فقل عليه السلام عحت من هؤلاء اللاتي كن عدى لم سمعن صوتن ابندرن
الحجاب.

قال عمر هأنذا يارسول الله كنت أحق أن يهين، ثم انتفت إليهن يقول أئى عدوت أنفسهن! أتتهينى ولا تهين رسول الله ﷺ؟

قلن - ولا يحذر المرأة لسانها فى هذا المقام - نعم بنت أعظ وأقط من رسول الله وحسبك من عبرته أنه هو الذى أشار على النبی ﷺ بحجاب أمهات المسلمين، وكان يرى جدتهن فى الطلام دامية لعصر شأنها فقول لها عرفتك يا فلاة ليربها أنها فى حاجة إلى مريد من التحجب، وقد ضجرت إحداهن منه لهذا فقلن له وإنا عسا يا بن الخطاب ولوحى بئرل فى بيوتنا؟

عسى أن العيرة هى ابن انحطاب لم تكن غيره مفصورة على المرأة وكفى. بن عيرته على المرأة لم تكن إلا شطراً من غيرته على كل حرم وحوزة فمن هذه العيرة العامة سبسته العربى سى كنت تصد العربء عن جزيرة لعرب كئها الحرم الموصد، ومنها عيرته على الزى العربى والشمس العربيه، ومنها عيرته على لعقيدة وحدود الشريعة، وعيرته على كل حق بحميه عيور.

و لأحاديث عنه فى هذه لخصه تتعدد فى معارض شتى، كما تعددت أحاديث عدله ورحمته، وكل صفة باررة فيه. فشان هذه الصفات أن يظهر بدأ حدث ظهر له قول أو عمل، لأنهن أصيلات مطرعت يحتلطن بكل ما عمل وقيل إلا أنك تقرؤها جميعاً فتخرج منها دأثر واحد لا اختلاف فيه

ذلك أن عمر كان يغدر عسى حق، ولا يغدر من أحد، ولا بنفس عسى ذى نعمة فبدأ قيل لك إن عمر قد عر فلن بخطر لك أن تسأل ممن كانت غيرته؟ وإنم يخطر لك أن تسأل فى كل مرة. علام عار؟ ولأى شىء كان يعار؟

فهو يعار على حق، أو يعار على عرض أو يعار على دين، أو يعار على صديق أو صاحب حرمة، ولا يعار من هذا أو ذل لنعمة أصبها هذا، أو ذاك إنما كان يعار على شىء يحميه، وبعم من نفسه القدرة على حميته فهى غيره من يريد احمانه لعبه، ولا يريد استرع الحير لنفسه أو عنة إسان على حصه

رجل قوى جياش الطبع، شديد الشكيمة، مؤمن بالحق وحرماته، قادر على تقويم من يحيد عنها ويحترئ عليها. فإن لم يكن هذا عيوراً فمن يكون لعيور؟

وقل في مكانه وقطنته والمعية سهبه ما تقول فيم اشتهر به من صفات العدل والرحمة ولعيرة، وإن كانت هذه الصفة أحوج منهن إلى الشرح والتحليل.

فنعص المستشرقين الذين أثبوا عليه قد عرضوا لأمر تفكيره، فوصفوه بأنه محدود التفكير، أو أنه يأخذ الأمور بمقياس واحد

وبن لا تقول إن عمر رضي الله عنه خلق بدهن عالم محدثة منقطع لكشف و لتقيب، ولا أنه خلق بدهن فيلسوف مطبوع على التجريد و لذهب بالفكر في مدحى لطنون والفروض، ولا أنه خلق بدهن منطيق يدور بين الأقيسة و لاحتمالات مدار الترحيع و لتخمير فالوقع أنه لم يكن كذلك ولا يعيبه ألا يكونه، وأنه كان معيّنًا بالعمل قبل عناية بالنظر أو لفرض والتقدير، ولكن الفرق بعد من هذا وبين الفكر المحدود، والنظر لدى يقيس الأمور بقياس واحد.

فعمر كانت له طنة برجن العليم سقائض الأحلاق، وخابا النفوس، ولم يحكم عليها قط كأنه ينظر إليها من جانب واحد، أو يطبعها في تفكيره بطابع واحد من علم الدنيا وعم كيف يتقلب لإنسان، وراح في علمه هذا يراقب لباس من قنة الحنور، ويقم عليهم الأرصاد إقامة الرحمن الذي لا يفوته أن ينتظر منهم ما ينتظر من خير وشر وقوة وضعف وصلاح وقساد.

وكفى من كلمانه لدالة عليه أن يذكر أنه كان يحب أن يعرف الشر كما يعرف الخير، لأن «لدى لا يعرف الشر أخرى أنه يقع فيه»، وأنه كان يحب أن يعرف لأمدار كم يعرف الدوب، حيث يقول «أعقر الدس أعذرهم لدس»، وأنه هو لقائل «أحترسوا من لدس بسوء لظن»، وهو القائل مع ذلك «أطهروا لد أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسراثر». يوفق في هذين القولين بين سهر لحاكم الذي لا ينبغي أن نحفي عليه حافية، وبين عدل القاضي الذي لا ينبغي أن يحكم بغير بينة ظاهرة

بن لو كان عمر بن الخطاب محدود التفكير ينظر إلى الأمور من جانب واحد لكثر مشورته للكبر والصغار ولرجال و نساء، مشاوره من يعلم أن حو نب لأراء تعدد، وأن للأمور وحوها لا يحصر في اوجه الذي ير، وكثير ما قال «أحرف ما أحرف عليكم إعجاب لمرء برأيه»، ولبس اصطلاح لأراء ولا احوف من الإعجاب بالرأي شمة رحل محصور التفكير، صبق المدهد إلى الحقيقة.

وقد عاشره أناس من لدهة فخبروه وحذروه^١ وقال المعيرة بن شعبه لعمر بن لعدص «أنت كنت تفعل أو توهم عمر شيئاً فيقنه عبء^٢ والله مرأيت عمر مستحلياً بأحد إلا رحمته كأنما من كن ذلك الرجل، كال عمر والله أعقر من أن يحدع وأفضل من أن يخدع...».

إنما كان عمر كما وصف نفسه «ليس بالخب ولكن الحب»^(١) لا يخدعه، وهذا هو الحد الفاصل أحسن لفصر بين الدهاء الحمود، والدهاء المدموم، أو بين الفهم لصحيح والخبث القبيح فهناك فطنة تسمى لظن لأنها تعرف لشرو لني هي ضائع الدس، وفطنة تسمى لظن لأنها تشعر شعور اسوء، ولفرق بينهما عظيم، كالفرق بين الخير و الشر و الحمده و لدمه. فالفطنة الأولى معرفة حسنة، و لفصه الثانية حق رديء، وإنما كان عمر بالفطنة الأولى معصوماً من أن يحدع غيره، أو يحدع لغيره، وهذا هو الحد لقوام سي لانقص منه من حسنه

وكانت له في ستيحاء الخفايا قدرة تقرب من مكاشفة لعيب، لولا أنها تستند إلى التقدير الصحيح، والسر المدعوم بالحبره، وحكاية واحدة من هذا القيل، تغنى عن حكايات، وهي حكته مع المعيرة الذي استكثر على عمرو بن العاص أن يوحى إلى عمر مراده ويتداهى عنه.

فقد هم عمر رضى الله عنه بأن يعزل المعيرة عن لعراق، ويولى جبير بن مطعم مكانه، وأوصى جبير أن يكتنم ذلك ويحذر لسفرك. فأحس المعيرة، وسأل حليصاً له أن يدس امرأته وهي مشهورة بنقص لأحبر، حتى سميت لفظة الحصى لتستطلع، لنبدأ من بيت حبير، وذهبت إلى بيته، فلما امرأته بصح أمره فسألهـ إلى أين تخرج روحك؟ قالت إلى لعمره^٣ قالت لفظة الحصى بل كتمل، ولو كانت لى عبده مرلة لأطلعك على أمره. فجلست امرأه حبير منعصة ويدخل عليها وهي كذلب، فلم تزل حتى أحبره وأحبرت لفظة الحصى، وذهب المعيرة إلى عمر فعدت به بما علم، وهو يقول له برك الله لأمير المؤمنين فى رأه وتوأنته حبيراً فلم يعحب عمر من وقوفه على السر، بل قال: كئى بت بامعيرة مد فعلت كيب وكيب كأنك سمع رى، وأنشدك له هل كان كذلك؟ قل المعيرة الهم نعم. ثم صعد عمر إلى الحبير وتنادى فى الناس، أيتها الناس! من

(١) الحب المجادع

يدسى على المخطط المربى^(١) لسيح وحده؟ فقام المعيرة فقل. ما يعرف بك فى أمتك أحد غيرك؟.. فألقه على ولايته ولم يرل واليه على العرق حتى مات، وإنك كنت محارته للدهية من هذا القليل إعجاب بحصافته لا اخذ عممكره، وقد تتعاسى ويعمل ما يريده المتداهى عليه لأنه أدرك مرمى كلامه، وفهم مافيه من صوب، كم صنع مع عمرو بن العاص فى خصة أم كلثوم بنت على رضى به عهما.. وسيأتى الكلام عنها فى فصل تالى.

على أن القدرة الذهنية التى امتار بها عمر فى غنى عن الاستدلال عيسها بم قل وم قير فيه وما دار بيه وبين بعض القوم من المساجلات و المحورات. أنه عمل لم بعمله إلا القليل من قدر الحكم فى تاريخ بنى الإنسان، وكفى بذلك دليلاً على قدرته الذهنية لا حاجة بعده إلى دليل. سبب من شعوب بيها من الاختلاف مثل ما بين العرب والفرس، وبين الفرس ولقبط والسوريين، وبصب ولادة، وتتدب قواداً، وسير معوثاً وأشرف على مادين قتل، وأقام نصماً فى لحكومة، وراقب رعمه وزعية فيم يعطون ومبسطون، ونجح فى كل ما عمل صاحب منقطع النخير، غير مرود إلى المصانفة ولا إلى ارتحال المعامرين، ولبس هذا كله ما بصطلع به رجل محسود لفكر، صيق الأفق، قيل الخبرة بالجماعات والأفراد فأر استوفى هذا الحظ الوفى من القدرة الذهنية، فدل ذلك حسبه منها وحسب كل من تصدى مثل عمله وبهض بمش وقره^(٢)، ولا عليه بعد ذلك أنه لم يفكر على نمط الفلاسفة، وأقطب العلم، ونسطين المنطق والريضة، من لذب لم تحرج له عمر ليريدا أفلاطون خرا أو قنيدس ثاباً و «ماراداي» سابقاً فى الزمن القديم، بل أحرجه للناس ليكون مؤسس عهد وبحول تاريخ عهد، تادى به عقته إلى تلك العدية، فهو لعقل الصائب، يفكر على البحر الذى خلق له ويبلغ القصد الذى رمى إليه وعلىنا بحر أن يعرف كيف كان تفكيره وأن نسلكه بين قرنته وأنداده.

بما صراب تشبهه لعقل المحنوع على المستشرقين الذين ظنوا به هذا، لطن من ناحية واحدة، وهى ناحية لعبد الذى لا يلتفت ذات بمين وذات الشمال، والقصد الذى يكيل الجزاء دقة بدغة ولا يبالى باسقئص والمفارقات

(١) رجل مخطط مربى يجمع بين لأشياء، ويميز بينها بقوة فكره. (٢) رقره حملة ومسنوسة.

وضرو إني جملة رائه فى المسائل لحلى فبدا هى من الاراء لتي بعل
عنه النقص و لجرم و لانطلاق إني عرض مائل، لا تتحرف عنه قيد شعرة، كأنه
قد جهل ما فى الدب من نقص وخفي ومن عوج وتعرج، أو كأنه السهم
لثقب ينفذ قيم أمامه إني هدفة المحدود ولا يلتفت إلى شىء فى بقاده،
أو يعوقه عائق دونه.

فحصر لهم أن فطنته إما كانت فطنته فطرية، كالعريرة التي تهتدي
على استقامة واحدة، ولكنها لا انحرف ولا تبصرف ولا تخالف ماجبات عليه،
وأبها قصة العقل المحدود، و لصر الموكل بحاب و حد يهد فيه، ولا يحيط به
و يشعب هى نواحيه والفكر المحدود هذ هو فكر أولئك المستشرقين، لا فكر
عمر بن لحدب.

فالرحل لذي يستقيم على وجه و حد، لا بحيد عنه، هو و حد من رحلين
فما رحل يستقيم على هذا الوجه لأنه لا يرى غيره، ولا يحيط بم حوى
وإما رجل يستقيم على هذا الوجه، لأنه قادر على احتراق لعقدت، عالم أنه
تنثنى إليه حث كان بون أن يشئ إليها حيث كنت،
و استقامة عمر بن الخطاب على وجهه من هذ القبر، وليست من ذلك القبر.
هى استقامة قدرة، وليست باستقامة عجز، وهى استقامة تصرف سريع
وليست باستقامة محور مقيد بشئ أن يدور، لأنه قد عبه أن يدور
هى استقامة حية علية، وليست باستقامة داة كالموارين تسوى بن لتر
والتراب، لأنها لاتميز بين التبر والتراب

فالرحل الذى يحتب لتصرف فى العدل محراً عن لفهم و لراماً لانحرف
المكتوب ونزولاً إلى مرتبة لموارين لتي لا تعي ولا تغصب ولا يعر، إما هو لة
فقيرة فى مائة الحياة

أما لاي نجيب انصرف فى لعدل غيره على الضعيف، و قدرة على القوى
وعلم بالبعه، واصطلاحاً جرائرها، هذ حتى على بالحيد لعدل يعرط السليفه
الإنسانيه، والقدرة الحيويه، ولا يعدل لأنه اله نشبه الميران لذي لاحت فيه
وشتن بين هذا وذاك. إبهما لقيضان، ون كايا فى طاهر لأمر شبيهين متقاربين.

والاعتماد على الأمثلة الخاصة، أولى بد هي هذا المعرض من الاعتماد على القواعد العامة والتقريرات اسطرية.

فهذه أمثلة ثلاثة من أمثلة العدل الذي يبدو لأول وهلة، كأنه عدل لموزين لألة حين نمسوي بين الأور، ون احتلفت القيم والأقدار، وتقصر في الأنصاء بعير إلى فو ره الدب، ومقصببت السياسة وتبدل الأحوال، وبخلاف من أهر الأمثلة ودها إلى تأييد شبهات المستشرقين فيما رعموه من العقل المحدود، لرى عى قدر صحامة هذه لأمثلة ضخمة لخطأ فى استخراج متدل عليه.

كان عمرو بن العاص والياً لمصر وكان ابنه جري الخير فى ميدان السدق فدفعه بعض المصريين السبق و حلقا بينهما لم يكون الفرس السابق. وعصب ابن الولي فضرب المصري وهو يقول أنا من الأكرمين فاستدعى عمر الولي وابنه حين رفع إليه المصري أمره، وبدى بالمصري فى جمع من الدس أن يضرب خصمه فثلاً له «اضرب من الأكرمين» ثم أمره أن يضرب لوالى لأن به لم يجرؤ عى ضرب لئس لا يسلطنه، وصاح بالوالى معضباً «م استعبدتم لئس وفد ولدتهم امهاتهم أحراراً» فما منا من يده إلا برصاً من صاحب الشكوى واعتذار مقبول

وكان خالد بن الوليد أشهر قده الإسلام فى زمانه، فأحصى عليه عمر بعض الماحد، ومنها إيفاقه من بيت المال فى عبر مايرصاه، فمربه أن يحاكم فى محسن عم، كما يحاكم صغر الحد، وعزله بعد مقاسمته فيما يملك من نقد ومثع

وكان حيلة بن أبيهم اميراً بصراً، فأسلم وأسلمت معه صائفة من قومه، ثم وطئ أعز بن إزاره فطمه جيلة عى ملا من حجاج بيت الله فمضى عمر للأعرابى، فطمم الأمير عى ذلك لئلا لأن الإسلام لا تغرق بين سوفه وأمير.

هذه أمثلة العدل لدى لايتصرف ولا يلتفت إلى لئسا وما فيها من ورق وتعمريجات، تتأبى عى القصاص المستقيم، وهى من أقوى الشبهات على النظر لمحدود فى تقدير الحراء بالحرف المكتوب، دون النعاب إلى الأحوال والمقتضيات فهى هى فى الواقع كذلك، وهى كان على عمر أن «يتصرف» فى هذه

لأقضية صفه الساسة الدهاة في جميع لأرمن، إذ يحتلون على حرف
الشريعة ويدورون حول حدود افانون؟

نعم كس عليه ذلك لو عجز عن سة المساواة، وحتاج إلى الحيلة، فربما يعب
على الواسى عدل لحو زين، ويحمد منه الصصرف والدوران، لأن المساواة نعيبه،
أو لأن المساواة تعرضه لعاقبة شر، وأظلم من الإحصاف، فإذا نظر إلى عاقبة
المساواة هي المعصية فراه شرأ وأظلم من عاقبة لفرقة والنميسر، فقد وحب
عنه إذا أن دور حول الحقيقة، وألا بواحبها نصأ بعير ابحراف.

ولكن أين هذا من عمر، وأين عمر من هده؟ إنه كس قويا قارأ عى
العواقب وكان شديد الألم من طم الطالم شديد الحر من خذلان مظلوم،
وكان وثيق الإيمان بنصر اله فى لحو وفى البجدة، فلماذا ينحرف؟ ولماذا
يتصرف؟ ولماذا يدور؟

كان قويا يصعه قويا، بإيمانه فلماذا يهاب قويا جأ على ضعيف؟ ولماذا يروغ
من صرامة القاصى إلى دهء السياسى الذى يدور حول الحقوق والحدود؟

لمستشرقين المنحدثين بالتفكير المحدود أن يأخذوا عنه تشهيره بكار
لولة، ويشنوا به كل ما قابوه عن ذلك لتفكير المحدود لذى ينسى الفورق، ولا
يحتال على المحظورات، ولكن بشرط واحد.

ذلك الشرط هو أن يتوقعوا - ولو من بعيد - ن ثور ابن العاص ويطراوه
على هذا القصاص، فيختل حكم لئوله، وينشر الأمر على بضيقة، ويقع من
لمحطور أصعب ماكن وقع لو بطلت المساواه بن اسوقة والولة

أما أن يكون بن العاص ونصرؤه لا ثورون، ويعمون من هو عمر وم هي
عهاهم إذا ثروا عليه.

وأما أن يكون عمر لا يخشى تلك لثورة ولا بعيب بها إذا هي فدحائه
ووحائه على غير انتظار

وما أن يكون الأمر فى صميره، وفى صميرهم بحرى عى سديهة التى لا
حفاء بها ولاشك فيها - فكيف يفل ابن إن يفكر عمر فى قصاص الولة كبارأ
وصعرا يفكير محسود؟ وأبى هو فى هذه بانه موضع التفكير محسود؟

إليه هي موضع و حد، وهو كما أسلف موضع الباعد الذي يصف عمر بغير وصفه، لأنه هو محدود الفكر في قياس الرجال بمقياس و حد أو في اعتداده أن الخطوب تنقي كما هي، ولا تنعير كلما تعيرت عليها أئدى الرجال.

لقد كان عمرو بن العاص خطراً على لصيفة، الذي بعص منه لو كن غير عمر، ولكنه هو والدين كبو أجراً منه على لفتن وأسرع منه إلى العصب لم يكن لهم من خطر إذا كان عمر هو، لدى أمر بالعزل وهو الذي قصي بقصاص

فأجراً منه، لاريب كن خالد بن الوليد و شهر منه بين سيوف الإسلام لو عمد إلى السيف ومع هد بقم خالد عزله فخصب الذنوب ومضى يقو، «بن أمير المؤمنين ستعملني على الشام حتى إذا كنت بثنية - أي حطة - وعسلأ عزاني، واثربها عري» فمب أنهم حتى بهض له رجل من السامعين هق له صرأ أيها، الأمير، فأبها الفتنة. فم نرد خالد أن قل أما وإن الخطاب حي فلا.

نعم، لا فتنة وابن لخطاب حي ولو كن العاضب حالداً لغضوب، ومن مند حق له أن يشكو ولا جناح عنه.

وأطرف من هذا في هيئة عمر بن ولاته وقوده أنه كتب إلى أبي عبيدة ثمره أن يقسم خالداً ماله بصعين، فقسمة جميع ماله حتى بقيت بعلاه، فقال أبو عبيدة إن هذ لا يصح إلا بهد فأني خالد أن يخالف أمر عمر وأعطاه إحداهم وأخذ الأخرى

لقد بطرنا إلى عمر مستقيماً ولم ينظر إلى الخطوب ولو بطرنا إليه لرأينا أنها اثنت لتتقد له، وتتقي مصدمته وتستقيم على منهاجه، فعلمنا لم استقام دون أن نقدح دلت في صدق بطره إلى الدنيا، وصدق هراسته هي خلائق الناس وبدو ع قضايب الولاة وينظر في قضبة الأمر لدى رتد عن لإسلام هو وقومه لأن عمر أجره على قصاص المساواة بينه وبين رجل من السوفة، فمدا كن يسعى أن يفرض عمر غير ما فعل من لمساواة لصدفة بين الأمير المضارب وخصمه المضروب؟

لئن داهنه من بهاة السباسة الذين يصغون أنفسهم بالنظر النعيد كان يؤثر إرضاء الأمير، واستشفاء تبعه في لإسلام، والاحتبال على لشاكي بم

يؤاسيه ويعيبه عن أن يسوى بين الخصمين، ويمكن لضعيف من ضرب أمير
اعتدى عليه

فهل معنى ذلك أن عمر كان يعوره دهاء أولئك الساسة، وما عندهم من بعد
منظر مزعوم؟

كلا حل معناه أن أولئك الساسة يعورهم لسطخ على الخصم، والعيرة على
الحق، واليقين بالقدر، وإيمر بمدة لإسلام أن نصيه غضب أمير صائ
بما يضيره، ولو كثر أتباعه والصابئون في ركابه.

معناه أنهم احسوا إلى التصرف، وعمر لم يحجج به.

وهي دي السجون قد مصت، وتلتها لأحقب وقرون، فبدأت ليوم أن
لنضر لتعيد ولعدل الشديد في هذه القضية يلتقيان، وأن عمر كان أحسن
المتصرفين فيها، لأنه احتتب لتصرف دي يهوه الدهاة فقد فاد لإسلام ما لم
يفده بقاء حيلة وأتباعه عسى دينه، ووقه ضرر أصخم وأوخم من نكوص أولئك
الصابئين عنه أفده ثقة أهله بإقامة أحكامه، واطمئنان الصغفاء إلى كفه، ورهبة
لأقوياء من بنسبه، وسمعته في الدين برعانة الحق، وإحاز بوعده، وتصديق معنى
الدين ولا معنى له إن كان أضعف بأست من أمير وجب العقاب عليه.

ويحور أن الفروق لم يضطر إلى عواقب القرون، كما ننظر إليها الآن، بعد أن
برزت من حصر انقراض إلى حصر العيان عسر أن الأمر الذي لا يحوز في
اعتقاداتنا أنه عدل في قضية حنة ونطائرها، عدل آلة أو عدل ميرر إن الميزان
لأقر من محبوق له حياة، أما الفروق في هذه القضية فقد كان أكبر من الحدة
القابضة، كان بصلاً يؤمن ويعمل بإيمانه، وهكذا يعو الإنسان بطولية الإيمان.

والعسرة التي نخرج بها من هذا أن لطرة الأولى في أحلاق عمر من
الخطاب حسنة ولكن النظرة لثنية هي على الأغلب لأعم أحسن من لأوى

فالناقدون لأورسون الدين فسروا عدله المستقيم القاصع بالنظر الصيق
والفكر محدود لم يفهموه ولم ينصفوه ولوقههموه وأنصفوه لعلوا أن عدله
المستقيم قاصع زيده في لفدرة، وليس بنفس في القطنة، أو أنه زيادة في قرة
الثقة، وهوه الإيمان، وليس بنفس في العزم والبداهة، ولم يكن عسير عليهم أن

يفقهو ذلك لوراجعوا، أنفسهم وتريثو في حكمهم، لأن قوة، الثقة وقوة إيمان
لأخفين في خلق من أخلاقه، ولا عمر من أعماله، ولا ذالان ممزوجتين فيه بكل
إقدام وبكل إحكام فكس يقدم على أعظم الخطوب ويحجم عن أهون الهيئات
تخرجاً منها وتزهاً عنها، إذ، انصبي ذلك ورع من قوة إيمان

فلم يكن يمضي قدماً لأنه يحفل عم حوله من التوسى والمعرجات والسدود،
من كان يمضي منها قدماً لأنه لا سالها ويؤمن صدق الإيمان، بها تنشى له،
إذا مضى فيها، فلا حاجة به أن ينشى إليها.

إبه لعم لعوج، ولكنه يعلم أنه أقدر منه، لأنه يؤمن بحقه إيمان لقوى
الرشيق، فله من قوته ومن إيمانه قدرتان

إبه لبرفع العيب إلى كفه، وهو قائم لابطأطي لبهوض به، فيس لفارق
سبه وبين عيره أنه يجهر العيب لدى يعرفه، أو يسى العواقب التي
يذكرونها، أو يحس من المصاعب التي يخرجون منها. كلا إنما الفرق سبه
وبسبهم أنهم ينشون للخطوب، وأن خطوب هي سى منشى إليه.

هذه لقوة في إيمانه كنت هي المسيطر الأكبر على كل خلق من خلقه، وكل
رى من أرئه، من كنت هي المسيطر الأكبر على ما هو أصعب مقادراً من
الأخلاق والآراء، وتشد عرماً^(١) من العقائد ولشبهات، وهي دوافع لطمع
وسورت، بعزيمة، وقلماً خلا منها طمع قوى عروف غيور

فالأفكر والأخلاق حذبت من جوانب النفس، لإنسانية، قدس لنصوبط
والقبول ولكن ما القول هي الدوافع والسورت؟

مثل الفكر كمثر السفينة لصافة على وجه النهر بها شراع، ولها سكان،
وعليهما معاً رقيب من البواتية^(٢) والربن^(٣)

ومثل الحلق كمثر النهر المتسع تحسسه النواطي والقناطر، ويهيض هي
موعد، ويعرف له مجرى، ويحسب له مقدار.

ولكن، ما القول في السيل العرم؟

(١) أشد عراماً أشد شراسة وشدة.

(٢) البواتى الملاح في البحر خاصة، جمعه البواتية

(٣) اربان بضم الراء من يجرى السفينة

ما القول في السورة لجامحه التي ليست بفكر يسوس ويساس، ولا بحق
متمير بسماته وخصائصه ومزجه؟!

هنا تدور قوة الضوابط والقنود. وهنا أيضاً كانت ضوابط الإيمان القوى
في نفس عمر كأقوى ماتكون.

ولا أحسب أن قلبه الكبير حمحت به في الحاهلية أو الإسلام سورة أكثر من
سورته، يوم نعى النبي إلى المسلمين، فأنكر أن يدعى، ونى أن يسمع صوتاً
بين المسلمين يرغم أن محمداً قد مات وصاح و ناس في رهبة منه، كرهتهم
من شيع الموت المخيم يومئذ على لرعوس «والله إني لأرجو أن تقطع أيدي
رجال وأرجلهم، يرعمون أنه قد مات».

ثم أقبل أبو بكر من مسكنه على فرسه، فبرل عنمشى وثداً صامتاً لا بكلم خدأ
وتيمم النبي وهو معشى بالثوب، فكشف عن وجهه ثم كعب عليه وقبلة، وبكى

ثم أحس صولة عمر، وهو يكلم ناس، محرج إليهم فقال احلس يا عمر
وأقس على المسلمين يكلمهم بكلام لسماء «أما بعد، فمن كان يعدد محمداً فبن
محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فبن الله حي لا يموت. وما محمد إلا رسول
قد حب من قبله لرسول، أقبل مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن يقب
على عقبه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشكرين».

فنهوى عمر إلى الأرض وأتاب.

وكأنه والمسلمين معه ما علموا أن أنزلت هذه الآية، حتى تلاها عليهم أبو بكر
تلك الساعة.

بالروعة الشلال الزاخر

وبالروعة لمسابح بفاهر، لدى لوى به لنا، كأنما قبض منه على عرف، وأخذ
له بعبان

كسر ميدان من مبادي الدنيا لا يرينا صرعاً عابياً هو أولى بالروعة من
نفس عمر، وهي متروحة بين شعوره الراهر ويمانه الوثيق

لحظة هائلة من أهول مانحس النفوس، ثم انهرم كئسرع ما يكون الانهرام،
وانبصار كئسرع ما يكون الانبصار، وعاشيه ننحلى عن صاحب تلك النفس،

وهو مالك لزمانه، ماحي شعوره إني حدث يمضي به إيمانه، وهما قوتان عاليتان، وليست بعد بالعسكريين المتغلبين

لقد كنت تلك سورته الكبرى، ولكي لم تكن أولى سوراته ولا خرتها فقد عهدت هذه السورات في صغره، حتى عرف من عهدوها كيف يسوسونها ويتقونها، وأوشكت أن نجس في عداد الأنهار المحكومة، لا في عداد السبل الجارية، سطلت من عقلها.

ذهب إليه دلال مستنداً فقال له لخدم إنه نائم فسأله كيف تحدث عمر؟ قل خير لناس إلا أنه إذا غضب فهو أمر عظيم قال دلال لو كنت عنده، إذا غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه!

فهو الإيمان ضابط كل شيء في تلك نفس، حتى السورات التي ليس لها ضابط في النفوس.

أول نه هي نفس القرية هي دفعاتها، وهي ضو يطها على السواء. ورب نفس من ضعف الدفعة بحيث يقمعها هون ضابط يسيصر عيها، فأما الدفعة التي لا يقف في صريقها إلا صابط أقوى منها فتلك هي الصبغة الحيوية المضاعفة، وليست هي الضعف لدى بترجع لأهون مراحلة

تذكر هذا وينعني أن تذكره ولا نساها، لأن العرق بين الإيمان لدى كبح الهزبل المتزوف لحدة، وبين الإيمان الذي يكبح لقوى الحبش هرق عظيم ولم يكن عمر معرضاً عن زحارف الحياة لهدال كان في دوع الحياة فيه ونم كان معرضاً عنها لأنه كان قادراً على الإعرار غير مستحربه في إرادة ولا عزيمة.

وكان معرضاً عنها لأنه صاحب حسوية غير لحبوية الجسدية، الموكلة بالسرور والمتاع.

فمن الواجب إذ ذكرنا لحبوية وضعفها وقوتها، أن نذكر أيضاً أنها حيويات متعددة وليست بحبوية واحدة.

حبوية لروح وحبوية لخلق، وحبوية الدوق، وحبوية العقل، وحبوية الجسد، وغير ذلك كثير مما يداخل بين هذه الحيويات

فيس من الضروري إذا ريت رجلاً قليل الاشتهااء لمعة الأجساد، أن تحكم عليه بصعف الحيوة، فربما كانت له حيوية أخرى تملأ ألوفاً من النفوس، لا تجد متاعها في أكله أو شهوة، وتحد المنع في حفاق لحق، وزحر الصعير، وإقامة العدل والشرعية بين الناس.

وهكذا كانت حيوية عمر هيم يريده وفيما يرهد فيه

لم تكن قلة الرعية في زخارف الدنيا، هي مقياس حيويته لعظمى، وإنما كان مقدس تلك الحيوية عظم الرعة هي الإصلاح و لتقويم، وهي إحراء ماسغى أن بحرى. عمر مبدل مكلفه ذلك من جهد تتضاعل بونه جهود لألوف من لوكلين بمتاع الأحساد.

تلك صورة محمئة للصغاب الحلقبة الكسرة، لتي كانت غائبة على نفس عمر بن الخطاب، وهي العدل والرحمة والغيرة والعطة و لإيمن.

وأول ما يلاحظ عليها تعدد الصفات الغالبة هي نفس واحدة، وصفة واحدة منها قد تعب على انفس - وليست بصغيره - فتبعتها بعتها وتستأثر بسميرها والدلالة عليها.

ثم يلاحظ عليها أن الصفة منه تتصل بعمر بن لخطب، فتأخذ منه وتتصطنع بصيفته، حتى كأنها لم تعهد في غيره على شيوعها، وكثرة الموسومين بسماتها.

لا أن هذا يدل ليس بأعجب الملاحظات، ولا أندرهما في هذا السبق، وإنما لعجب العاجب حق هذا التركيب لدى سر مثيله حد من خصائص النفوس كأنه مكان بصيب صاحبها من العظمة والامتاز.

وأخرى بنا أن بقول «هذه لتركيبية» ولا بقول هذا التركيب، لأن صفته الكبيرة سركب كما تتركب أجراء لنواء، لدى يقع بعرض و حد مفهوم، والذي يفتص حراء منه، فسقمس بفعه كله ويدخله التناقض و لاحتلاط.

إذا بطرت إلى تلك لصفات أحرء متفرقات فهي سهبة بسيمة، ليس فيها شيء عويص، أو مكتنف بعموص

وبكث نظر إليها مركبة مناسبقة، فببذولك منها جاسد لدهشة و لإعحر،

أو حب، لندرة لنى يعر تكرارها فى طبئع، لنفوس، لأنها تتركب لاستيفاء الغرض منها جميعا واستيفاء الغرض فى كل منها على حدة وهذا هو الندرة حد الندرة فى تركيب الأخلاق.

ما لعدل مثلاً بغير الرحمة التى نمزجه بالإحسان؟ وما لعدل والرحمة معاً بغير، الحماسة الروحية، والغيرة البقضى التى تجعل كراهة المرء للظلم، كأنها كراهة الضرر الذى يصيبه فى نفسه واله، وتجعل حبه للعدل كأنه حب هواه، وقبلة مناه؟ وما لعدل والرحمة والغيرة جميعاً بغير فطنة تضع الأمور فى مواضعها، وبعضم المرء أن يستخدع لمن لا يستحق، ويعمل عمر يستحق وهو حسن القصد عبر منهم الصغير؟ وما لعدل والرحمة والغيرة والفطنة بغير الإيمان الذى هو الرقيب الأعلى فوق كل رقيب، ولأزاع الأخير بعد كل وزع والمرجع الذى لا مرجع بعده لطالب الإنصاف؟

كل صفة تنمى لجميع الصفات

وكل الصفات روافد لغرض واحد، يتم به نصر الحق وبخذلان الباطل.

وكل خليفة هى جزء لا ينفصل من هذه التركيبة، التى تفقت أحسن تعاق، وأنفع اتفاق، وكأنما اتفقت لتصبح كل حلقة منها على أتم قدرتها فى بلوغ كمالها، وتحقيق غايتها.

فلا نقص فى العدل، كسقص فى كل عدل، يعنى عن اصبعه البشرية، ويذهل عن ضعف الإنسان

ولا نقص فى العبرة، كاسقص فى كل غيرة، ظالمة قاسية، كأنها ضراوة وحشر، وليست بحماسة روح.

ولا نقص فى أولئك كله، كالنقص فى جميع لصفات بغير الفطنة التى تحرج بها من حلال إلى نحر، وبغير الإيمان الذى ينفذ موقف الحارس الساهر والرقيب الأمين.

صفت منراكة كأنها صفة واحدة، يأخذ بعضها من بعض، فلا تتعد، فى مرآها، ولا يرال هى صورته بساطة بعده عن لتركيب يحيطىء النصر القصير فى التفرفة بين هذه لظاهرة نفسية الرائعة، وبين ظهرة النشء البسيط

لحدود، وربه لخطأ شائع بسباق إليه كثيرون مع يستسهلون بساطة عمر،
وهي أولى بالروعة من تركيب يختلط من كل مريج، ثم يريد هي الألوان، ولا يريد
في الإلتصاف والتوحيد و لإيقن.

ولو أن مخترعاً من أهل القصص، حاول أن يحترع سيرة عمر بن الخطاب،
لأعباه أن يخترع ذلك الشئت لمذوق من الأخبار والاحاديث والوادر، ليقرأه
لقارى بعد ذلك فقلل منه ما يقلل، ويسقط منه ما يسقط، ثم يبقى منه ما يدل
أصدق الدلالة على كل صفة من تلك الصفات.

فلا خترع في حملة أخضر عمر وبن حاز لشك في بعضها، أو جار إسقاط
الكثير منها، ومن شاء فليشك في هذا الخبر أو ذاك، مسداً له لثت ويسقط
منها ما بد له إسقاط، فسحقى بعد ذلك جميعه خبر يد على عدله ولا سبيل
إلى بقضه، وخبر يدل على رحمته ولا سبيل إلى بقضه، وحبر يدل على غيرته
ولا سبيل إلى بقضه ويبقى ذلك التركيب لعجب الذي هو موضع الإعجاز
وموضع الدهشة، وموضع لسؤال في مصادر الأخبار

هذه هي المعصية التي عيباف حين قلنا في صدر هذا الفصل، من سهولة عمر
وحلو صنائعه من سعيه وغموض، هي سهولة أصعب من الصعوبة لأنها تنهى
بك إلى صعوبة لتركيبه التي هي اندر من التعقيد وغموض، وبريك عناصر شتى
قد تتدفق في غير هذا التركيب ولكنها هنا لا تتنافس في شيء ذي دل، لأن
لنناقض أن يذهب كل عنصر في وجهة معارضة لسائر الوجهات، أما أن تكون
كلها ذهبة في وجهة واحدة، عندك عنصر واحد متعدد لآراء و ألوان

ولهذا كانت دراسة عمر عنيمة بكل علم يتصور بالحياة الإنسانية، كعلم
لأخلاق، وعلم لاجتماع، وعم السياسة، ولم نفحص من يا هذه لدراسة على
علم النفس وكفى.

لأن كل نفس صغرت أو كبرت، فهي إنسان يصنف العلم به إلى علم النفس
بعض الإضافة.

ولكن ليست كل نفوس نفس التي تصحح وهام لواهمين في فصول لأخلاق
وفصائل الاحتماع، وفي لقدوة المثلى التي يفتدى بها طلاب لرفعة والسيادة

وبحر في عصر شاعت فيه فسيفس مسهية، نكر الرحمة والعدل على الأقوياء الغيورين وتحسبهما حيه من حين الطبع هي حلائق الضعفاء لاسندامه البقاء كائن رحمة الضعيف تنفعه إيا رحم، وكئن عدل الضعيف ينفعه إد عدل، و كائن القوى يخلق نفسه لنفسه، ولا يصق قوياً لتنفيد قوته فثدتها في خدمة المحتاجين إليها.

فعمر ذو البأس و لعدل، وعمر ذو الرحمة والعيرة، أصدق تفنيذاً لذلك لوهم الأخرق لسدد. إر كنت رحمته وعدله لا يافقص البأس والعيرة فيه، بل كان بأسه معوياً لرحمته، وكنت عيرته معوياً لعدله، وكان هو قوياً ليتفع الدس بقوته، ولم يكن قوياً لطعى بقوته على الضعفاء

ولم يكن بزماً أن يقسو ذو البأس ولا يرحم؟

ألا نفسو الضعيف؟ فم اعجب إرس من رحمة القوى؟ كل ماهاك أن رحمة الضعفاء غير رحمة الأقوياء، فأما العقر الذي يرى برحمة غريبة في الأقوياء، ويرى القسوة عريه في الضعفاء فهو يرى غير الواقع من هؤلاء وهؤلاء، إد الواقع في دنيا أن القسوة لاتدل على القوة، وأن الرحمة لا تدل على الضعف، وأن ليس في الدنيا أفسى من الأطول وهم أضعف من فيهم من الضعفاء.

وبعير إمعان طويل في دقائق النفس الإنسانية، استطعت امرأة محرونة أن تفرق بين لخصلتين وتجمع بهما معاً في عمر بن الخطاب، ونعنى بها عتكة بنت زيد حين قالت في رثائه

رعوف على الأدني عيظ على العدي حتى ثقة في لئائدت منيب
وهي تفرقة سهية، ولكنها صادقة جامعة، فغير عجب أن يكون إسان كدال، وإما هو أوفق شيء لطائع الأشياء.

مفتاح شخصيته



مفتاح الشخصيه هو الأداة ، الصغيرة التي تفتح لب أبوابها ، وتنفذ ما وراء أسوارها وجدرانها ، وهو كمفتاح است هي كثير من مشايه والأعراس ، فيكون البيت كالحصن الملقى ما لم تكن معك هذه الأداة الصغيرة ، سي قد يحميها في أصغر حسب ، فإذا عدلحتة بها فلا حصن ولا إغلاق!

وليس مفتاح الحب وصف له ، ولا مثيلاً لشكله و تساعه ، وكذلك مفتاح الشخصيه ليس بوصف لها ، ولا يتمثيل لخصائصها ومزاياها ، ولكنه أداة تنفذت إلى دحائلها ولا ترد .

ولكل شخصيه سياسة مفتاح يسهر الوصول إليه أو يصعب على حسب اختلاف الشخصيات وهذا يُصَبُّ مقربة في شكل : لعرض من مفتاح البيوت قرب بيت شامخ عليه باب مكين يعججه مفتاح صغير ، قرب بيت صنيع عليه باب مزعزع بحار فيه كل مفتاح

فلمست أسهولة والصعوبة هت معقبتين بالكر والصغر ، ولا بالحسن والدمية ، ولا بالقصية والقصية قرب شخصيه عظيمة سهلة لفتح ، قرب شخصيه هزيلة ومفتاحها خفي أو عسير .

وقد يحير الرجل ندى قبل في وصفه مثل ما قرر في بن عدد

لا نمحس ابن عباد وإن هطبت يده بالحدود حتى شدة لديم^(١)

فأبها خطرات من وسواسه بعضى ويمنع لا بحلا ولا كرما

فرب لا يستطيع أن ينفذ منه إلى مواضع اللوم أو مواضع الشدة ، ولا يدرى حقاً أعمله من الكرم أم من اسخل ومن الرفعة أم من الحسنة ومن الشجاعة المحمود أم من الحب المموم وعملة ما ينهى إليه أن يفض المشكلة بكلمة واحدة هي ابوسواس وهي حيلة تلحننا إليها قلة الحيلة لأن تفسير لأعمال

(١) لديم جمع ديمة ، وهي السجانه المنقطره

بالوسواس يفيدنا هي تقدير صاحبها وتقدير أعماله وأخلاقه ولكنه تفسير له معنى واحد في لاهية، وهو ترك لنفسه.

قد تحيرنا هذه الشخصية المقوصة، ولا تحيرت الشخصية الكاملة التي تروعت بعصائلها ومزياتها، ثم لا تستعرب منها قضية أو مزية، بالقبس إلى انتظام عملها، وتصل أثرها، كالشمس لصدعة تروعت بإشراقها في أوقاتها وبروجها، ثم لا تحيرنا لمح عيون كم تحسبنا الذبالة، لصنعية، بومض لحظة ويحسب من سعيد.

وهي اعتقادنا أن شخصية عمر من أقرب الشخصيات العظيمة مفتاحاً، لمن يبحث عنه، فيس فيها باب معصل لفتح، وإن شتمت على أبواب ضحام.

وقد ذكر في الفصل لسابق أن إيمان عمر هو الصبب الذي يسيطر على أخلاقه وأفكاره، كم يسيطر على مواقفهم وسوراتهم، ولكن الذي يبرده بمفرد الشخصية شيء آخر غير معرفة الصابب الذي يسيطر عليها، نريد به «اسمة»^(١) التي تميزه بين العظماء حتى في الإيمان وسيطرته على الأخلاق والأفكار ولباوع والسورات، فإن «إيمان ليقوى هي نعرس كثرات، ثم نخلف آياته وشواهد باختلاف تلك النفوس، وهذا نبحث عن «مفتاح الشخصية» لنعرف به لفرق بين الإيمان هي طبيعة عمر، وبين الإيمان في طائفة غيره من الأقوياء

و لدى براه أن «طبيعة الحندي» في صفاتها المثلى، هي أصدق مفتاح «الشخصية لعمر» هي حملة ما موثر أو بروى عن هذا الرجل العظيم

فأهم الخصائص التي تتجمع «لطبيعة الحندي» في صفاتها المثلى الشجاعة والحرم والمراحة، والحشونة، والغيرة على الشرف، والسجدة والخوة، والنظام والطاعة، وتقدير الواجب والإيمان بالحق، وحس الإنجاز في حدود التبعات أو المسؤوليات

هذه الخصائص قد تجمعت بعد ألوف سنين من تجارب الأمم في تعبئة لحيوش، حتى عرف الناس أخيراً أنها لازمة للحدي هي مثل حالاته، فما من خاصة منها يستعنى عنها الحندي الكامل لدى تحسب بأحمل صفاته وألزمها لتحقيق وجوده

فانظر إلى هذه الخصائص جميعها، هل تجدت محضاً إلى السقيط طويلاً

(١) لبس العلامة وإشارة المبره

عن واحدة منها هي نفس عمر؟ هل تحدث محتجاً بي فتعمل، أو ستقصص
جمع أشنتها، ولا هتدء إلى شو هدها ومواقعها؟

كل هذه الحصائص عمرية لأشك فيها، فهو لشجاع، الحزم، الصريح،
الخشن، المصبع، العيور على الشرف، السريع بنجدة، المحب للنظام، المؤمن
بالوحد والحق، موكل بالإنجار، العارف بالسعوت ومسئوليات

هذه الحصائص واصحة كلها في عمر، وعمر وحده وضح بين أمثاله هي
جميع هذه الخصائص، حتى لخير ليد لو ر أحد مولعاً بآليف لألغار سأل
عن عظيم في لإسلام ولعروبة، منصف بجميع هذه الخصائص على أصدق
وأمر حالاتها لكان الحواب الواحد عن سؤاله اسم عمر بن لخصاب

وقد يكون العجب من موهر هذه الخصائص في تفريعاتها الثانوية،
وُشكالها لعارضة، أسمع وأدل على العمق والتأصر من توافر الخصائص
الحسنة، التي هي بمثابة، لأصور الجامعة في صنائع الحنود.

فليطم مثلاً ليس بالخلق لأصير في الحدي الباسل، فقد مساو إليه
طبعه، وقد يحتاج إلى نعوذه وإمامه، حتى يكسبه بطول المراتة
لكن الصدم كان حلقاً أصيلاً هي طبيعة عمر، حتى عيب يتفرع عنه، ويدخل
منه في عداد الأشكال والتوغل (١).

رأيتة وهو يصبي بالباس فلا يكر حتى يسوي الصفوف ويوكل رجالاً بذلك؟
أرأيتة وهو يرى الناس يحتمعون بالاسجد في شهر رمضان أوزعاً متفرقين
حول كل قري، فتأمرهم أن يحتمعوا إلى قري وحاد؟ أرأيتة وهو يحمر الدرة
لنسه المحالعين في الطريق، ويذكرهم هبة القانون؟ أرأيتة وهو يركب في
السوق، فيكسر من دور من الدكاكين، ويحقق لتجار بالدرة إذ تكوهوا على
الطعام (٢) وقطعو صريق لسبلة (٣) رأيتة وهو لا يزال يأمر بالمثاعب (٤)
والكف (٥) أن تقصص عن صديق المسلمين؟ أرأيتة وهو ينهي الولاءة عن الانكاء هي
محاسن الحكم؟ ويكتب إلى عمرو بن العاص «وقع إلى أب تنكي في مجلس
فإذا جئت فكن كسائر الناس ولا تنكي».

(١) التوغل جمع غفلة، وهي الرادة.

(٢) المثاعب، مسائل الماء.

(٣) لكف، جمع كسف، وهو الحظيرة من الخشب أو الشجر، تسد للإبل والبعير، لتقيها الحر والبرد.

بل رأيتُه وهو يرعى المراتب، فيرل درحة من سلالم المنر بعد نى بكر' لأن
الحليفة الأول أحق منه بالتقديم؟

ذلك هو السمى العسكرى بالفطرة بتى فطر عليها، وليس هو اسمى
العسكرى بالأسوة والتعليم.

وبالفطرة لنى فطر عسها كان حب ما يحس بالحنى فى بده وضعمه، وبكره
مألس باستحسن هيه فكان يقول: «ياكم واسمة هيه عقلة^(١)»، وكان يقول:
«ياكم و لبطنة فئها مكسلة عن لصلاة، ومفسده لحسم، ومؤدية إلى السقم،
وعليكم بالفصد فى قوتكم، فهو أهد من السرف، وأصح سدر و أقوى على العبادة»،
وكن بأمر بالحد، ويحتر من المهارل لأن «من كثر ضحكه قلت هيسه، ومن كثر
سقطه^(٢) قر ورعه» وكن يمشى «شديد لوط» على الأرض جهوى لصوت» كما
يمشى الجنود وكما يتكلمون وكان بأمر بتعلم ارمية و، سباحة والفروسية
و لمصرعة، وكل رياضة بتدرب عليها لجندى، وتتهب بها الأدا والأخلاق.

وإذا ارتقينا من هذا إلى لنظام لأشمن، والنقسم لأعم الأكمل فهناك،
عمر بن الخطب الذى دون «لدواوين» و«حصى كل نفس فى «نبوة الإسلام»،
كأدق إحصاء وعاه أبولكون بالتحسب فى العلم الحديث، فما من رحر أو مرأة
أو طغر إلا عرف اسمه، وعرف مكانه، وعرفت حصنه من بيت مال المسلمين.
وم من محاهد إلا عرفت له رتته من السبق، ولتقديم على حسب المراتب النى
بمتر بها الجنود «الحاضرون فى «الحديبية» يأتون بعدهم فى التقديم،
والدين اشتركوا فى حرب الردة ينون بعد هؤلاء وهؤلاء، و يزين حاربوا فى
معارك الروم والفرس ومعهم أساء العزة فى بدر يحققون بمراتب هؤلاء
المتقدمين، وقس على ذلك ما بيه من سائر المراتب فى حقوق التقديم والنقسم.
ثم هدت عمر بن الخطب لندى عشر الحور، نى جعلهم عشر ت عشر ت،
ثم قسمهم إلى كتائب وينود.

وهناك عمر بن الخطب الذى لم يدرك قط تدبيراً كبيراً أو صغيراً فى شئون
النبوة إلا بنظام لا يختل، أو على أساس لا يحد.

وقد كتب له طريقة الجيد هى «تصريف اسريع» اذى ينفذ إلى لعرض من

(٢) السقط لخطأ من قول ولفظ

(١) عقلة الفسد واعتقال

أهرب طريق فما مشاور اسسمون ماذا يصنعون بسهر بن عمرو، حطيت
لشركين يومئذ وأقدر احائصين منهم في الإسلام، قال عمر بن الخطاب
«يرسون الله»^(١) برع شبيهه^(٢) لسفيين فلا يقوم عليك حطياً^(٣) بدياً، وكان سهيل
أعم - أي مشقوق الشفة السفلى - فإذا برعت ثنيته فقد عمر عن لخطبة من
غير ما حاجة إلى عهد أو تحدير، أو شغل شاغل بسكته والرد عليه

والقصاء لم يكن من لوام «الطبيعة الحذية» وإن تولاه القادة والحد في
أيام الفن، ولأيام التي تقدم فيها الدول لاشئة، ولصم الحديد
ولكن كم من قضية لعمر بن الخطاب تذكرت بالقضاء العسكري الذي يمنع
الصبر من أقرب الطرق، ويحمي الأكثرين بلحد من حقوق الأقبي.

هتفت امرأة باسم نصر بن حجاج، ونمت ان تشرب الحمر وتلقه، فأرسل
إليه، فردا هو أحسن الناس شعراً وأصبحهم وجهاً فأمره أن يحم^(٤) شعره،
فظهر جبينه ووجنته فزاد حسناً، ثم أمره أن يعتم، فزدته العمامة زينة
وعواية، فقال لا سكن معنى جل تهف به لعوائق^(٥) في خورها وزوده بمل
وأرسه لي البصرة ليعمل في تجرة تسغه عن الداء، وتشعن الساء عنه.

وفي القصية حور على نصر بن حجاج لاحدال فيه، ولكن في سبيل مصلحة
أكر وأقبي، أو في سبيل مصلحة برعاف «الحكم العسكري» في أرملة كرمين
عمر، ويقضى فيها بما هو أعجب من إقصاء نصر بن حجاج، برعاف أحياناً
بجمع لإقامة يمكن، ومنع المرور من طريق، وتحريم نجرة لا حرام فيها،
ومرقة إسبن يحشى أن يقوب إلى حريمة وتقييد السهر بعد موعد من الليل

ولست نقول إن هذا الحكم في قضية نصر بن حجاج، كان حكماً لزماً لا
محيص عنه، ولا مأخذ عليه، ولكنا نقول إنه حكم فيه تلك الصبغة العنرية التي
سميها «مهاج شخصيته»، وهي المقصودة بما كتبه الآن.

وقد كان له في قصائه ذلك الحرم الذي يقطع الحاجة^(٦) ويهض بساحة
على كل ذي خلاف كمن أشبحر^(٧) الخلاف، كتب إليه أبو عبيدة من دمشق أن

(١) الله من الأسس، وجمعها ساس وشباب وفي لغة ربح (٢) نجم شعره، بصره (٣) لعوائق جمع
عاب وهي لسانة صغيرة (٤) ساحة بشاري لخصم (٥) سجر الامر اضطرب وتنازع فيه

عمرو بن معديكرب، وأنا حنبل وصر رأ وجماعه من عنة لقوم والوجه، شربوا
 الخمر وسئلوا فأجابوا «بنا حيرنا فاخترت قل ﴿فهل أستم مُتَهَوِّد﴾ ولم
 يعزّم^(١)» وكان بنا عسدة تخرج من عقب هؤلاء العلية، مرفع أمرهم إلى
 الحليفة يستفتيه، فلم يست التريد أن بلغ المدسة حتى عد إليه بأمره أن يدعوهم
 عى رعوس الأشهاد، وسألهم سؤالاً لا يزيد عليه ولا ينقص منه أحاد الحمر
 أم حرام؟ فن قالوا حرام فليجدهم، وإن قالو حلال، فليضرب أعناقهم.
 فقالو بل حرام، فجلدوا وناو

وريم تحمض للرجل كرم فى «طبيعة الحنلى» من الخصائص وبقيت
 محسوسة فيه لا يدري بها لاس لا أن يأتى بعمل ينم عنها، هدى نفسه
 بطبيعته تلك، ولا يدري غيره، ويكون مطوعاً عى أن يصيح، ولا يكون مطوعاً
 على أن يطع، وإذا جعته طاعة المطيعين له، فإما تحينه من سلطان النمام،
 وحكم الشرع، وغلة لعدان لأن استجاعه مثلاً لا تلام الهسة فى كل حال،
 فقد يكون لشجع مهيب، ويكون غير مهيب أحب ممن تقبحهم لأنظار،
 ويجترئ عليهم المستحقون.

أما عمر بن لخطاب فقد كانت له «طبيعة، حنلى» ظاهرة وباطنة، تبادر
 بقوب كما تبادر لأمصار، وتلامه كأنها عصو من أعضائه، مما يجترئ عسه
 محبرى إلا أن يطمعه هو، ويسهو عن نفسه لحظة ليعريه بالاحتراء.

وهى فى موقف الأمر محض من لا يحاف، ويحفر منها من يحمي بده
 أو كبرياء. شك إليه رجس من سى مخزوم أنا سفين لظمه باه فى حد كن
 سنهم، دعا بأنى سفن و لحزومى ونهسو إلى المكان الذى تدرعاه، وبطر
 عمر معروف صدق الشكوى ونادى بأنى سفين حد ب أن سفين هذا لحر
 من هت فضعه هنا، فأنى وتردد، فعلاه بالدره وهو يقول خده فضعه
 ها هب، فبك ما عمت قدم لطم فأحد أبو سفن لجر، ووضعته حيث
 قال، ولو غير عمر أمره هذا الأمر لاستكر أن بطيع أو شها عيه شعواء لا
 ترمس جريرتها

(١) لم يعزم لم يحدد حكماً لاطف. وعريمه «لا فريضة لنى فريضة»

كان^(١) يوماً في مجلس عمر ورياد بن سمية^(٢) يتكلم، وهو يومئذ شبيب فأحس كعادته في محال الخطابة واشتورة، فأعجب به عمر، وهتف به له هذا لعلام لو كان قرشياً لسق العرب بعصاه.

وكن علي بن أبي طالب إلى جانب أبي سفيان، فمال إليه هداً، وهمس في أذنه كلاماً، فحواه أنه يعرف من أمر ذلك العلام من قریش. قل علي فمن؟ قل ذلك. قل. فم يمنع من استلحاقه؟ فهمس له: حاف هذا الحارس أن يخرق علي إهائي^(٣).

وخلق بمثل هذا رجل ألا يكون له شعار غير شعار الجند حيث كانوا لأمر هو الأمر، والطاعة هي الطاعة

وحقيق بالرس أن يفهموا ذلك عنه بغير بيان، لاسيما إذا فهموا قبل ذلك أنه متى وجبت الطاعة، كان هو أول من يطيع. ذلك هو الجند المطبوع

جندى من جنود الله في معترك الحق والإيمان وإذا استؤمننا المثل إلى أقصاه، فلقسوس المطاع هو بقرار، والقائد الأعلى هو السى الذى يوحى إليه وليس أحد بعد ذلك أكبر من أن يطيع بأمر الله والطاعة واجب لا هردة فيه ويأمر القائد الأعلى فقد يراجه من دونه ويرفعه معاً إلى القانون، لأن الصلة لا تمنع المراجعة والمشاورة، ولكنها تمنع السرد على القائد الأعلى ويكر سلطانه حين استقر على قرار، فإن رجع لقائد عن أمره فحسن، والمرجة إذن خير لا صرر فيه، وإذا مضى هي أمره فلا خلاف، دن قيم يحب فالذى يحب إحد واحد، وهو أن يطاع كذلك راجع عمر السى في مسائل شتى فتأخذ بنبي برأيه في بعض هذه المسائل وحالها في بعض، فلم تكن طاعته وبم خلاف فيه أقل ولا أضعف مما يوقع عنه.

وكذلك راجع الخليفة أبنا بكر في كريات مسائل وصعدها، فكان أبو بكر يثوب إلى رأيه^(٤) كثيراً، ويصر على ما بدا له، رأى الحسى في الإصرار فيطيع عمر أمره بعد ذلك، كأن لم يكن خلاف

(١) أبى موسى

(٢) شتهر باسم «رياد بن سمية» ولم يكن معروف الأب، وفي عهد معاوية، شهد بالناس من المسلمين أنه من أبى سفيان، فاستلحقه معاوية «أبى عرف به أحاً له» وولاه لبصرة اشتهر بذلك، وسعة بصيرة، والصناعة (٣) لأب الجند. (٤) يثوب إلى رأيه يرجع إليه وينعده.

وإذا امتنعت لمراجعة فارس الرحر عند ذلك بوهن عن حتمال المتبعة،
ونصريف لرأى، والاضطلاع بأعناء لموقف كيف كان
اشتد المرض ناسبى عليه السلام فقل ثتوى مكناب أكنب لكم كتاباً
لاتضلوا بعده قال عمر إن النبى ﷺ غبه الوجع، وعدنا كتب الله حسبت،
عندنا كتاب له حسبت.

عندنا القانون الأعلى

أما القائد لأعلى فهو فى مرضه بصر لا تسحب معها المراجعة، وهو مع
ذلك لم بصر على أمره ولم يعود طلب بورق للكعبة، وإنما قل حين كثر
التعطيل لصحابة قوموا على، ولا ينبغي عندي التنازع. ثم عاش عليه لسلام
أياماً ولم يذكر الكتاب.

فالرجل يطيع إذا استقام الأمر، واستقرت السعة.

وكان يرجع إذا تسع مجال الراحة

فإن لم يكن هذا ولا ذلك فهو صعب بالذعة التى توجبها عليه نفسه، وقميين
أن يذهب إليها ولا يكل عنها

وتلك سنة جرى عليها عمر عن عم وفصد، ولم يحرج عليها عن بداة ولها
وكفى، وأشر إليها فى كلامه غير مرة، فقد فى خطبة من خطبه ما فحده
(كنت مع رسول الله ﷺ فكتب عنده وحائمه وحوازه^(١))، وكبر كم قل الله
نعالى ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وكتب بين يديه كالسيف المسلول، إلا أن
تغمدي أو نهائى عن أمر فأكف عنه، وإلا أقدمت على الناس لما كان أمره)

فهو جلوان لى، وسيفه المسلول كما وصف نفسه

وهو على أهوم مثل لحندي الفاصل العيم بموقع الصعة، وموقع المراجعة،
وموقع المشورة، وهو مع لسعة حيث لا مهرب منها، وتلك هى الجديدة فى
صوردها المثلى.

وما تحسبه كان يرجع ويشور إلا لعرض واحد، وهو الوصول إلى الأمر
الذى يحمل التبعة فيه.

(١) الحارث لشرطى

فإذا أَعفى نفسه من التبعة بمراجعته رؤسائه، وأَعفى نفسه من بتبعية
 لمشورة مرعوسيه، فقد عرف كيف ينبغي أن يصع، وعرف كيف ينبغي أن
 يطاع، وعرف ما يوق كل حدى أن يعرفه، حين يؤمر وحين يأمُر، وهو ترضيح
 ما يطلب منه، وما يصب من عبره، وتقرير مكان الساعات حين تقسم التبعات
 ولقد كانت له محالقات، ليست من قِبل المراجعة ولا لمشورة، التي تعم
 فيها الروية عمها، أو تختلف مذاهب الآراء فيها.
 كانت هذه أَيْضاً من مخالفت «الجندى» التي يدفع إليها كلما علمته
 لحفاسة وثارت به الحمية.

فلما كن يوم أحد، جاء أبو سفيان بن أمية على مسمع من المسلمين أفيكم
 محمد؟ فقال رسول الله: لا تحبوه!

فعد ينادى مرتين: 'فيكم محمد؟ فلم يجيبوه!

فسأل ثلاثاً: أفيكم ابن أبي قحافة؟^(١) فسكتوا.

ثم سأل: أفيكم ابن لخطاب؟ وكررها ثلاثاً. فلما لم يسمع صوتاً، قال
 نفوه: أما هؤلاء فقد كفيتموهم!^(٢)

كثير على عمر أن يحتوى صبره في هذا الموقف: أكثر مما احتواه فما قالها
 أبو سفيان حتى صاح من مكانه «كفرت بعلوانه. ها هو ذا رسول الله ﷺ،
 وأبو بكر وأنا أحياء! ولك من يوم سوء!»

هذه محالفة لا مراجعة فيها ولا مشاورة.

لكنها من مخالقات الجند، وبهم ولا شئ مخالفت، كما لهم طاعت.

نعم كانت لهم مخالقاتهم وطعائهم، وكانت لهم كذلك فكاهاتهم وهزائهم
 التي هي أخص من سائر الفكاهات والأهواء.

فكانت تعجبه فكاهة أبي نوحى إليه معنى مضحكاً فيه صراحة وخشونة،
 ومنها الفكاهة التي سميها يوم «بالكت لعملية».

(١) هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه

(٢) حدث هذا بعد نهاية المعركة، وقد ظن أبو سفيان أنهم مابو في الموقعة

فرغ رسول الله يوماً من بيعه الرجال، وأحد في بيعة النساء، فاجتمع إليه
سبء من قريش فيهرهه ههه سب عتة متقية^(١) متكره، لما كن من صبيعه
حمره^(٢) رضي به عنه، فهى تحب أن يأخذها رسول الله بصبيعه. فم
دبون منه ليديعه قال عنه لسلام نايعني عى ألا تشركن بالله شيئاً.
فنت ههه والله إنك لتأخذُ مُراً متأخده على الرجل وسنوتيكه
قن. و لاسرقن.

قالت والله إن كعب لأصيب من مال أنى سفيان لهه^(٣) و لهه، وما أدري
أكان ذلك حلالاً لي أم لا

فإن أبو سفيان وكان شهيداً أم ما أصبت ههه مصى هأتت منه فى حل.
فقار رسول الله وإنك لهدت عتة

قانت. 'أنا ههه بنت عتة' فدفع عما سف، عما لله عهه

فمصى رسول لله فى أخذ أسعة وعاد بقول: ولا تزيين

قانت. يرسول الله، هل تبنى بحرة^(٤)

قار ولا بفلن أولانكن'

قانت قد ريباهم صعرُ وقتلتهم يوم بدر كدرُ ، هأتت وهم أعم. فصحك
عمر بن الخطب حتى استعرب^(٥) وكان قير الإعراب فى لصحك ههه
استعرب صحكاً بين حين وحين، فيما يضحكه مثل هذه الفكاهه.

وعلى ههه لبحر فكاهه مع خدمه أسلم وانه عاصم دحر عليهم، وهما
بعين عاء يشبه الحداء فوقف يستمع ويسعيد وشجعهم إصعؤه
واسعدته' فسألاه 'يا أحسن صعة' فإن مثكم كمثل حمري لعداى
سنن. أيهما شر؟ فقال هذا ثم ههه

ومن فكاهه القوية تلك المرحه المرعة التى أصر بها لب الحصنة لبكف عن
ههه الناس، فدعا بكرسى وحلس عليه، ودعا بالحطنة فأجلسه بين يديه، ودعا

(١) 'أى تلبس القاب وهو المجاب

(٢) ههه روج أنى سفن، وهى التى مثلت حكة حمرة بعد أن قنن فى حد

(٣) انهه مؤنثة الهه وهو اسمى. (٤) استعرب فى الصحك دلع فيه

بأشقى - أى مثقب، وشفرة - بوهمه أن يسقط لسبه، فصج الحطيئة وتشفع
الحاضرون فيه، ولم يطلقه حتى أخذ عليه عهدٌ لا يهجون أحداً بعدها، واشترى
منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم. فما حب أحدٌ بعدها وعمر بقيد
الحياة.

تلك أمثلة من فكاهيه لخشنة التي تعهد فى طسعة جيد، وهى فكاهه لا
يضع منه فى غيرها.

وشاعت لجاهلية أن تورطه فى بعض أفوائه، فكان هواه منها معافرة
الحر، يحبها ويكثر منها. وقد يرى أنه هو قريب من مراح الجد غير نادر
فيهم، يد الحر توافق ما فيهم من سورة طس، وتسعلهم عن الخطر، أو تعيهم
عنه، وتصحبهم فى كثير من الأحيان ضجة يلقونها

وقد احب ضجة البقوف وهى فى سباق هذ بهوى، وظل يحبها بعد إسلامه
وخلافته، وإن كرهها فى غير لأعراس فسمع ضوضاء فى دار فسأل ما هذا؟
قيل له عرس، فقال، ملا حركوا عرايلهم أى، لدفوف

عسى أنه كان يحب الغذاء حملة وبصل لإصبعه إليه مالم يشعله عن مهم من
أمر دينه أو سبب سبه فسمع صوت حديد وهم متصقرون إلى مكة فى خوف اللين،
فمارال يوضع ر حلتة^(١) حتى دخل بين القوم يسمع إلى مطلع الفجر، ثم قل
للقوم إياه قد طلع الفجر.ذكروا الله.

طبيعة لحدى فى الفروق تامة متكمة بأصولها وفروعها. ويندر أن تتم
طبيعة شامة فى رجل واحد، إلا أن يكون كعمر هى أصالة الصم وصراحتة
وخصه به تسفه، فلا بخدل منه جزء جزءاً، ولا تقل منه وجهة حيث تدبر
أخرى، وحسب أن عجب أن تتم له طبيعة واحدة بلغة ما بيعت من تعدد
العناصر والألوان ولشبت. كما أنه لا عجب أن يشبه بولد أدبه لأنه أصيب
صريح اسبب، بالغ ما بلغ التعدد فى مشابه الأخلاق والحوارج والأعمال

ولهذه الطبيعة أثرها هى أمور لا تمت إليها عى ضهرها، كآثرها فى تحريم

(١) بوضع راحته يحلها عى اسير اسريع

رق لعربي، وفي إخلاء الحريره من غير العرب، فهي شششة العيور على الحوزة، الموكل بحمية الدمار^(١).

ولها أثرها في سياسته مع الأمم حدث بأمر الحد بتصديق كلمة الشرف، وأسر بالوعد، ولو كان إشارة باليد، وندأة من صوت. فقد أوجب على قائده وحبوده إذا نزلوا بلاد الأعاجم هدرت منهم إشارة أو ندأة يحسبونها عهداً، أن يبحروا هذا العهد، ولا ينكسوا فيه، ولو أتيح بهم أن يتعسوا بحهل اللعة، وغرامة العادات والمصطلحات.

وبأنك على الحملة لا تعرض عملاً من أعمال الفاروق العامة والخاصة على هذه طبيعة، إلا وجدت له قراراً فيها، ووجدت عليه صيغة منها

وهي لأريب أقرب مفتاح لهذه الشخصية العصبية، وبها تتمير خصائصه التي لا يشترك فيها أناس مطبوعون على غيرهم، وإن كانوا أقوياء

وقد أسعفا الإشارة إلى لإيمان القوى وقلنا به ضبط لأجلاقه وسوراته، وليس بمفتاح يكشفها ويفتح معالقه، لأن لإيمان لقوى نفسه يخرج في فهمه وتمييزه إلى المصاح الذي يفرق بين صروب الإيمان عند الأقوياء، وليست القوة كلها كما لا يخفى بعد واحد في أنواعه والمظاهر والآثار

وهكذا كان إيمان عمر في سلوك دينه، وسلوك دينه كان إيمان الطبيعة الجندية في حالتها المثلى.

وهي سلوك دينه، كان بعشراً بدأ عيشه المحاهد في المدن، فآثر الشصف، وفتح منها بأمر ما يكفيه ولا عسى عنه

وفي سلوك دينه كان موقفه بين يدي الله أئد كموقف لحندي الذي بعزم به لا يلقى مولاه إلا لبؤدى لحساب عسى لكثير ولقبيل، فإن نجته لمسامحه حامت عفواً، لا ينسبه تحضير الحساب

وكان معتمداً على بعيد موصولاً بالفدر، يركز إليه كنه يراه بعينه ومن دأب كل طبيعة تستحضر موت أن تنضر إلى لعب، وتستطلع طلعه^(٢) وتنتظر منه الحماية والهداية.

(١) الدمار ما يلزمك حديثه وحفظه والباع عنه، والحرم، والأهل، والبحرة.

(٢) يقاب، قلل أطلقى على الأمر، أو أطلقى طبعه بكسر الطاء

فاشتهر عن كثير من كبار لقادة أنهم يؤمنون بهم بحجم سعد يلحظهم، أو
بعاة أحر لا بعصور عنها، أو بلهم بهسيهم إلى النحاة، ويرون أمارته
وعلماته في لرؤى ولهواتف، وكلمات الفل ولشاره

وكان عمر يتفاعل بالأسماء، وينظر في الروى والمنامات ويروى عنه في
رويات متواترة نه أننى بموته في مام، وأنه راى كائن ديك يقره بقرتين،
وفسروا له الديك برجل من العجم يطعنه طعتين.

وروى محارب بن دثار عنه انه سأل رجلا من أنت؟ فقال، قاضى دمشق.
قال، كيف تقصى؟ قال، أفصى بكتب، لله فسأله ويد جاك ما لس في كتاب
الله؟ فأنجابه قصى ابن بسنه رسول الله، فسأله ثابيه ودا جاك ما لس في
سنة رسول الله؟ قال، تحتهد برأى وأوامر حساني، فاستحسن قوله وأوصاه
دا جلس لاسحكم أن يدعو لله قئلا «إني سألك أن أفنى نعم، وأن قصى
بحلم، وأسألك العدل في الغضب والرضا».

ثم رجع لفاضى بعد فترة فسأله عمر ما أرحب قال رأيت الشمس والقمر
يقتتلان، مع كل واحد منهما حدود من الكواكب، فسأله مع أنهم كنت
مفل مع القمر؟

فأمل قلئلا ثم ذكر قوله نعاى ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحورا آية الليل
وجعلنا آية النهار﴾ ثم قال لا تلى لى عملاً^(١)

هذه رواية من رويات كثيرة عن المنامات وبظرفه فيها، لا يرى مسغها من
الصحة في تفصيلاتها، ولكنها كلها تدل على لغرض الذى قصدت إليه، وهو
استهداء الغيب من طريق الرؤى والعلامات إلى حاسب لإيمان القوى لا يسهو
عن عالم الغيب طرفة عين.

ومن حق أن يضيف هب أن لإيمان القوى ليس بمسغوب في طبيعة
لجديدة، بل ربما كانت طبيعة لعهده أقرب شىء إلى طبيعة الإيمان
وأن يضيف هب استدراك آخر، لعهه أدعى إلى لبحث من القول فى الجهاد
والإيمان وذلك أن العدل لا يدقص طبيعة احد عامة، وأن طبيعة احد لا

(١) لا تلى لا هب نافيه وليس نافيه، فاعلى بعدها مرموع

تستلزم العدوان في كل محارب، ولاسيما محارب بضحا^(١) عن دين ووفقاً لشرعية.

فالعدل يقتصر إلى شجاعة وشرف، وفما حصلت من مطلوبات في الجدي لصوع، فأما الشجاعة في الرجل العدل فتحمله أن يحارب الأقوياء وهو حين، وأما الشرف فيحميه أن يحور على الضعيف وهو حسنة ولا تنقص بين هذه الخصال.

بما لمحارب المعتدي هو الذي «يحارب لحسابه» كما يقولون، أو يحارب لنفسه مرصاة لطمعه، وبها مع برونه، ومن هذا لصر لإسكندر وبمور ونابليون.

أما لمحارب الذي تقيدته إرادة غير إرادته، ويحكمه قانون غير هو، فالحرب من مثله واجب، يلام على تركه وليست بجريمة يلام على قترافها وقد يرى هؤلاء أن أشرف الجهد جهد النفس والهوى، قس جهاد لخصوم ولأقرباء، كما رأى عمر بن الخطاب.

ومصداق ذلك صهر في كل قد تدعوه إلى حرب إرادة له أو إرادة أمة، أو إرادة ضمير له فانور فطبيعة الحندي في هؤلاء لا ناقص الفعل، إلا كما تناقصه طبيعة الفيلسوف، أو طبيعة الفن، أو طبيعة المتصرف في شؤون المعاش، ولا تنقص بين وبين واحدة منها، أو هي جميعاً في هذه بحصله سوء.

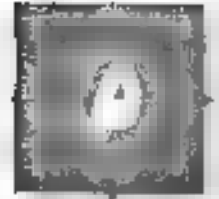
هؤلاء لا يحاربون إلا مكرهين، وإذا حاربوا لم يحاربوا ليعي ولا لتكيل، ولو كن في ميدان القتال، وسنتهم هي سنة عمر حين حذر المحادين أن يعتدوا لأن الله لا يحب المعتدين، ثم قال «لا تحبوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند لقمة، ولا تسرفوا عند الظهور^(٢)، ولا تقتلوا هرمًا ولا امرأة ولا وليدًا، وبرهوا الجهاد عن عرص بديا، وأسروا لإربح^(٣) في السع الذي يابعنم به، وذلك هو الفوز العظيم».

وذلك هو الحندي في حالته الأولى.

وذلك هو المفتاح لصديق الذي لا نعم مفتاحاً صدق منه للائق هذا الحندي العادل الكريم.

(١) بضحا دفاعاً. (٢) الظهور لصر. (٣) لإربح الحصول على لربح

إسلامه



يُحَوَّرُ نَ سَحَتْ عَنْ سَبَبٍ وَاحِدٍ سَعْمَلٌ بَدَى يَعْصِمُهُ الرِّحْلُ الْيَوْمَ وَيَسْبَهُ عَدُوٌّ
أَوْ يَكْرَهُهُ كُلُّ يَوْمٍ، وَلَا مَنَعَتْ إِلَى عَقْدِهِ، أَوْ سَتَعَتْ إِلَى عَقْبِهِ وَلَا يَتَوَقَّعُ لَهَا أَثَرٌ،
يَعْبِيرُ هِيَ مَجْرَى حَيَاتِهِ. فَسَبَبٌ وَاحِدٌ لَعْمَلٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ كَفٌّ، وَلَا حَاجَةٌ
بَعْدَهُ إِلَى اسْتِقْصَاءٍ.

لَكِنْ الْعَمَلُ لَدَى تَحْوِيلٍ بِهِ حَذَرُهُ لِإِسْمَانٍ نَحْوَلًا حَاسِمًا لَنْ يَرْجِعَ إِلَى سَبَبٍ
وَاحِدٍ، وَلَنْ تَسْعَى فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ عِدَّةِ أَسَابٍ، بَعْضُهَا حَدِيثٌ وَبَعْضُهَا قَدِيمٌ،
وَمِنْهَا الظَّاهِرُ الصَّيِّعُ وَلِحْفَى الْمُسْتَعْصَى، وَقَدْ يَجْهَلُ صَاحِبُهَا بَعْضُ هَذِهِ
الْأَسَابِ، وَيَنْسَى الْمُهْمَ مِنْهَا، وَيَنْغَلِقُ بِالْهَيْسِ لِقَرِيبٍ.

هَالِ الرَّحْلِ الَّذِي سَعِيرَ مَوْضِعُهُ أَوْ مَعِيشَتُهُ أَوْ زَمَنُهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ عَقْوًا لِسَاعَةٍ، وَلَا
تَلْبِيَةً لِإِقْتِرَاحٍ يُوحَى إِلَيْهِ هِيَ مَحَلِّسُ فِرَاعٍ. وَقَدْ يَبْهَمُ هُوَ أَنَّهُ سَمِعَ لِإِقْتِرَاحِ
هَذِهِ، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ لَيْسَهُ لَوْلَا مَا سَمِعَ فِي تِلْكَ الْحِظَّةِ الْعَارِضَةِ، فَهَرَّ أَهْمُهُ،
وَتَرَكَ مَوْطِنَهُ، وَغَرَّ صَدْعَتُهُ مِنْ أَحْرَ كَلِمَةٍ. وَإِنْ سَأَلْتَهُ سَاعَتُكَ «يَا بَنِيَّ قَدْ
هَجَرْتَ أَهْلَكَ، وَتَرَكَتَ مَوْطِنَكَ، وَعَبَرْتَ مَعِيشَتَكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ فِرَاحًا فَهَرَّتَ لِمَ
لَسْتَ لِإِقْتِرَاحٍ؟» فَبِذَا سَأَلْتَهُ ذَلِكَ السُّؤَالُ رَدَّتْهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَفَعْلَمَ أَنَّ الْأَسَابَ
لِصَحِيحِهِ وَرَاءَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتَحَوَّلْ لِأَنَّهُ سَمِعَ الْفِرَاحَ الْمَزْعُومَ، بَلْ سَمِعَ
الْإِقْتِرَاحَ وَسَاءَ لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُسْتَعِدًّا لِلتَّحْوِيلِ، مُصِيبًا فِي طَرِيقِهِ. وَلَوْ سَمِعَهُ
مَنْ مَعَهُ لَمْ يَكُونُوا مُسْتَعِينِينَ مِثْلَهُ، لِمَا عَمِلُوا بِهِ، وَلَا لَمَعُوا إِلَيْهِ.

وَيُنِىءُ بَعْضُ الْمَعِيشَةِ وَالْمَوْضِعِ وَلَرَى مِنْ بَعْضِ الْعَفِيدَةِ الدَّسَةِ؟ إِنْ يَدَا
اسْتَصْعَبَتْ السَّبَبُ إِلَهُ حَذَرٌ هِيَ يَفْسِرُ تِلْكَ التَّعْبِيرَاتِ، فَهِيَ لَا مَوَاءَ أَصْعَرُ مِنْ
ذَلِكَ جَدًّا هِيَ تَفْسِيرُ التَّحْوِيلِ الْحَاسِمِ إِلَى دِينٍ حَدِيدٍ.

لَأَنَّ الْإِسْمَانَ إِذَا عَمِرَ مَعِيشَتُهُ فَابِمَ يَعْبُرُ صَاعَةً، وَإِذَا عَمِرَ مَوْطِنُهُ فَابِمَ يَغْيِرُ
بِلَادًا، وَإِذَا غَيَّرَ زَمَنَهُ، فَإِنَّمَا يَعْبُرُ سَمْتًا (١) يَقُومُ عَلَى كِسَاءٍ، وَلَكِنَّهُ إِذَا عَمِرَ عَقِيدَتُهُ

(١) السَّمْتُ، الْهَيْئَةُ

الدينية فقد عير كونه، واستدل به كونه خراً، وقد عير ماضييه وماضي أهله وغير حاضره وحاضره هله، وغير مصيره في سبب ومصيره بعد الموت، وغير اراعه ومقبسه فيما نأخذ وفيما ندع من أمور حياة، وعلاقات الناس، ومنها مالف واو صر ومحب ومكره متوشحات لوصول إلى ما وراء الاناء والحداد

فسبب واحد لا يعير هذا كله دفعة واحدة

ولابد لتضام هذا التعبير من أسباب سابقة مهتة، وأسباب موقوتة هي طهر تلك الأسباب، وقد تكون أضعفها وأقلها تفسيراً لذلك الحدث لعظيم في العالم، وهو تعير لإسار هكذا لا وقد نأخذ بغيره هي بضره حدث عظيم

وبحق قد نُشرب فيما تقدم إلى دم عمر لشكايه لرؤيين للتين عارضهما في الإسلام، ورأي ما كان لدمه من كسر حديه، واستلال صعبه، وترويض عذبه، والتقريب منه وبين لحشوع الدني، والهد به الإسلامية فهل يقف عند هذا الدم وكفى، وهو انتهيا به الى حدث يستقر بوقوفه

وبما لاشت فيه أن عمر كان مفبراً من الإسلام يوم رثى لام عبد الله بنت حنتمة، وتركه نطوق إلى الهخرة وهو يدعوا له بالسلامة وكانت هي على صواب حين طمعت في إسلامه وحاله في شهر منه فقد سألها عامر بن ربيعة مسرعاً مستعجلاً كانت قد ضمنت في إسلامه عمر؟ قالت نعم قال إنه لا يسلم حتى يسلم حمير لحطاب^١

ولكن لرحم أحمط، وصدق المرأة، وليس أسرع من امرأة أن تلمح حاد لرقه، وحسب لعصب من عيب الرجل في خضفه عن استب حياتها كلها من قدم لرمس موطئة بذلك العصب كيف تتلطف في تحويله، ويطلب الرقة كيف تتلطف في استعاشتها من مكمنه، وهو يحجبها عنها القوة وهي ما تقف إلى نفس الرجل قط إلا من وراء القوة

فعمر كان مفبراً من الإسلام يوم رثى للمرأة المهاجرة ودعا لها بصحة الله، وكس على تضام الإسلام يوم رأى الدم على وجهه أحته، ورأي روحه مطرحة لا يقوى على دفاع

ولكنه كما قلنا سبب من أسباب، أو أنه هو السبب العرص الذي يومى^١

(١) يومى يشير

إني لأسبب العميق سبب عريض هو الأسف شكاية ضعيف، وسبب عميق هو لرحمة التي تحمر بذى نحوه كريم وليس لإسبا كلة بدماً ورحمة وإن صل بدمه، وصال رحمة فليس كل ما جرى رحمة محتوية إلى زمن طويل

وقد تعددت الروايات في سلام عمر واختلفت بعض هذه الروايات في بعض، وتفق في المعنى وحسن أسس يصرون فيها كتم الصحيح منها لا يكون إلا رواية واحدة، وسببها باطل لا يشمر على حقيقة فلم لا تكون صحاح كلها ولم لا تكون أسبباً متعدد في وفات مختلف؟ فمن يستصع العفول أن سقط منها قليلاً من الحشو ها ثم بخلص منها بي حمة اسبب لا يعرض بينها في لخواهر، وقد يعرض بعضها بعض في سبق السيرة وهي باب السيرة

روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال «كذب الإسلام مبعود، وكنت صاحب حمرة في أحاطة أحبها وأشربها وكنا لنا محسن يجمع فيه رجال من قریش، فخرجت أريد جلسائي ذلك فلم أجد منهم أحداً فقلت لو أني جئت هلالاً بعماراً وخرجت فحئت فلم أجد قبي لو أني جئت لكعبة قطعت بها سيفاً أو سبعيراً فحئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فبدر رسول الله ﷺ فائم يصلي وكان إذا صلى استقبل الشام وجر بكعبه بينه وبين الشام واتخذ مكانه بين الركنين الركن الأسود والركن اليماني. فقلت حين رأته والله لو أني استمعت لحمد الليلة حتى أسمع ما يقول وفام بنفسي أني لو دوت أسمع منه لأروعه^(١) فحئت من من الحجر^(٢) فحئت تحت ثوبها ما بيني وبينه إلا ثوب الكعبة هما سمعت القرآن روي له قلبي فكتب ورحمى لإسلام»

وروى ابن إسحاق في سبب إسلامه كما نقل عنه في كتاب «عقوبة محمد» أن عمر خرج يوم مشرك سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد اجتمعوا في بيت عند الصف وهم قريب من أربعين بين رجال وبنساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبدالمطلب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضي الله عنهم فلقب بعيم بن عبد الله فقال له أين تريد يا عمر؟ فقال أريد محمداً هذ انصاني^(٣)

(١) لأروعه لأروعه (٢) الحجر بكسر الحاء حطيم مكة، مدار البيت من جهة الشام

(٣) انصاني انصاري من ديني إلى ديني

الذي فرق أمر قریش وسفه حلامه، وعاب دينه، وبسب لهتها فاقتله. فقال
يعيم و له لقد عرنت نفسك يا عمر أن ترى بني عبد مناف تتركك نمشي على
الأرض، وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إليّ؟ ههـ بيتك فتقيم أمرهم؟ قال وای
أمر بيبي؟ قال حنت^(١) وأبى عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت
لخطاب، فقد والله أسلم وتبعنا محمداً على دينه، فعليك بهما

قال فرجع عمر عمداً إلى أخته وحبيبته، وعندهما حباب في مدح لهم، و
في بعض البيت وخذت فاطمة بنت الحصاب لصحيفة فجعلتها تحت قدميها
وقد سمع عمر حين ذلك إلى البيت قرعة حباب عليهما. هما دحر فأن ما هذه
لهيمة^(٢) التي سمعت فلا له ما سمعت شيئاً قال بيبي والله، لقد أضررت
نكم تابعنا محمداً على دينه. وبطش بخنسه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته
فاطمة لتكفه عن روحه، فضربها فشجها. هما فعل ذلك فأن له أخته نعم، قد
أسلمنا، ومد ياله ورسوله، فصنع ما بدا لك فما رأى عمر ما بأخذه من
الدم ندم على ما صنع، فرعوى، وقل لأخيه أعصيني هذه لصحيفة التي
سمعتكم تقرءون فيها، انصروا هذا الذي جاء به محمد، وقرأ سورة طه. هما
قرأ منها صدراً قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلم يسمع ذلك حباب، خرج
إليه فقال له يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد حصص بدعوة سيده، فإني
سمعتنه أمس وهو يقول اللهم إني الإسلام بنى الحكم بن هشام أو بعمر بن
الحصص فإنه الله يا عمر فقال له عبد ذلك عمر، بيبي يا حبيب علي محمد حتى
تنيه فأسسم فقال له حباب هو في بيت عبد نصف معه فيه نفر من أصحابه
فأخذ عمر سيفه فنوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فصر
عليهم الدب، رقم رحر من أصحاب رسول الله ﷺ فصر من خلل^(٣) أساب،
فراه متوشحاً بالسيف فرجع إلى رسول الله وهو فرع فقال يا رسول الله،
هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف فقال حمزة بن عبد المطلب نذرن له، فإن
كان يريد حير بدسه له، وإن كان يريد شرا هلكه بسيفه فقال رسول الله
نذرن له.. وبهض إليه حتى بقيه بالحجرة فأخذ بحوزته^(٤) أو بمجمع رداءه ثم
حبذه حبذة^(٥) شديدة وقال ما جاء بك يا بن الحصاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي

(١) حنت: حتى لصهر أو البيت أو الأخت.

(٢) الهيمة الكلام الحق غير الواضح.

(٣) الخل: الفرجة بين الشنيتين (٤) بحزبه: بحزبه موضع يسد لإزار من الوسط. (٥) حب

حتى يرل له بك فرعة^(١) فقال عمر ير رسول الله جنتك لأومن بالله ويرسوله
وبما جاء من عند الله».

هاتان الروايتان هم أجمع الروايات للأسباب «الاشارة» لى فرت بين عمر
و لإسلام، وتتفرع منهما روايت مسوعة ير بد بعضه ترة أن عمر قد أوقد لقتل
لى من قبل قرش، ويريد بعضها تارة أخرى انان من بقرن الكريم قرأف
عمر هى بنت أخته غير آيات النى قدمت الإشارة إليها فى سورة طه وأشبهه
بالتصديق به لما طبع على «بصحيفة قر فيها اسم»، لرحمن لرحيم» هذعر
وألفه، ثم رجع لى نفسه فسولها وجعر كلما مر باسم من أسماء الله دعر.
فم بلغ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَحَدُ
مِيثَاقِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

وهذه على احبالها روايات مسقاربة يبدو لد أنها قصة واحدة شطرت
شطرين وريدت عليها لحواشي والأطراف، فختلفت فى ألفصها ومواعيدها
و بقت فى جوهرها ومدلولها، لأنها تمس نفس عمر من الحجة التى هى شه
أن نهديه إلى طريق جديد.

وهى كم سلفها بجمع لنا الأسباب «للمشارة» لى افترت بإسلام عمر،
ولا تعنت عن الأسباب الاخرى لى هى أساس هذه الأسباب ومرجعها،
ولاجلها كن حليفاً أن تحده بلاعه القرآن، وأن يميل به الرحمة لى لإيمان

فقد كن مهياً للإسلام لامحاله، وكنت محافاته للإسلام حقيقة أن تنتهى بعد قليل،
ولا يطول إلا ربما تعن لمسة للشهادة بالسان بعد الدهيق بالفطرة والصمير

فلم يكن بين عمر والإسلام فى بداية الأمر إلا باب واحد بلعداء
وكل ماعدا ذلك من الأبواب فقد كن مفتوحاً منه وبين هذا الباب الحديد، ما
هو إلا أن يراه دلعين حتى يندفع فيه

كن باب العداء منه وبين لإسلام انه رجب قوى غيور عزيز فى قومه فإذا
رجب يخرج عليهم فيعرف - كما قل - أمر قرش، ويسفك أحلامها، ويعيب دينها
ويسب لهتها، فلا حرم يثور ويعصب ويفهم، ولا عجب أن يدود عن دماره

(١) الفرعة: الدابة

ويرحس،^(١) المعابة عن شرف بانه ويرى أنه غير عدو ولا باع، وأن البعي والعدوان إنما يحشآن من قبل ذلك الرجل بخارج على قومه حتى يبيين له بالحق لدى تصدع به أن الذي هو فيه هو البعي والعدوان

ذات ذات العداء، لوحد الذي كان من عمر والإسلام، وهو ذات لا يصل مدخله في نفس طمعت على العدل والإنصاف.

فما من سبب بصر من لدهي اشرف، وهذا الدين لحد لا كان موصولاً بنفس عمر أوثق صفة، وما علم من سبب للإسلام، إلا كانت له عقده في نفس عمر، وثبته لقرار.

فربما نسم أناس لأنهم أخذوا سلاعة القرن، وأسم أناس كرهوا المنكر الذي كان يشيع في لجاهنة، أو لأنهم ورثوا لبرعة الدينية و لحدائق المستقيمة، أو لأنهم جبلوا على روحانية تصل بينهم وبين عالم العيب وخطيرة الأسرار أو لأنهم قد عرست لهم عرضة موقوتة، حركت ما فيهم من كرامن تلك لأسباب وكل أولئك كان عمر على استعداد له عظيم.

وكل أوئل لم يكن عمر فيه بالوسط المكر بل كان فيه العزم المترفع لمصيء بين الأعلام.

كان عمر سيفاً حسن البعد للبلامة، هو ه منها لصدق والضع وحمال التقصير، فكان يطرب لقول زهير

فبن الحق مقطعه ثلاث بمين أو بفار أو جلاء^(٢)

ويقول كلم أنشده معجداً ما أحسن ما قسم ويسماه شاعر اشعره، لأنه لا يعاقل^(٣) بين القوافي ولا يتبع حوشي الكلام.

وربما قصي الليلة يشتد شعره حتى سرق لفر، فيقول لجليسه «الآن اقرأ يا عبد الله».

وحاء يوماً بعص ال هرم من سنان ممدوح زهير فقال عمر أم وإن زهيراً

(١) رحس أثوب. عساه ويرحس معابة عن شرف بانه يريها

(٢) يربب الشاعر أن مقاطع الحقوق ثلاثة بمين أو حكمة أو سة

(٣) يعاقل. عاقل بالكلام عقده وضعه وأسهم حوشه وعرب

كان يقول فيكم فيحسن فقير له كذلك كد سعطيه فبحرل فعاد عمر يقول
ذهب ما أعطتموه، وبقي ما أعطاكم

وجاءه وفد من غطفان فسألهم من الذي يقول

حلفت قسم أترك لنفسك رية وليس وراءك ليل للمراء مذهب

قالوا مائة بنى ذبيان، فسألهم ومن الذي يقول

تبتل عارياً حقاً ثيابي على وحر تظن بي الضور^(١)

فأعقب الأمانة لم نحبها كذلك كان يوح لا يحور

قالوا هو الباعة، فقال هو شعر شعرائكم

وطالما أعجب يقول عبدة بن الطبيب

ولمراء ساع لأمر ليس يدركه وبعيش شح وشفق ودامير

ويشده فيقول، عني هذا بيت الدنيا،

وبدر بين أنمة اندين من عصر هي أدب قومه عوصه، ورعى من أشعارهم وصرفهم
مش ما وعاه فل الأصمعي «ما قطع عمر مر لا تمثل فيه بيت من الشعر» وحر
برجع إلى الشعر الذي تمثل به فبره هي أحسن موفه واصدق شاهد، وبمح من قيس
خبره هي حوته أن لأب كر حباً من جوابه التي نرى فيه حاشيته، ويأسر فيه
إلى قلبه، ويرجع فيه إلى فطرته جاء عبد الرحمن بن عوف إلى ماله هو وحده مستلقياً
على مرحفه به وإحدى رجليه على الأخرى وهو يشد بصوب عال

وكيف ثواني^(٢) بالدينية بعدما قصي وطرأ منها حمير من معمر

فلما دخر عبد الرحمن وحلس فإن له ب ما محمد ب إذا حلوا قلب كف

يقول الدس

ولم يفصر إعجابه بالشعراء على الدين واعقوا المواعظ والسبى لذيبيته، من
نصر في منهم وفاصل بينهم هي بلاعتهم، ففصل امراً الفيس لأنه «سبقتهم،
خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصبح نصر»^(٣)

(١) الثوب الخلق السلي.

(٢) ثواني، قدمتي

(٣) خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصبح نصر استنبت عين الشعر وشق طريق المعالي
ونفى بالشوردا بصار راجع باب «ثافته».

وموثره مع الشعرء والرواه كثيره تنر على شعفه بالبلاعه الصافه.
وحفظه لاجمل ما يحفظ بنر أهر عصره، كما تدل على ذلك خطبه ورسائله
وشواهد وأمثاله.

وقد يصح أنه بضم الشعر أو لا يصح فقد نسبت إليه أثبات ونكر هو أنه
شعر، حيث يقول لو نظمت الشعر لقنته في رثاء أحيى ولكن الصحيح أنه كان
حب لشعر الطليح، ويرويه ويوصي بروييه وأنه بشأ في قوم يحسون مثل ما
أحب، ويعجبون بمثل ما أعجبه، ومنهم أنوه الذي نظم لشعر في أكثر من
مناسبة وروى عنه أنه قال لما نوحده أبو عمرو بن أمة

أبو عدسى أبو عمرو ونوتى	رجال لا يهدها أبو عيد ^(١)
ربيع يعدمين وكل حار	إد مراب بهم سنة كئوس ^(٢)
هم الرأس المقدم من قریش	وعند بنوبهم تلفى بوقود
عكف حاف أو حشى عدواً	وبصرهم يد ادعو عيد
فلست تعادل عنهم بسوهم	طوال ادهر ما اخنف لحدید ^(٣)

إلى آخر ما نسب إليه.

عاقرب شيء إلى الواقع - وبى الموضوع أن يؤخذ بلغة القرآن رجل شئ
هذه النشئة، وأحب الكلام الطليح هذا الص. وأن يخشع لآياته ويعجب لتعصبه
يفتح من قلبه مسالك الإصحاء

وكان عمر مسقيم لطبع معطوفاً على الإصاف، فلم يكن ربح مثله
لستريح إلى قسار الصاهليه، أو يحفى عليه ساهاء، إذا به إبه وهدى بي ما
هو خير منه.

وكانت لرعة الأبيسة وراثة هي أسرته على ما يصر من مباشرة أخته عاطفه
وأن عمه سعيد بن زيد إلى لإسلام، وكان له قبل الإسلام رجل من عمومته
يفدح في الوثنيه، ويبحث عن لحق في البصريه واليهوديه، ويبتلى أهله
بالخلاف، ويتلوه بالإيداء والجنس وإلهاق، ويعنى به زيد بن عمرو بن نفير

(٢) سنة كمود شبيهه مطلقه

(١) لا يهدها لوعده لا يهابون النهدي

(٣) يعنى أنه لا يعزل بهم قوماً آخرين مهنا تعاقب لزمان

وعمر نفسه ، ألم يقل بنا به نئس لئمة من السمر ومن الحمر، فذهب يصوف
بالنسب كن طواف لنسب شهوة من شهوات قلبه سوب عنه مناب المحبوب من
الشهوات؟ ألم يكن هي الحاشية بدر أن يعتكف لئمة من كل أسبوع؟ بل لعل
صلاية الحصاب بيه، لم تكن هي صميمها شيئاً مذقضاً لعنصر الدين
والإيمان، فإذا هؤلاء الصلاب الشدد هي المحافظة على لعرف، هم اونك
المؤمنون المترمتون^(١) بدين لا يصبغون المساس بعقائدهم إذا اموا بدين

وراد عمر على الورثة الدينية أنه كان صاحب هراسة وركابة^(٢)، وكان
يستطيع لرؤى والمدات ويصل سلعيد، وينصر على البعد كما سيف في
حدث ساره حين بده ي سرية احرا ي سرية الجبل وسبهم مسرة أيام
وكتت العوارض سر به فنعطه إلى الإسلام تارة من صريق الرحمة، وتاره
من صريق لعدو والبحوة، فخشع ويعدم، ويراحع عدوه وكرب^(٣)، إذ لس
أبعض إلى ارحر الألى اصصف من أن يحارب ناس لا يحاربوه، ويلج في
بذاء قوم لا يقدرين على أنده

فإذا نفتحت هذه الأبواب حمعا بس عمر و لإسلام، فباب واحد موصد لن
بحبه طويلاً عن هذا الدين وبس بحب هذا الدين صويلاً عنه.
وقد نفتحت في يوم من الأيام

تفتحت كلها فسطها دخول العصفه من جميع لأبواب، وأسلم الحامى الشريف
كم كان يسمى أن يسسم، وكما كان بقب سبسم في مناسبه من المناسبات.
فبدا العالم الإنسانى قد نفتحت فيه صفحة حديده

صفحة يقرأ فيها القرئ قدر كل شيء مددا بصنع الإسلام بالنفوس، ويعم
منها قبر كل علم أن هذا الدين كن قدرة بنية مشئة من لدر التقدير، التي
سيطر على هذا الوجود كان قدره تلاس الضعيف هيقوى، ونلابس افوى
فسمى قوته، وتحري به هي وجهته، وكن يداً حالفه حدهه بأحد الحار
المعثره هي لتيه، فإذا هي صرح به أساس وأركان، وفيه ماوى لصمائر
و لأذهن حاهلى كسبه الإسلام فكسبه لعنم الإنسانى كله إلى حر الزمان..
ونفس صائغة ربت إلى صاحبها فعرف منها ما كان يكر، وصنع منها على ما

(٢) لركبة افصه وهراسه

(١) لترمت لوفور لشدد في دسه.

كان يحهر، ويقع بها امدته، وممّا لا نحصى، وصنع بها الإسلام أعظم وأفهم
ما تصنعه قدرة بناء وإشياء، حيث كانت قدرة بناء وإنشاء.

ومطرت الأمم فرأت كيف تغمر النفس الإنسانية حتى يحار فيها الإنسان وهو
ريشة في مهب النوارع والأشجان^(١).

رأت كيف يصبح العدل والحق طبيعة حياة، وكيف يصبح مخبى من اللحم
والدم، وكأنه لا يأكل طعامه ولا يروى صمائه إلا ليعدل ويعرف الحق، وكأنه
لا يصحو ولا يندم إلا ليعدل ويعرف الحق، وكأنه لا ينفس الهواء إلا ليمتص
الطمع عن الناس وتناول دولة لباطل من ساس وكأنم العدل، أحق دين عليه
يطالبه به ألف غريم، وهو وحده أقوى في المطالبة بهما من ألف غريم

لقد كان هذا الرحمن لمجيد ينعض أن يطلم عمره أشد من بعضه أن يطلمه
غيره، وهذه منزلة في الأنفة لا تطولها المنازل؛ لأنها مبرلة الأنطال الذين
يسمون على أنفسهم، ولهم أنفس سمي من عامة الأنطال

وإت لدعم كم حر في قلبه الكريم أن يصرب ربنا عي دين الحق كلما رجعت
إلى أدمه لأولى بعد الإسلام، وهي أبام لا تسي في سريح النوبة و الأنطال
فم شعبه أمر بعد إعلان دين، إلا أن يخرج ليصره بس كم كر بصرب
أناسا هي سبيل ذلك لدين.

ثار إلى الناس يصربونه ويصربهم، فقام خاله يسأل ماهده لجمعية قير له
إن ابن الخطاب قد صب عظام علي لحر فدي ألا يسي قد أجرت^(٢) اس
أحتى فابكشف لاس عنه فكس لا ير ل يرى مسلما بضرب ولا بضربه أحد،
وثقل عليه ألا يصيبه ما يصيب مسلمين، فذهب إلى خاله وقد احتتم لاس في
الحر وبذره سمع - حور ل مربوط غلف^(٣) قال خاله وهو به وبما يستهدف له
أدرى لا تفعل يا بن أحتى فأصبر على رد حور و وطاب له بعد ذلك أنه افتص
من نفسه للأترياء الذين صربهم وهو بحهل منهم فلا تمضي تلك بصربت بغير
قصاص، ومن كفر عنها بالتوبة وعرار الدين الذي اداهم من أحبه

(١) الأشجان (جمع شجن) وشجن أنهم وانحروا وبحاجة الشناعة

(٢) أحاربه أي أبغاه في حماه ورعيته وجواره

(٣) أي أعصى من حاصتك

وأنى من اللحظة الأولى إلا أن بوجه الخطر الأكبر هي سبيل دينه، وإلا أن
 يقصر على ثور من فرنه، كما يقول العربون هي أمثالهم، وأن يحدى قرشاً
 بحقه مد من بأنهم على باطل فسأل أساً نى أهر مكة أسن الحديث؟ قبل له
 حمير بن معمر لحمى فذهب إليه فصرح له بسلامه وبم يكذب الرحن
 .لظن به، فم هر إلا أن سمعها حتى خرج وعمر ور ع إلى أندية قرش حول
 الكعة يصرح بأعلى صوته على باب المسجد ي معشر قرش' ألا بن عمر بن
 الحصاب قد صب' وعمر يقول من حلقه كذب' ولكنى أستميت وشهدت أن لا إله
 إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ثم تشبب المعركة بين هذا الرحن المفرن،
 وبسبهم، فشب على أدهم منه وأحرثهم عليه عنة بن ربيعة فصرعه ويترك عليه
 يضربه، ويدخل أضغعه فى عينه لأنهم عميوا عن الحق لا يبصرون النور'
 ويكانزون عليه فلا يدنو منهم أحد «إلا أحد شريف من دأ منه» حتى أحجموا
 عنه وركدت الشمس وفتر من طول لصرع، فجلس وهم قائمون على رأسه
 يتألمونه' وهو يقول لهم «افعلوا ما بدا لكم، فوالله لو كنا ثلاثمائة رجل
 لتركناها سا' مركبها لكم» فعوا ما بد نكم وهذا مأرد، فما يستريح
 وحدانه الحى أن يضرب مسلماً لإسلامه، ولم يصرب كافراً لكفره، وما يشعر
 إبه وفي به ديه، وقد صرب ولم يصرب وادى أساً ولم يؤده حد وما تهدأ
 حاسة العدل به، وقد كنت كئها من حواس ديه، إلا أن بحس لفصاخص فى
 نفسه، كم أحسن المصريون دأمن عدوانه فى أنفسهم

وراح يسأل النبى بارسول الله' أسا على الحق إن مننا أو حيي' فقال
 عليه السلام بلى' ولدى نفسى سده بكم على الحق إن متم وإن حييتم قل
 فهم، لاحتفاء؟ ولذى بعثك بالحق لترحجن'

«فما كنت لنى أن خرج فى صفتين أحدهما فيه عمر و لآخر فيه حمرة
 ولهما كدند^(١) كئنه كدند الطحين فدحوا المسجد وقرش تنظر وتعوها كئنه
 فلا يحرق سبط^(٢) منها ولا حكم أن يقترب من هفتين فهم هدان.. وبسماه
 النبى بومئذ لفاروق.

ق ر على بن أبى طالب رضى له عنه «ساعلمت أن أحدًا من مهاجرين

(١) تلويح بشمويه وبعبويه (٢) بكيد انش ب عام (٣) اسبط اسرى السان

هاجر لا محتفب إلا عمر بن الخطاب، فإنه لم يهجم سبهرة فقد سيفه وتتك
 قوسه، واصصى في يده أسهم^(١)، واحتصر عرته^(٢) ومصى قبل الكعبة وللأ من
 قریش بفنائها فطاف في لبيت سبعاً متمكناً، ثم أتى ابقام فصلى، ثم وقف
 على الحق^(٣) واحدة واحدة يقول لهم شاهت اوحوه^(٤) لا يرغم الله إلا هذه
 المعطس^(٥) من أراد أن يشكل أمه أو يونس ولده، أو يرمي روحته^(٦) فليفسى
 وراء هذا لوابى..».

لقد كن له في محبيه هذا قریش عددن شجاعة وعدله.. فما كنت
 شجاعته في هذا التحدى بأظهر من عدله، ولا كان عدله فيه بأظهر من
 شجاعته إن، شجاع الحق مضوع على لأفة من الظلم، لأنه شديد الإحساس
 به، ومن كان شديد الإحساس بدل بضم، فهو شديد الإحساس بعرة العدل
 من صريق واحد. وقلع أعصب لعادل اشجاع شىء، كاستطالة لطام وطيه
 أن المظلوم لا يستصیل عليه، فذلك هو التحدى لدى بشر الشجاعة، ويثير النعمة
 على الظلم، أو يثير حب العدل في وقت واحد، ومن الموت لأهون من لصبر على
 هذا، تحدى اردون، وهذا، نصف القبيح، وما الشجاعة إن لم تكن هي لحرّة
 على الموت كلما وجب الاحترء عليه؟ وأى مرئى أولى باجرأه من لشجاع الذى
 يعم أن الحق بين يديه؟ لست على لحق إن حبيب وإن متناً؟ فعلى الحق إن
 سميت، ولا نعش على البص فالسائل كرية والحب كرية، ود لك متقى العدل
 والشجاعة في قلب العادل الشجاع.

ونهج عمر طريقه في الإسلام، كم نهج طريقه إلى الإسلام كلاهما طريق
 صراحة وقوة لا يصيق البف والنطع، ولا يحفر بغير الحد الذى لا عبث فيه..
 فلا وهم ولا رياء، ولا حذلق ولا دعاء وما شئت بعد ذلك من إسلام صريح
 قويم، فهو إسلام عمر بن الخطاب.

قال في بعض عذته «لا تطرو إني صدم أحد، ولا إلى صلاته، ولكن اطرو
 من إنا حدث صدق، وإنا نؤمن أدنى، وإنا أشقى - أى هم بالنعصية - ودرع»

(١) لسرة: عصا بها رج كاربمخ الصغير واحتصره، وصفاها من حصرة

(٢) بحق: جمع حقة ولخلق: اقوم بجمعهم مستنيرين

(٣) شاهت الوجوه: قبحت

(٤) المعطس: جمع لعطس: والمعطس الأنف

(٥) أى يجعل أمه تكلى، أو ولده يتيماً أو روحته أرملة، يعنى: أن أمه،

وقال في هذا المعنى «لا يعجبكم من الرجل طنبصه، ولكن، من أدى
الامنة إلى من انمنه، وسم الدس من يده وليس به».

وقال في عمل الدين و لأخرة «ليس خيركم من عمل للأخرة وترك لديب، أو
عمل لديبا وترك الأخرة، ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه وإب الحرج
في الرغبة فيم نحاوز قدر الحجة، وراد على حد الكفاية».

وتم بكر أعض إليه ممن تنوى، ليقل إنه متوكل على الله، أو يتراعى
بالصعف. ليقل به نمت، أو يقرط^(١) في لعبدة ليقل إنه زهد في الدين

هكر يقول «من المتوكل الذي يعى حبه في الأرض ويتوكل على الله» و «لا
يقعد أحدكم عن صلح الرق، ويقول انهم اررقني. وقد عميم أن السماء لا
تمطر ذهبا ولا فضة، وإن الله تعالى يرقق الدس بعضهم من بعض».

وكن يضرب من يتماوت ويستكين ليطهر التحشع في الدين، فطر إلى رجل
مظهر للسبل متماوت فحققه بالرة وقال «لا تمت عيت بسبب أمالك الله»
وأشروا له إلى رجل يصوم بدهر، فصره وهو يقول له «كل يا دهر! كل يا
دهر» ينهاء عن لصوم الذي يعوقه عن معاشه، ولا يوجهه عنه لدين

وكان كلم رأى شاب مكسأ رأسه صاح به «رفع رأسك فإن لحشوع لا
يزيد على ما في القب، فمن أصهر للناس حشوعاً فوق ما في قلبه فيما أظهر
للناس نفاقاً إلى نفاق»

وإما كان بعجبه «الشباب لدست بطيف الثوب طيب لرحلة»، ويرى
لمسلمين محرم علمو أنهم يرمي والعموم والفروسية، «فأنتم بخير - كم
قال ما فزوتهم^(٢) على ظهور الخيل».

دين ارحر القوى لشجع لذي يتنصر بدينه في ميدان الحياة، وليس بدين
لو هن الهروم الذي تركته لديبا، فلوهم نفسه أنه هو تاركها ليقل عسى لأخرة
وكننت شجاعته في دينه أنذر لشجاعت في سفوس الأمانة، لأنها لشجاعة
لتي يواجه بها تهمة الجبر، وهو أرذل من موت عند لرحل الشجاع فإن كثيراً
من اسس لبعادلون عن الصوب لدى يظهرهم بمظهر لحواف ليقل إنهم

(٢) البرو الوثوب

(١) أقرط إمرأط أسرف وتجاوز الحد، بعكس القرط

شجعار، وربهم في عدولهم عنه لم يجدوا المستعدين للثناء، ولم يكن عمر يعدل عن صواب قهقهة، ولو قيل في شجاعته ما قيل، وتلك أشجع الشجاعات.

فشب طاعون عمواس وعمر في صريفة إلى الشام، فلقية أبو عبدة وصاحبه عند تبوك وأخبروه خبر الطاعون، فاستشار المهاجرين والأنصار، فاحملوه بين باصع بالصبي وباصع بالقفول. فاصبح باصعي في طريقه يقول إنه حرج لأمر ولا يرى له أن يرجع عنه، وباصح بالقفول يقول إنه أصطحب «بقيته» ليس وأصحب رسول الله ولا يرى أن يقدمهم على وباء». ثم دعا مشيخة قريش من مهاجرة لفتح فلم يختلف عليه رحلان، وأشدوا حملاً بالرحوع. فقال أبو عبدة أفرأ من قدر الله؟ قل عمر نعم، نعم من قدر له إلى قدر الله، أرايت لو كان لك ابن هبطت ودياً له عبوداً^(١) إحداهما خصية، والأخرى جدية أليس ر رعيت الخصية رعيتها بقدر الله، ومن رعيت الجدية رعيتها بقدر الله؟ وما رام^(٢) مكانه حتى جاءه عبدالرحمن بن عوف فحسم الخلاف برأى لسي في لخروج من أرض لطاعون والقدوم إليها حيث قل عليه السلام «إدا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها».

فكان إيمانه بصيرا لا بهحم به على عمياء، ولا يستسلم فيه استسلام فيه ستسلام العجزة، وهو قدر على الحيلة ولاخذ بالأسباب، وكنت بصيخته لعامة للمسلمين في أمر الطاعون، كرايه، لخاص في أمر نفسه وصاحبه، فأمرهم بالاستئذان ما وجبوا له سبيلاً وكتب إلى أبي عبدة «يث قد ثرات الناس أرض غمقة... أي وحيمة... فرفعهم إلى أرض مرتفعة برهة^(٣)» وهو حوط ما يحتاط به أمر عالم في هذه الأيام

كذلك لم يكن يؤمن بشيء يدفع أو يضر غير ما عرفت أسباب دفعه وضرره، فكان ينظر إلى الحجر الأسود ويقول كلم استلمه^(٤) «إني لأعلم أنك ححر لاتضر ولا تنفع، ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقول ما قستك»

وسمع أن الناس يأمون لشجرة التي تابع رسول الله ﷺ تحنها بيعة الرضوان،

(١) بقوة انكار المرتفع

(٢) رام مزح وبرك

(٣) برهة، المرتفعه.

(٤) استلم الحجر الأسود نفسه إما بالنقبين أو باليد

فيصلون عدده ويتبركون به، فأوعدهم^(١) وأمر به، من تقطع محبة من تسرى إلى الإسلام من هذه لباسك وأشبابها لوثة^(٢) من لوثيه والنوكل على لحامه.

وربما التبس الأمر من نودر عمر في لتقشف، وحناب المتع والمدمع فحسنت برائض يوحدها ويجرى فيها على طريقة أولئك لسبال المتخشعين لذين كان سبهم أن يمينو الدين ويهراً بهم كلف نصغوا وأرحوا ما لا يحب على مؤمين. فلا يلتبس الأمر هذا الملتبس، فهو واضح بين التفرقة من سيرته ومن لأحدث التي صحت تلك النواير، ففسرتها ودلت على لعرض منها. فعمر كان مسماً، وكان خيفة للمسلمين وقرق بين محاسبه لاسم نفسه وهو مسئل عنها دون غيره، وبين محاسبه لخليفة نفسه حتى يقع الشك في عمله، وينره يده ويذى أهله عم ليس لهم بحق من سلطان الحكم أو المال، ثم يعي لذكرى صاحبه الذي حنقه على المسلمين، فلا يعيش في مكانه خيراً من عيشته، ولا يمح نفسه ونويه ما لم يمنحه النسي لآله وبويه.

وعمر الذي كان يقع بانحشبن اعليط من المأكّل والملبس، ويأى أن يذوق في لجعة مطعماً لا يسع جميع المسلمين، إنما هو الخليفة الذي يحاسب نفسه قبل أن تحاسبه الرعية، وقد وجد منهم من لامة لأه طرح كبه وهيه فضل ملبس فاتقاء هذا الحساب وب وراه من حساب الله هو الذي يؤخه خسفة البى في معيشته ومعيشة أهله، مما يشه تقشف النبال.

وعى هذا كله كان أعسم الناس أن نصيبت حلال، وأن الهى عن الحلال تتطع في الدين يأناه الإسلام

كتب إليه أبو عبيده أنه لا يريد الإقامة بطنطكية لطب هو نها ووهرة حيرانها مخافة أن يخذ الجند إلى الرحة، فلا يتنع بهم بعده في قتال، فأكر عليه ذلك وأجابه «إن الله عز وجل لم يحرم الطيبات على متقين الذين يعملون الصالحات، فقال تعالى في كتابه العزيز ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

(٢) اللزجة الحمافة.

(١) وعد تستخدم في نشر، أما وعد فتكون في نصير

وكن يحب قلب أن تبيع لمسلمين من تعبههم، وتدعهم يرددون في مضعمهم، ويربحون الأبدان لنصبه^(١) في قتل من كهر بالله»

وحدث حنيفة بن أسد أنه أقبل على أسد بن زبيرة بدينهم لقصصه، فدعه عمر إلى لطفه وعنده خبر علي بن أبي طالب فقتل حنيفة أسعته أن كل الحزن والحم ودعوتى على هذا قال: إني دعوتك على طعمي، فأما ذاك قطع لمسلمين.

فالمسلمين حل ما شاع من، لطفهم، أم الرخ الذي تنفق من بيت المال فله ما يكفيه والرح كل لرح عنه - وهو في عدل عمر وحرمة وحلده - أن يأخذ منه ما لا حاجة به إليه، وإنه ليرداد حرجاً على ما فيه من قناعة أن يكون من أصحاب رسول الله، ويعلم كيف كان رسول الله يأكل في بيته، وماذا كان يحد من الملتس له ولأهله، ثم يصيب من هذا أو ذاك خيراً مما أصاب الرسول.

وللولاة عنده مثل ما للمسلمين عامة من حق المتعة السائغة، والنعمة التي ترضى الرحولة، لا بأحدهم بمحاكاته، لأنهم يتولون الأمر كما تولاه، بل ربما لامهم على التقدير كما كان بلومهم على الإسراف.

أنكر على عمله في اليمن حلاً مشهورة، وبهوتاً معصرة، فعاد إليه لعام لدى بيته اشعث معبراً عليه أطلس^(٢)، فقال لا، ولا كل هذا، إن عمننا ليس بأشعث^(٣) ولا لعافى^(٤) كلوا واشربوا واهنوا، إنكم سيعلمون الذي كره من أمركم.

ومن تمام تعلم بسلام عمر، أن تعلم فصل إسلامه مع من لم يكن من أهل لإسلام، فإن الحق لدى يتبعه الرجل مع أهل دينه وحدهم الحق محصور مدحر في باب سياسة لقومية أكثر من دحوله في باب الفضيلة الإنسانية وإنما يصح حق حدير باسم الحق حين يتبعه الرجل مع أهل دينه، ومع الحارحين عليه وعمر كان ولا ريب أشد المسلمين في إسلامه.

فلو كن لإسلام ضالماً بطبيعته من لم يدخلوا فيه كان عمر أشد المسلمين صلماً لهم وفسوة عليهم لكنه كن في أوضاع أشد المسلمين رعاية لعهدهم، مد كان أشد المسلمين غيره على دينه وعملاً بأدبه.

(١) نصبة إلى أصهاره، وهو التغ

(٢) أطلس جمع أطلس وهو الثوب الوسخ

(٣) العافى طالب المعروف

(٤) اشعث ابوسخ انجسد، والمثند شعر رأسه.

فكان شبيهه مع من حاربوه شئاً ، الحارب لشريف، وإن يسطر محارب من محارب إلى آخر الزمان معاملة أقوم ولا أضيق من معاملة عمر لحاربه.

وكان شبيهه مع من صالحوه وعاهدوه أن يفي بعهدهم ويحضر في الوفاء به إخلاص من صادق نفسه به قبل أن يصاله، ومن يرافقه نفسه فيه قبل أن يرافقه.

كتب للنصارى في بيت المقدس أماتاً على أنفسهم وأولادهم ونسبهم وأموالهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن، وحين وقت الصلاة وهو جالس هي صحن كنيسته، لقبمة، فخرج وصلى خارج الكنيسة على لدرجة اتى على بابها بمفرده، وقال للبصرك لو صليت داخل الكنيسة لأحدها المسلمون من بعدى، وقالوا لها صبي عمر ثم كتب كتاباً يوصى به المسلمين ألا يصي أحد منهم على لدرجة إلا واحد واحداً غير محتتمس للصلاة فيها ولا مؤديس عليها. وكذلك كان يفعل في كل موضع صبي عنه من الكنائس التي عاهد انصارى على تركها، وتحريم هدمها وسكناها.

أم عهده لهم فقد كان مثلاً من السماحة والبرهنة لا يطمع فيه طمع من أهل حصارة من حضارات التاريخ كئنه ما كانت.

فكتب لهم العهد الذي قال فيه « هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إلباء من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم وكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمتهم وبريئتها، وسائر ملتها به لا تُسكّر كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يقتض منهم، ولا من حيرها، ولا من صلحهم ولا من شئ من أموالهم. ولا يكرهون على دينهم، ولا يضروا أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إلباء أن يعطوا الحرية كما يعطى أهل المدائن وأن يخرجوا منها لروم والنصوت^(١) فمن حرج منهم فإنه امن على نفسه وماله حتى يبيعوا ما آمنهم ومن أقام منهم فهو امن وعليه مثل ما على أهل إلباء من الحرية ومن أحب من أهل إيباء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويحلى بيعهم وصلحهم^(٢) فيهم امنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلحهم حتى يبيعوا ما آمنهم »

وليس لدى عهد من طاهر أن يطمع في أمن أكرم من هذا الأمان

(١) النصوت : النصوص، مفردها نصت

(٢) استبح جمع بئعة، وهي معبد النصارى، وبئعة جمع صبيبة

وأنه قد كن يعصهم عليه وعلى قومه هذه العهود، ثم لا يفتح بها حتى
بشيعها بالوصة لولا أن منعوا، مسلمين من ظلم أهل الدمة وأن يوفى لهم
بعهدهم، ويصبح^(١) عنهم، ولا يكلعو فوق صفتهم كتب بذلك إلى أنى عبدة،
كم كتب إلى غيره من الولاة، وأوصى به في وصيته قبل أن يموت

وم بنكا إليه مظلوم من أهل دمه وبكر أو صغر لا يصغه منه
بعث رد من حدير لا سدي عسى عشور^(٢) عرو وشتم عمر عليه وعلى
بصراني معه فارس وموهف بعث رين لف فحيره أن يرل عن الفرس ويأخذ
سبعة عشر ألفاً أو بمسكه ويعصى ألف صرية، فأعطاه لبعي ألفاً وأمسك
فرسه ثم مر عليه راحف هي سبه فطاله بصرية أخرى، فبى وشكه إلى
عمر وفص عليه قصه فما رد على أن قال له كفتيت ثم رجع لبعي إلى
رياد وقد وطن نفسه على أنه يعصيه ألفاً أخرى فوجد عمر قد كتب إليه من مر
عليك فحدث من صدقة فلا يأخذ منه شيئاً إلى مثل ذلك لوم من قابل^(٣)

وسمع أن بنى تعب لا يز لوز ينارعون والنهم الولد بن عفسه ويأرعهم،
ونهم أوعروا صدره، فقال فيهم يتوعدهم

د ما عصت الرأس مى مشود^(٤) فعيت مى نعلب سة وثل

فحشى أن يصبق بهم صدره فستصو عليهم فعزله وممر غيره

ولعل حاكم من الحكم لا يرام منه أن يسغ في البر محابيه في لدين
مسفاً كرم وأرفق من إحراء لصدقة على فقر، نهم، ولا سيف الحاكم الذى
يدعو إلى دين جديد

وقد تقدم أن عمر أخرى الصدقة على شيخ يهودى مكهوف البصر، وقال ما
أنصغده أن أكلنا شيبه ثم نحله عند الهرم

وقد حمر دنك سة فيمن يبلعه أمرهم من الدمنين والمعورين فمر فى أرض
دمشق نفوم مجذمين^(٥) من بصري، فأمر أن يعطوا من الصدقات، وأن
بحرى عليهم القوت.

(٢) العشور ضرب من لوكاة

(٤) شوى السامة

(٥) مجذمين مصابون بالجدام وهو مرض قد ينتهي بمصاحبة إلى بكل الأصعدة وسقوطها

(١) يصبح عنهم يدافع عنهم

(٢) من قانس أى بعد عدم

وإذا أحصيت به في سيرته الصولة أوامر وخطأ نحرّم الدّميّين بعض
لحريّات، أو بعض الحقوق، فكأن عي بقين نه قد صدر في ذلك جمعه عن
حكمة توجبها سياسة الدولة، ويعرفه العرف والعرف، كما يقرها، الدين و لكد،
وهم يصدر فيه قط عن حيف مقصود، أو عن رعة في حرمان الدّميّين حرية
يستحقونها، أو حقاً هم أحرر منه

وليس لدى بحصى له من هذه الأوامر والخصص، لا يعدو لشيء عن سخدم
بعض الدّميّين، ومنعهم أن يتشبهوا في الأربء والمظاهر بالمسمين، وإحلاء بعضهم
عن الحرية العربيّة في إن نفوح، وأحد من لكد و بحسس و لافص،

فأما نهيه عن استخدام بعض الدّميّين فارجع إلى ما قاله في ذلك تعلم أنه
منع استخد مهم لمصلحه العدل، وكراهة، لظلم والمحااة، فقال «إني نهيتكم عن
استعمال أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرشا»^(١)

وصلب يوماً من أبي موسى رجلاً ينخر في حسب الحكومة أثناء نصر ني،
فقال: إني سألك رجلاً أشركه في أماني فأثيت من يحالف دينه ديني. وقام
نهى عن ستعمل اليهود و لصاري إلا ذكر بعدد إنيهم أهل رشا، ولا تحل
في دين الله الرشا.

وكان له عدد من أهل الكتاب بقل له أسبق، فعرص عليه أن سلم حتى
يستعين به عي بعض أمور لمسلمين فأنى، فأعته وأطلقه وقال له اذهب حيث
شئت، فم يكن نهيه عن ستخدم أهل كتاب في مهم الصولة إلا بشرّ للعدل
وكراهة للرشوة و لربغ في الحكومة، وما نظر أحد بذكر أن ستخدم لعرباء عن
الصولة خلق أن يحاط بمثل هذا الحذر، وأن يحنب مع مثل هذه الآفة، إذ يكثر
من المنة الدس بخدمور بوله من الدول، وهم عرباء عنها، كرهوى لمحده
وسلطابها، أن ينضروا إلى مفعتها قبل أن ينظروا إلى مفعنها، وأن يساوموا
على نفوتهم قبل أن يسبحضروا، العيرة على سمعتها، و لرعة في حيرها وخير
أهلها، ولا سيما في زمن كاد الدولة نمير بالعدش قبل أن يميز بالأوطان.

وم من أمة في عهدنا هذا سيح الوظائف لعامة، لا بقسود و فرة متفوة
عليها، وألها تحريمها على لأجاب م لم يكن في استخدامهم متفوة عامة.

(١) ارشاد جمع رشوة

وهذه هي سياسة عمر في مسأله وظائف القومية، بغير إعجاب للدولة ولا إعجاب للزعامة، وكفى باتفاء الإعذاب أن العبد المملوك يحير في الوظيفة والإسلام ففائى، فلا يصيبه من ذلك صيب، ويصلق له زمانه يفعل ما يشاء.

أما بهنه عن تشبه الذميين بالمسلمين، وكرامته أن يبدلوا أزياءهم التى ولدوا عليها، فلا يلام عليه حتى نعلم لم كان أناس من الذميين يوتون التشبه بالمسلمين فى الرزى والشرة؟ أكانو بتشبهون بهم حناً لديهم، فهم إبن مسلمون لا يمنعهم مع أن يحهروا بالإسلام، أم بتشبهون بهم كيداً لهم ورغبة فى النسل بينهم وإفلات من عهودهم والتزاماتهم وما توجهه الدولة عليهم فى تلك العهود والالتزامات؟

إن كـبو بفتلوه لهذا فلا لوم على عمر أن يأبه، وبخاصة فى لزوم اذى كان المسلمون فيه حمداً فى حكم الحبود، وما من دولة ترضى أن تنيح أزياء حبودها لمن يشاء.

وما إخراج بعض الذميين من الجزيرة، فم خرج منهم أحد إلا وقد عذر بذمته وكرر الفدر مرة بعد مرة، كما صنع أهل خير ومهم من أحنى عن الجزيرة، لأنه صلب الحلاء فضلاً عن بقضه العهد، كم فعل أهل حراى

فقد صالحهم لى على أن ييفوا فى مساكنهم، ولا يكلو الربا، ولا ينعاملوا به، وء أسو بكر فجدد الصلح على ذلك، ثم استحف عمر، فرجعوا إلى الربا وفرصوا فيه، وكبوا قد بنوا أربعين ألفاً فتحسدوا بينهم، وأنوا عمر يسألوه إجلالهم، فاستحب هذا الحلاء.

على أنه لم يكن يأتى على التجار المأموسين أن يسخلوا الجزيرة، ويؤبوا المشور. فم كب إليه المشركون من أهل منبج أن «دع ندخل أرضك تحاراً وتعشرت»^(١) - شور أصحاب النى فأشرو عليه بقولهم، فدعهم إليه.

ولا يفوت فى هذا الصدد أمران مقترنان بحطة الإجلال لى لحاً لىها عمر، ونقر بصوابها وضرورتها فأول الأمرين أن الجزيرة حرم لإسلام الذى كان

(١) مشور أى تدعى بى المشور

يحيط به أعداؤه، ويرتصون به، الدوائر، ويثيرون لفسه على أصرقه، كما صنع
الفرس بصرى، والروم بالشام، ولا آمن على حرم يسكنه أس قفهم من بغير
أهله، بل ففهم من هؤلاء كثيرون

وثانى الأمرين أن عمر قد سوى بين الإسلام والنصر بية فى هذه الحطة،
فحفظ حرم البصر بيه بيت المقدس للمسيحيين، لا يسكنه معهم من لا يقبونه، كما
حفظ حرم الإسلام بالحريرة لعربة للمسلمين، لا يسكنه معهم من يحدرون عذره
وقد أحصر اعوص حين ألقائه ضرورة لدولة إبنى بخذ هذه الحطة،
فشترى بىوت أهل بحرا وعقراهم، وقطعهم لبحرية عند لكوفة، وكتب
لهم وصاة قل فيها «.. هذا ما كتب به عمر أمير المؤمنين لأهل نحر من
سار منهم امن بالله لا بصره أحد من المسلمين ومن مروا به من أمراء
الشام وأمراء العراق فلبوسعهم من حرث لأرض، فما عتمو () من ذلك فهو
لهم صدقة لوجه به، ومن حضرهم من رحى مسلم فلبصرهم على من ظلمهم،
فأبهم قوم لهم الدمة وحريرهم عنهم متروكة ربة وعشرين شهراً بعد أن
يقدموا، ولا يكلفوا - إلا من صنعهم - لى، غير مظلوم ولا معتدى عنهم»

ولم يفارق عمر الدنيا حتى أوصى الصيفة لى يحار بعده بالدمى
كفة «أن يومى بعهدهم، ولا يكفرو فوق طاقهم، وأن يفاس من ود نفهم^٢»
ودون هذا بالمراحل الشاسعة بقف عدل الدول القسامى و لحدثات، فى كل
ما تحدث من حيطة حرببة أو حماية قوميه، أو معاهدة سنها وبس ممة
أحسبة، وإن عذرها لدون عذر عمر فى حصطه وإن أسبابها لدون أسبابه
فى الإقناع

كان مسلماً شديداً فى إسلامه، فلم يكن شدته فى إسلامه حصر على
الناس، من كانت ضمناً لهم ألا بصفه مسلم ولا بسمى ولا مشترك فى غير حدود
الكتب والسنة

وكان حبيباً فاسم، فأصبح إسلامه طوراً من أطوار بتاريخ ولو لم يكن

(٢) بقاتل من ورائهم يحبيهم

(١) اعتمل ملاى عمل لنفسه، وتصرف فى العمل.

الإسلام قدرة بديهية منشئة في لتاريخ الإنساني، لما كان إسلام رجل طويلاً من
تُواريه الكبار

وكان هــد الرحى يحب ويكره كم يحب اسس ويكرهون، ولكن لا ينفك عنه ان
يحبك، ولا يصبرك عنه أن يكرهك، وحب الحق هو صبح لقضاء قال يومئذ لاني
مريم اسسوى قاترُ حبه وانه لا أحب حتى تحب لأرض اسم المسفوح فقال له أنو
مريم 'تمعنى لذلك حقاً؟ قال لا قال لا صير إني يأسى على الحب النساء
وحسب من إسلام بحمي الرجل من حليفة ينعصه وهو فاجر عليه، هذا المسم
الشديد هي دمه و لدى يشتد فيأمنه، العدو والصديق



عمر والدولة الإسلامية

تأسست دولة الإسلاميه في حلاله أبي بكر رضي الله عنه لأنه وجد بعقده، وسير سعوت فشرع السنه لصالحه في نوطيد العقده من العرب بما صنع في حرب الرده وشرع السنه لصالحه في دميم سوله من عدايه بتسيير السعوت وفتح نفوح، فكان له سبق على خفاء الإسلام في هذين العمين الحليين

إلا أن يسمى عمر مؤسساً للدولة الإسلامية بمعنى آخر غير معنى السابق في عمار الخلافة لأن «وَلَا» لا أحد مكان في الباربع أليف به من مكان المؤسسين للنول اعظام

ولأن من حله أخرى لا تربط بين التأسيس وولاية الخلافة في إقامة دولة كالدولة الإسلامية إذ لثأل الأول فيها للعقده التي مفهوم عليها، وليس يتوسع في «عروب والفتوح» وعمر كان على نحو من الأنحاء مؤسساً لدولة، للإسلام قبل ولأنه الخلافة تسمى بل كان مؤسساً بها منذ سسم، فظهر دعوة للإسلام وُدائه، وأعزها بهنته وعنفوانه.

وكان مؤسساً بها يوم سسط يده بي أبي بكر فباعه بالخلافة، وحسم الفقه التي أوشكت أن تعصف بركبها، وكان مؤسساً لها يوم أشر على أبي بكر بجمع القرى الكرم وهو في الدولة الإسلامية بسور الدسانير، ودعامة لدعائم ولم يرل يرايح أنا بكر في ذلك حتى استمدعى ريد بن ثابت كاتب الوحى، فأمره أن يفتح أي بقرن ليجمعها من لرفاع والأكشاف والعيسا^(١) وصور برحان، فكان ذلك أول لشروع في جمع الكتب

هذا إلى أن أنا بكر رضي الله عنه أسس، ولم يسع له الأخر حتى يفرغ من عمله، وجاء عمر بعده فأتم عمه واقم الأساس، ثم أقام عليه البناء، وكانت

(١) الأكشاف جمع كنف، والعيسب جمع عسيب، وهو حريد البحر كانوا يسرعون حوصه، ويكنون في طرفة العريض، وكان العرب يكنون كذلك على صديع لحداء، وعلى لأصلاع والأكشاف جمع

قدرته على التأسيس هي ثمة الأياد فيه وفي ذلك لعصر من البدو البدية،
لأنه البعث إلى مواضع الحقيقة بالاهتمام والتقدير، كأنه راجع تاريخ عشرين
دولة مستفصصة الملب، راسحة انمراح، وهي قدرة بروعاً وندھشاً لو شهدتها
من ملك برى على امك، وسلطه^(١) على عرشه سمط^(٢) من الملوك وأوى أن
بروعت وندھشاً من رجل بباديه بدى يقدم على أمر حديد لم يعبه فيه
لسوابق، ولم يهتد فيه إلا بما احار هو أن يهتدى به.

فبعد جمع الفران لا تعرف عملاً تقترب به، ويلزمه وبعد من أسس الدولة
لعربة كاعمر على صحيح اللغة وحفظ من لخلط والفساد وكلاهما عمل لا
بعض إليه إلا من طمع على سيفة تأسيس واحد بها من أصوبها، وكلاهما
فطن إليه هذا المؤسس الكبر، على أهون ما يكون من بسطة ولسهولة،
فشار بوضع عم النحو، كما أشار بجمع أي الفران، وكان ثره في تدعيم
لدولة الأدبية كآثره في سعيم دولة العرواب وفتوح.

وندر في الدولة الإسلامية بعام لم تكن له أولية فيه . فافصح نزيك،
واسنهر حصارة، وأبشأ حكومه ورتب لها، لئاووس، وبصم هيها أصول الفصاء
وإدارة، واتحد لها صب مل، ووصل بين أجزائها بالبريد، وحمى ثعورها
بالمرابص، وبصم كل شيء في لوقت لدى بتبعي أن يصم فيه، وعلى بوجه
الدى بحس به الانداء، فأوجر ما يقال فيه أنه وصم دستور، لكل شيء، وتركه
فأثماً على أساس لمن شاء أن يسي عليه.

وملك^(٣) النظم الحكومية كلها بنظم لشورى الذى أقامه عمر على 'حسن ما
يقام عيه هي رمايه، فجمع عنده بحبه اصحابه للمشاورة، ولاسيما، وصن
بهم على العمالة في أطر ف الدولة، تريبها لأقدارهم واسفعا برأيهم، واعتراضاً
بتأييدهم له، ومعاونتهم إياه فيما يتولاه من ثواب أو عقاب

وجعز موسم لحج موسم عما لمر حجة والحاسنة واستطلاع الاراء في
أقصر الدولة من أقصاف، إلى أقصاف، بعد فيه الولا والعمل لعرض حسابهم،
وإحار ولايتهم، وبعد فيه أصحاب لظلم وشكايات لسيط ما يشكيهم ويهد

(١) بنيه تقدمه

(٢) سمط حبط بنظم به حصار انقعد، وبرد عدد

(٣) ملان الأمر قومه وأساسيه، يقال: انقلب ملان الجسد

فيه الرقباء الذين كانوا يمشون في حياء البلاد لمرفعة الولاة والعمال. فهي «جمعية عمومية» كانوا في ما تكون الجمعيات العمومية في عصر من العصور.

وكان عمر يستشير جميع هؤلاء ويشير عليهم، ويستمع لهم ويسمعهم، ويتوحي في جميع ذلك تمحيصاً برأى، وإبراء الذمة، واخضوع إلى السعة السليمة من العقابيل.

وإن أضعف الناس رأياً لمن يستضعف فصل الأمر في عمل بولاه لأنه عمه بمشاورة غيره.

هناك في المشاورة مفتوح لكل إنسان، وليس كل إنسان مع ذلك بالذي يريد أن يستشير، أو الذي يعرف كيف يستشير. إذا أراد، أو الذي يحسن الموارد من الآراء إن عرف من يستشيرهم، ومن يقل مشورتهم في حالة ويرفضها في حالة أخرى.

إن المشاورة لمن عسير.

وإن الذي يسمع بمشورة غيره لأقرب ممن يشير عليه.

وقد كان عمر عنقري هذا لمن الذي لا يحارى وكان من سعة الملهم في هذا لمن العسير أنه لم يتمس الرأي عند أهل الحكمة والحجة وكفى، بل كان يتمسه كذلك عند أهل الجدة والنشاط ممن ياقضون أولئك في لشعور والتفكير فكان كما روى يوسف بن الجشتون «إذ أعياه الأمر لمعضل دع الأحداث فاستشارهم لحدة عقولهم» وأنه لإلهام في من الاستشارة، لا يهملها صاحب رأى أصيل، فمن رأى الأصيل أن يحذر^١ إنسان كيف يستخير^٢ أو المشيرين. انظر إليه كيف يستشير في احتبار أمير نعم أن الاستشارة كم قلنا من، وأنه فن عسير.

قل لأصحابه دلو على رحل أسنعمه.

فسأله ما شرطك فيه؟

قال: «إذا كان في اقوم ومن أميرهم، كن كنه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كنه رحل منهم».

١) حذر الأمر بحيرة من باب نصر عمه

من الذي يسأل هكذا فهو أقدر من الذي يحينه بالصواب لأنه قطع له ثلثي الطريق السديد إلى الجواب.

وكان ريم استشر العدو الذي لا يأمنه، كما هو في سماع رأي لهرمزان في أمر الحرب لدراسة لأنه يصير بطب بوراً، فإن رأى النور استوى لديه أن يحمل له المصباح عنو أو صديق

ومن ليسر، إذ تعقبنا المشورات عمر، أن نعلم أنه هو وضع دستور استوري في لدولة الإسلامية، ومن الشوري التي وضع دستوره هي شوري الرأي الأصل، يستعين بكل أصل من الآراء.

وهو وضع لقواده دستور حرب، أو دستور الزحف من الجبهة العربية إلى بحوم^(١) أعدائها، كتحس ما يضعه رئيس دولة لقواده واحده

فارس اسد إلى لمرافوعيه هو عبيد بن مسعود الثقفي، وعنه كيف يستشير مجلس الحرب لذي معه، وكيف يقدم في موضع الإقدام، وتبريث في موضع تبريث وحمل له ذلك في قوله «سمع من أصحاب رسول الله ﷺ، وأشركهم في الأمر ولا تجنهد مسرعاً من ابتدائها حرب لا صلاحها إلا بجر المكث^(٢)، الذي يعرف لفرصة، ولا بمعنى أن الأمر سيضاً^(٣) أس قس» إلا سرعته إلى الحرب والسرعة إلى حرب إلا عن بيان ضاع. ورده نصرة بالحيلة فقال له «إني أقدم على رخص، المكر والحديعه ولجبهه والجرية^(٤) أقدم على قوم بحراو على شرف علموه وتناسوا بخير فجهوه فاطر كيف يكون، وأحرر^(٥) لست ولا نقشين سرك، فإن صاحب السر - ما يصطه - محصن لا يوتي من وجه يكره، وإذا لم يصطه كن بمضيعة».

فهو المشورة، ثم أنه في لاحتها، لا أن نجب، السرعة بيان وثقة فيكون لإسراع وهذه وصيه عمر بن الخطاب الذي نظر به الاندفاع، ويبس من بض به هذا النص انه قوي لاندفاع وقوي الصابط في وقت واحد، وعدم يفتن الاندفاع بضابط فهو مرية وليس معيب.

(١) تعيب تتبعاً (٢) بحوم حدود، جمع نعم (٣) المكث الذي لا يتعص في الأمر

(٤) جبريه بفتح الحاء وسكون الباء مع تشديد الباء، الكبر مثل لحيوت

(٥) أحرر - أحرر المكان الحصين، فإفراد حصن سائر وضمه ولا تفرثر

وكتب إلى سعد بن أبي وقاص بعد خيبره حرب فارس، وفي كتيبه له قدس من هذا معنى «إذا انتهت إلى القادسية، وهو منزل رعيب حصيب، بونه^(١) قناطر ونهر ممتعة، فيكون مسالحك^(٢) على أنقابها^(٣) ويكون أساس بين الحر والمدر^(٤)، على حافات لحر وحافات المدر، ولجراغ^(٥) بيها، ثم برم مكانك فلا سرجه فإنك قد أحسول اعصهم، رموب جمعهم أدى يأتي على خبيهم ورحلهم، وخدمهم وخدمهم^(٦)، فإن سم صرهم لعدوكم وحنسهم لقتله وفوتهم الأمه رجوت أن يصروا عليهم، ثم لا يجمعكم مثلهم أبداً، إلا أن يجمعوا وليست معهم قلوبهم، وإن يكن الأخرى^(٧) كان لحر هي أدبركم فأنصرفهم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى ححر من أرضكم، ثم كنتم عليهم جراً وبها أعلم وكانوا عنها أحسن وبها جهل، حتى يأتي الله بالفتح»

ثم كتب إليه سنو صفه المنار التي بر بها وسأله «أين سعد حمهم؟ ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم؟ فإنه قد معنى من بعض ما أردت الكتاب به قلة عمي ثم هجمتم عليه والذي استقر عليه أمر عدوكم فصف لنا ما من المسلمين والنسب الذي بينكم وبين أسائن صفه كأنى أنصر بيها، وجعلني من أمركم على الحياة».

وكذا إلى أبي عبيد وقد ترك حصار حلب يستصعب رأيه في ترك حصارها «سري» علمت من لفتح، وعمد من قتل من لشهدا، وأما ما ذكرت من انصر فل عن قلعة حلب إلى الواحى التي فريت من تطاكية فهذا نفس، برأى «تترب رجلاً ملكت دياره ومدينه ثم ترحل عنه، وتسمع أهل الواحى والبلاد بألك ما قدرت عليه» فما هذا برأى نعلو ذكره بما صنع، رطمع من لم يسمع، فترجع إليك بجيوش وتكتف ملوكها فيراك أن يبرح حتى يحكم الله وهو خير حاكمين. وقد أنفدت إليك كتبى هذا ومعه أهل

(١) بونه سنو بونه (٢) مسالحك جمع سالح على وزن مصححه، حذر مراقبه على الحدود (٣) أنقابها جمع ناقب، وهو هذا الطريق في البحر (٤) مدر جمع مدره، وهو القربة والحصر، وعكسها مدر «أى المدينة» والمد بالحر من أرض بين الأرض لحلب والوعره (٥) الجراغ جمع جرع، وهو الأرض داب لحرابه، تشاكل الرمن ولا يست (٦) خدمهم وخدمهم، يقال «علم به جد وخدم» أى له يأتى وقوه (٧) الأخرى يقصد سكسة أو الانهرام

مشارف^(١)، يمين ممن وهب نفسه لله ورسوله، ورغب في الجهاد في سبيل الله وهم عرب ومز^(٢)، رجل وهرسبن، واحد مأتب متوالك إن شاء الله تعالى»

فكن دستوره في الحرب أن يضع لأسس العامة، ويعهد في تنفيذها إلى ذي خبرة وأمانة ولا ينحى عن تبعه اعطى في مصائر الحرب كل التحلي اعتماداً على القائد وحده، وليس القائد باستئول الوحيد عن المصير

فقد رأى القائد رؤً وحالته هو في رأيه أعانه بالدد والمشورة على لأخذ بالرأى الذى سعاد إليه، وأنظر معدبره بتوصيح الأمر وإعانه عليه

وفد كان إلى حب هذا السهر على المدين عامة، لا يعرف القائد فيم بحسن أن تطلو عنه هاد تحاور الأمر بسياسة لحرب العامة من هنع لميدين وفك الحصار و نصير لهجوم، فمن حق القائد عنده أن يحتار لنفسه ولا يتطر لرجوع إليه، وأن يحرى في إدارة المعركة على الوجه الذى تطلبه ضرورة الساعة ولهذا منتبهره أنو عيده في دخول اسروب خلف لعدو، فكتب إليه «أيت الشاهد وأب العائب، والشاهد يرى ما لا يرى العائب وأب بصيرة عدوك، وعيونك يتوكل بالأخبار فمن رأيت الدحول إلى السروب صواباً فبعث إليهم السرايا و دخل معهم بلادهم، وصيق عليهم مسالكهم، وإن طسوا إنلت لصالح فصالحهم...»

فهو يضع القو عد لعدة للحملة كلها مند بدامتها

وهو يحذر القائد الضيع بتسيير قلب للحملة.

وهو بعد هذا لا يعفى نفسه من السعة ولا يعفى القائد من واجب الرجوع إليه في لواقف الحاسمة، ولا يعرف يده فيم هو أدرى به وأقدر على لاختيار فيه ولا يفسى أن يعينه إذا حاله في الرأى ستفق الرأبان المختلفان فإذا رجع القائد إلى الحصار الذى أرمع أن يتركه رجع إليه وهو مؤمن بصواب ما يعمل يستمد من الإيمان بالصواب قوة لن يشعر بها وهو يؤدى عملاً يخالف الصواب في تقديره.

وهذه السياسة هي السياسة التى حرى عليها عمر هي جميع بعوثه وعروته

(١) مشارف الأرض أعاليها

(٢) بلوالى يطلق على الحقاء والصبر والخفاء

وسراة، وهي سياسة انى لا يستطيع حاكم أن يجرى على غير ما هي حرب هديمه أو حديثه بعد حرى عيها فحقه كاسب النصر، كما نكسه انشد في المذار، وجعل بطر لفرس رسم اشهور في النوريج و لأسصير يقول ر عمر هو هارمه في سذار، و أنه هو عمر الذى يكلم الكلاب فيعصمهم العف أكل عمر كبدي، أحرق انه كنده

وربما أخطأ القائد الذى يحناره فمستته التبعة من هذا الحاب، لأنه هو المسئول عن احتبیره، غير أنه لا نمسه من حاب، إلا أعفى منها من حاب حر، أو حواب عدة، كم حدث فى وقعة الحسر التى قتل فيها قائد أبو عید المتقدم ذكره، ثم اهزم فيها جيش اسلمن فهو مسئول عن اختيار هذا القائد، كم يسأل كل رئيس دولة فى مثل ذلك ولكن أعز ره على لتحقيق أكسر من أخصائه فى كل مسألة من هذا القبيل، وفى هذه المسألة بعيها كن احياره لأنى عبيد إصافاً له حجه الراجحة فيه لأنه كن أول من أحاب الدعوة إلى الفذل، فلم ير من الإنصاف أن يؤخر لمقدم، ويقدم عليه المتحلفين، وقد سوغ الرحل احتبیره إيه بانتصاراته لأوى لى رعت شأنه بين القواد فما أخطأ جاءه لخط من مخالفة عمر فى وصاياه، ومنها وحبو التريث و لحد من عور الأنهار و لحسور، ولم يكن على عمر لوم فى تحبه عن التنبيه والتحذير

وقيل أن يصع دستوراً سولة وصع دستوراً لنفسه فومه أن الحكم محبة^(١) سحاكم ومحنة للمحكومين، و أنه لا يصح إلا بشدة لا حبرة^(٢) فيها، ولبن لا وهن^(٣) فيه. وأن الخليفة مسئول عن ولاته واحداً واحداً فى كل كبيرة وصغيرة، ولا يعفه من اللوم أنه أحسن الاختار

قال يوماً لمن حوله أرأيتم إذا استعملت عليكم خبر من أعلم، ثم أمرته بالعدل، كند قضيت ما على قالوا نعم قال لا، حتى أنظر فى عمله ثم بما أمرته أم لا.

وعهوده على نفسه هى خير لعهود النبى يؤخذ عى ولاه الأمر، وأبنتها

(١) محبة - حنار، محبة - من باب قطع - وامتنحه احتبیره، والاسم لمحبة، وبدا سميت للصاب بالحن لأنها ختار للإنسان. (٢) جبرية حبروب وطفين (٣) وهن ضعف.

للحدود بقائمه بين برعى وبرعية، وحير ما فيها أنه كان يحث الناس على الاستعناء عن الحاكم إلى بحكم، خلافا لأصحاب الأمر الذين يودون لو فرضوا لأنفسهم حكماً في كل شيء، فكان يقول لهم «أعطوا بحق من أنفسكم، ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموني...»

وجمع صلاح الأمر^(١) في ثلاث «أداء الأمانة، والأخذ بالفاوة، والحكم بما أمر الله»، وصلاح لئد في ثلاث «أن يؤحد من حق، ويعطى في حق، ويسمع من باطل».

وعهد لناس فقن «لكم على ألا أحتنى شئ من حر حكم، ولا ما أفء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم على إذا وقع في ندي ألا تخرج مني إلا في حقه ولكم على أن أريد عطاياكم وأرر قكم إن شاء الله وأسند شعورككم^(٢)، ولكم على ألا أفسكم في المهالك، ولا أحمركم أي أحبسكم - في شعورككم وإذا عذبت في العوث فأن أبا العبال حتى ترحبوا إليهم، فانتقوا الله عباد الله، وأعصوني على أنفسكم بكنها على وأعصوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحضري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم».

ومن أوئل عهوده في بيان الحق الذي يرشح الحاكم لولاية الحكم «أبها ساس، إني قد وليت عليكم ولولا رحاء أن أكون حيركم لكم، وأمواكم عليكم، وأشدكم بستصلاً بما يوب من مهم موركم ما وليت باب ممكم»

فأحق الناس بالحكم أفدرهم على اسر والحرم وللهو من بالأعباء وليس له في غير ذلك حق يرشحه للحكومة.

ومن أوائل خصه بعد توليه الخلافة «إن الله يتلاكمني، وانتلاني بكم وتقبلي عيكم بعد صاحبي، فلا والله لا يحضرنى شيء من أمركم قبله أحد دوبي، ولا يتعب عني فآلو^(٣) فيه عن أهل الصدق والأمانة، ومن أحسوا لأحسن إليهم، ولئن أساءوا لا تكلم بهم»

(١) أي امر الناس

(٢) بتغير جمع ثمر، وهو من البلاد موضع الذي تحذف منه حقوق العبيد ويقتصر بسد لشعور اندفاع

(٣) لا يآلو أي قصر بقصر من باب عدا فآلو أي قصر، ومنه لا الوب بصحاً أي لا قصر في

بصط ولا انخر جهد فيه

فهو يعاهدكم أن سي لأمر نفسه في كل ما حضره، وألا يعهد فيه إلى غيره إلا إذا عاب عنه ثم لا يكون وكلاؤه فيه إلا من أهل الصدق والأمانة، ثم هو لا يدعهم ويتأثم بعد ذلك، بل يرهبهم ويتبع أعمالهم فيحسن إلى من أحسن، ويبتذل ممن أساء.

وقد كان يقول، ومعنى ما يقول، ويعمل بما يقول.

وصارح لقوم قيم لا يحصى من الخطب والأحداث أن له عليهم حق الصاعه قيم أمر له، فلا طاعة لمحبوق في معصيته لحاق، وأن لهم عنه حق الصيحة ولو أبوه فيها ومن باب الرواية المشهورة التي سأل لبس فيها أن يسأله عن عوجه، فقال له أحدهم «والله لو علمنا منك عوجه لقمناه لسوقه» فحمد الله أن جعل في المسلمين من يقوم أعوجاج عمر بسيفه

ولم يكن يسح من مال المسمين حرماً لعمه إلا ما يقيم أوده^(١)، وأود^(٢) هه عند الحاجة إليه، هه رزقه الله ما يعينه عن بيت المال، كف يده عنه «...» لا يرى أمرت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم، إن استعنت استعفت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف تقرر^(٣) سهمة الأعرية القصم لا القصم، أي كف تأكل مشية البادية قصم بنظر أسانها لا مصعاً وطحاً بنصر سها

وب سنر عما حل للصفه من مال الله قال: «به لا بحر لعمر من مال الله لا حباب حبه لشتاء وحة لصف، وما حج به وعمر^(٤) وفوتي وفوت أهلي كرح من قريش ليس بأعاهم ولا بأفقرهم، ثم أبعد رجل من المسمين»

وقد كان يسجي من ربه في تقبزه لأزوي لولاه والعمل، فقدر لعمر من يسر حين ولاه الكوفة ستمائة درهم في الشهر به ويساعده برده عيه عطؤه لدى يورع عليه كما تورع لأعطية على أماله، ونصف شدة ونصف حري^(٥) من لاقب.

وقدر لعبد الله بن مسعود مائة درهم وربع شاة بتعيمة ليس في الكوفة وقيامه على سب المال فيها، وعثمان بن حنيف مائة وخمسين درهماً وربع شاة في اليوم، مع عطفه لسوى وهو حصه لاف درهم وهكذا على حسب الولايات وانفقت

(١) أود: أود من باب طرب عوج، فالأود لعوج والرد ما تكفى حاجاته بصرويه

(٢) قرم: أي أكل أكلاً ضعيفاً، و مراد أكل أخف أكل من أحسن طعام

(٣) الحج معروف، والعمرد الحج، الأصغر، وفي ملحوبة من الاعصار أي البرادة

(٤) الجرب مكال كان يستخدم، يمكن أن يقدر ما يعادل ٢٦ ريالاً

وكن يحظر على الولاة مظاهر لحيلاء ولأنه التي تعدد ما بينهم وبين الرعية، ولكنه ينظر في أخذ رهم فيقبلها أو يعصى عنها، ما يوقف صلاح لولاية على ذلك قدم إلى الشام ركب على حمار، فالتقاء عمله معاوية بن أبي سفيان هي موكب عظيم، سمى راء معاوية نزل وسلم عليه بالخلقة، فمضى في سبيله ولم يرد عليه سلامه، فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعت الرجل يا أمير المؤمنين، فلو كلمته^١ فالتفت إذ ذاك إلى معاوية وسأله إيت لصاحب الموكب الذي أرى؟

قال: نعم^٢

قال: مع شدة احتجاجك ووقوف ذوى اساجات بك؟

قال: نعم.

قال: ولم ويحك!

قال: لأننا بسلا كثر فيها جواسيس العدو، فإن لم نتخذ لعدة ولعدد سنحفر بنا، وهجم علينا، وأما الحجاب فإن يخاف من لئذلة^٣ حره الرعية، وأنا بعد عامت، فإن استنقصتني نقصت، وإن ستردتني ربت، وإن استوقفتني وقفت! فقال عمر ما سألتك عن شيء إلا حرجت منه إلى كنت صادقاً فإنه رأى لسب، وإن كنت كاتباً فإنه خدعة أريب^٤، لا أمرك ولا أنهارك»

أما دستور الولاة عنده فأساسه أن الولاية بمسير بالواحد والكفاءة، وليست بمسير بالوحدة والاسعلاء، فكان يقول لوالى « فبح لهم نائت وياشر أمورهم بنفسك، فإنم أنت رجل منهم، غير أن الله جعلك أثقهم حملاً»

وشعله كل الشغل أن تخضع الرعية لواليتها، رغبة في حكمه، وطمئناً إلى عدله، فكان يقول لوالى « عتبر منزلتك عند الله بمنزلتك من الناس» ويقول للرعية «إني لم أبعث إليكم الولاة ليصربوا أشربكم^٥، ويأحدو أموالكم، ولكن ليعبموكم ويخدموكم».

ونستوى عنده رعية لرعية من المسلمين، ورعية الرعية من غيرهم فيما رأى أقواماً دسبن بقصور لعهد، ويثورون على الدولة، طلب من صلح البصرة

(١) الدولة الاستد وتترك انكفة

(٢) أريب: بكى.

(٣) أشربكم: جلوبكم

وقفاً عنهم الأحبب بن قيس، وهو مصدق عنده فسأله «إب عدي مصدق وقد رايك رجلاً فحصرني المصمة»^(١) نهر أهر الدمة أم لغير ذلك؟»

فقال الأحبب «لا بل لغير مطيعة، ولباس على ما يحب»

فهدأ بآله وقال: «فسمع بن (٢) انصرفوا إلى رحاكم»

وربما ذهب في إرضاء الرعية مذهباً لم يحلم به الغلاة من المطالين بحقوق الشعوب في هذه العصور

فكان من قواده وولاته سعد بن أبي وقاص، قائد المظفر في حروب فارس، وقريب رسول الله ﷺ، والرجل الذي جعله عمر واحد من ستة يستشارون بعده في أمر الخلافة، فثارت به طائفة من أنصاعه، وشككه إلى عمر وحشوش لهرس سحيم للغزو والتأثر فلم يشغبه ذلك عن نحري الأمر من مصابره، وإيفاد من يبحث عن حقيقة الشكوى بين أمها فبعث بوكيله على العمال محمد ابن مسيمة سأل عن سعد وسيرته في الرعية، وكلم سأل عنه جماعة أثتوا عليه، إلا من شكوه، فقد أحجم هرق منهم لم يمدحوه ولم يذموه، وقال فريق منهم «إبه لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية ولا يعرف في السرية»

فعاد محمد بن مسلمة إلى المدينة وسعد معه، وأعاد عمر سؤله فلم تثبت له من أمره ريبه إلا أنه تبقى الفتنة والحطوب سيرة، فعزله وقل ليناكيه «إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم لهذا الأمر، وقد ستعد لكم من اسعد وايم لله لا يمعنى ذلك من لطار فيما لديكم وإن نزل بكم». وقال لسعد يومئذ مبرراً له من تهمة حصومه «هكذا الصبي أنا سحوقاً ولولا لاحتياض كان سييهم بنتاً» ثم أبى أن يفارق الدنيا وفي نمته شهادة لسعد بعلمه للألمسلمين، فلما حضرته الوفاة، سألوه أن يستخف، أبى أن يخف أحد من أهله، وسمى علياً وعثمان وطليحة ولرببر وعبد الرحمن بن عوف وسعداً «لأنهم يعرفون رسول الله وهو عندهم راض، فأيهم استخلف فهو الحنفه». ثم قال: «إن أصابت سعداً فذاك، وإلا فأفهم سنفخف فليستعز به، فإني لم أعزله من عجز ولا خائنه».

وهذا مثل من أمثلة لوفاء جميع الحقوق، والرعاية لجميع الدم من حاكمين

^(١) مصمة بفتح ميم وكسر لام سمى بضم سين على نطالم كالمطامة (٢) أي لا يصبر إلا

ومحكومين، ولا يبعد أن يقع لعب علي بعض بولاه لكفة من فرط العناية بشكيات الرعية، إلا أن عمر في حرمه وعدله لم يكن يقوته مفرق انصواب بين الأمرين، فعين وال أو قائد أهول من غير أمة أو حبش.. ومن أقواله هي ذلك «هن شيء أصبح به قوماً أن أسلهم أمير مكان أمير»

بر ربما جرى منه حكم العزل علي لولاه الكفاء لعب سبب من أسباب الشكية أو القصاص، وإنما هو سبب من لأسباب لى نرجع إلى سلامة الدولة أو ما سميته في لعصور «حديثاً بالسببسة العيب وهذه أسباب لا يصح أن يغفر عنها ولأه الأمر في أيام تأسيس لدول ونحرمة النظم لحدثه، وأولها عصمة الدولة من فتنة المقتدرين المحبوبين.

فربما كان لوالى العنبر المحبوب أخطر عى الدولة الناشئة في تأسيسها من لوالى لعاصر البعض، إذا لم نعهده نطر ثقت وحسب عسير

فقد تزين له نفسه، أو تزين له رعيه أن يستغل بالأمر ويتجر لدل ما شاء من المعادير، فأبى هانه الاستقلال ورئيسه قوى مهيب، لم يفته بعد روال ذلك الرئيس، وأوجاء بعده من يضمرعه في لقوة رالمهة لأن لفرة بين رول عهد واستقرار عهد حر تؤيد بمثل هذا لسهل ربهتج الثعرت من يريد أن يبيع^(١) منها بعد طول تريص واستعداد

ولم يكن عمر من الحصب يعرف تاريخ لإسكندر المغوسى وتواريخ لعنة من فياصرة الرومان، ولا كان لعب قد «كشف له مرأى ما تلاه من لأمثلة في دول ابحول والعثمانيين، ودول المسمين من الشرقيين والغربيين، ولكنه لو استقصى «خبارهم جميعاً وعرف منه الولاة بعد روالهم لى بدم لحظة عى عزل الدين عزلهم وهو يقول لهم إسم عزلتكم بكلا أحمل على الناس فص عقولكم، وللكلا تفصو بالناس كما اعتز الناس بكم ولكن به سبب حر وجهه، بالغ في الوحاهة بدعوه إلى تلعب رغبت الرعية علي مكاة لولاة، وهو عصمة لدولة من أولئك الولاة أن يطول بهم العهد، ويتم لهم القدره، ويحوطهم الحب والولاء، فلا يبقى بينهم وبين الانقاص^(٢) إلا بفرصة اسبحة وهي أقرب شيء سنوح في إبان التأسيس والانتقال

(١) بلج مضارع وبع، أى بخل.

(٢) مراد انخروج عى الدولة ولاستقلال بالولايه

وم لم يكن عرل العمل لسبب من أسباب سياسة لعب التي من هذا القدر، فلا حراء إلا بمسطاس دقيق محيط، ولا سيما في الشؤون المالية، لأنه يعتمد في محاسبتهم على وسائل مفرقة يستدرك بعضها بقص بعض، فلا تكاد تخفى عليه حافية مما يريد الوقوف عليه

فمن هذه الوسائل أنه كان يحصى أموالهم قدر الولاية ليحاسبهم بها على ما رده بعد الولاية مما يدخل في عداد الربوة المعقولة، ومن بطل منهم بالتجارة لم يقبل منه دعواه^(١) لأنه كان يقول لهم إنما بعثكم ولاية ولم بعثكم تجار^(٢) ومنها أنه كان يرصد لهم الرقباء والعيون من حولهم^(٣) ليدلعه ما ظهر وما خفى من أمرهم، حتى كان الوالي من كبار الولاة وصغارهم بحشي من أقرب الناس إليه أن يرفع فيه إلى الحيفة

ومنها أنه كان يندب لهم وكلاء خاصاً يجمع شكايات الشاكين منهم، ويتولى التحقيق والمرجعة فيها، ليستوفي الحث فيمن ينقله الرقباء والعيون

ومنها أنه كان يأمر الولاة والعمال أن يدحوا بلادهم نهاراً^(٤) ففصوا^(٥) إليها من ولايتهم سظهر معهم ما حملوه في عودتهم، ويتصل سؤده بالحراس والأرصاد الذين يقيمهم على ملاقى الطريق

ومنها أنه كان يستقدمهم في كل موسم من مواسم الحج ليحاسبهم ويسمع ما يقولون وما يقال فيهم، وعينهم شهود ممن يشاء أن يحضر الموسم من أهل البلاد ويوى في أواخر أيامه أن يستكمل الرقبة بأسير في البلاد «هديم شهرين شهرين في الشام ومصر و لبحرس والكوفة والحصرة وغيرها» فإنه ليعلم «أن للناس حوسج تقطع عنه، أما هم فلا يصون إليه، وأما عمالهم فلا يرفعونها إليه».

وكان لا يكتفى بوسائله تلك إذا ستراب، فيعمد إلى الحيلة للكشف عن الخبايا التي تريه، ومن ذلك أنه سمع بعودة أمى سفيان من عند ولده معوية والى الشام، فوقع في نفسه أن ولده قد روده في عودته بمال، وجاءه أبو سفيان مسلماً فقل له أحرماً^(٦) يا أبا سفيان قال ما أصبنا شيئاً فنحيرك فمد يده إلى حاتم في بده فآخذه منه وبعثه إلى هند زوجه، وأمر الرسول أن يقول لها

(٢) أجريننا المقصود أعطينا

(١) مفر رجعوا

باسم روجه. انصرى الحرحين الدين جئت بهما قاعثيهما، فما لبث أن عاد
بحرحين فيهما عشرة آلاف درهم، فطرحهما عمر في بيت المال.

وكانت سنته إذ ثنت على الوالى شبهة التصرف في بيت مال اسمين^(١) أن
يصار المال الذي طفر به، أو يقاسم انواى^(٢) فيما أربى^(٣) على كسبه المعقول، فترك
له النصف ويضم النصف إلى بيت المال، وهذا عد ما يحزیه به من عزل أو عقاب.

أما حسب لشكيات من المظالم فكانت سنته فيه التحقيق، ثم الحراء على
شرعة المساواة بين أكبر الولاة وأصغر الرعية بغير تفرقة بين لسببة وحرانها،
فمن ضرب ضرب، ومن عصب رد ما غصب. ومن اعتدى قوم بمثل اعتدائه،
وعليه زيادة التأديب.

وقد تأخذ الوالى أحياناً بوزر^(٤) ولده أو بوى قرانته إذ وقع في نفسه أنهم
يستظلون على الناس سلطان الولاة، ولا ينهاتهم الوالى لستول عه.

حاء مصرى فشكا إليه و إليها عمرو بن العاص، وزعم أن الوالى أحرى
الحير، فأنقلت فرس المصرى فحبسها محمد بن عمرو قرسه وصاح فرسى
وب لكعة^(٥) ثم قترت وعرفها صاحبها، فغضب محمد بن عمرو ووثب على
لرحل بضربه بالسوط، ويقول له حذها وأنا ابن الأكرمين وبلغ ذلك أياه
فخشى أن يشكوه المصرى فحبسه زمناً، وما زال محبوساً حتى أفلت وقد م إلى
الحيقة لإبلاغه شكواه.

قال أنس بن مالك روى القصة فوالله ما رد عمر على أن قل به احلس ..
ومضت فترة في به في حلها قد استقدم عمر، وأنه من مصر، فقدم ومثلاً^(٦) في
مجلس لقصاص قذرى عمر^(٧) ابن مصرى^(٨) بول^(٩) أدرة فاضرب بها ابن الأكرمين.

فضربه حتى أثحبه^(١٠) ونحر شتته أن بصره، هم سرع حتى أحسب أن يزع
من كثرة ما صربه، وعمر يقول صرب ابن الأكرمين ثم قال أحسها^(١١) على
صلعه عمرو^(١٢) فوالله ما صربك أنه إلا بفصل سلطه قال عمرو قرعاً يا أمير
المؤمنين قد سنوقيت و شنفيت. وقد لمصرى معتذراً يا أمير المؤمنين قد
ضرب من ضربىي.. فقال عمر أما والله لو صرته ما حسا بيتك وبه حتى

(١) ربي را. (٢) الورر سب.

(٣) أثحبه أصعبه وأرجعه رأسه. (٤) أحسها أربى.

(٥) مثلاً مثل من يده تنصب قائماً، وبه دخل

(٦) مثلاً مثل من يده تنصب قائماً، وبه دخل

تكون أنت، مدى سعة، و لفت، في عمرو معصاً يقول له تلك القولة الحالده التي ما قايها حاكم قبله «أيا عمرو متى تعديم»^(١) الناس وقد رأيتهم أمهاتهم أحراراً»

ومن هذا العدل في شئون الولاية يستطیع أن نفهم دستوره في شئون القضاء، فلن يكون هذا الدستور إلا دستور العدل لمحكم في الحراء والفصل بين الحقوق، إلا أن يعتقد أن وصاياه في القصد، حكم، وأصلح لجميع الأزمنة من جميع وصاياه فلا تعقيب بعدها لمعقب في زمان، أو في زمان يبييه مهما تختلف الأقوام والأوقات.

أنشأ وظائف القصد، وتخير لها العدوى^(٢)، الأكف، ولم تكن به من حاجة هذا إلى سن الشريعة التي يحكمون بها، فيها مائتة في الكتب والسنة، ولكنه كان في حاجة إلى نعيم لقصده كيف يصرفون خبر يلتبس عليهم الأمر، فأحسن النعيم

كان يكتب لأحدهم «إد حاك شيء في كتاب الله فاقص به، ولا يفتب به لرجال، فإن حاك أمر ليس في كتاب الله، فانظر سنة رسول الله ﷺ فاقص به، فإن حاك أمر ليس في كتاب الله، ولم يكن فيه سنة من رسول الله فانظر ما اجتمع عنه ليس أحد به فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله، ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي، لأمرين شئت إن شئت أن تجتهد وتقدم فتقدم، وإن شئت أن تأخر فتأخر»^(٣)، ولا أرى لتأخير إلا حيراً لك.

وضرب لهم أصلح لأمثله سحتاهه و ستقتائه، فلم يقطع يد السارق في عام المحاعة رعية للرمن، ولم يقطع يد العلام الذي سرق من سيده رعية لسه أو للعلاقة بين السارق والمسروق منه، واشتركت مرأه وصاحبها في قتل رجل فخرج من قتل اثنين بواحد، حتى أفتاه على رضى الله عنه بأنهما مستحقان للمثل كما يستحق للصوف المبعدون أن يقدم عليهم لحد إذا سرقوا لحداً من غير واحد، فأخذ مفيوه.

(١) تعديم استعديم (٢) العول جمع عدل، وهو العاد (٣) تقدم تتقدم «وتأخر» أي تأخر.

ومن وصاياه للقاضي «أس بين الناس في مجيب ووجهه، حتى لا يطمع شريف في حيفك»^(١) ولا يئأس ضعيف من عدلك، والنية على من ادعى، واليمين على من أنكر، ولصلح جائز بين المسلمين، لا صحاً حرم حلالاً وأحل حراماً، ولا يملك قضاء قضيته بلامس ثم رجعت فيه بفسد، وهديت فيه لرشد أن ترحم عنه، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من لتمادي^(٢) في الباطل العهم لفهم عندما يتلجج^(٣) في صدرك ما لم يلعث في كتاب الله ولا سنة النبي ﷺ، واعرف لأمثال والأشياء، وقس الأمور عند ذلك، ثم عمد^(٤) إلى حسب إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعي حقاً غائباً أو سنة أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بينته أخت له بحقه، ولا وجهت عليه القضاء، فإن ذلك أنفى للشك، وأجلى للعمى، وبلغ في العذر.. المسلمون عدو^(٥) بعضهم على بعض إلا محلولاً في حد أو مجرباً عليه شهادة رور، أو حنيئاً^(٦) في ولاء أو قرابة، فإن الله قد تولى منكم لسرئ، ودرأ^(٧) عنكم بالشبهات، ثم إياك والقلق والصجر والتأذي بالناس، والتنكر للخصوم في موطن الحق التي يوجب الله بها الأحر، ويحسن بها الأخر، فإنه من بخلص نية فبم دنة ومن الله ترون وتعالى ولو على نفسه، يكفيه الله ما دنة وبين الناس».

ومن وصاياه لمن يكون لحكم «الزم خمس خصال» يسلم لك دينك، وتأخذ فيه بأفضل حطك إذا تقدم إليك الحصان فعيب بالنية لعدلة أو يمين القاطعة، وأذن الضعيف حتى يشتد قلبه وينسط لسانه، وتعهد العرب، فإنك إن لم تتعهده ترك حقه ورجع إلى أهله، ومن ضيع حقه من لم يرفق به، واس بين الناس في لحصك وطرفك، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستثن لك حصص القضا».

تلك نماذج مفرقة من وصاياه للقضاة وولاة الأحكام، وهي فيما يراه أحكام وصاياه، وأقربها أن يمنعها سواه.

وإذ لك سبب لا يعسر تعليقه فقد كان عمر في لجأه حكماً من قبيله محكمين، أو سفيراً يسعى بين الناس بالصلح من قبيله سفراء، فهو في هذه الصناعة عريق

(١) حيفك طلعت

(٢) سمدى الاستمرار والإصرار

(٣) يتلجج بترديد وتحرير

(٤) عمد، مقصد.

(٥) عدو، تقبل شهادتهم.

(٦) حنيئ، معهود.

(٧) درأ منع العقوبة

لا بن امرء قد يحسن الحكم بين اناس كم حس عمر ولا يحسن الوصية
فيه كم أحسنها، وإنما بلاغ حس الوصية أن تجمع بحاصلين اللتين احتملتا
في وصاياه لقضاته

فمن أحد يستطيع أن يوصي قاضياً بخير مما أوصى، وما من عقدة
قضائية تأتي من قبل لقصة، أو من قبل المتقاضين، لا وهي محوطة في
كلامه، وهاتان هما الخصلتان البديتان في دستور القضاء كما أملاه.

ولابد أن يفت النصر في سدسته لولاية، وسياسته للقضاء، أنه كن يأخذ
الواجب حيث وجب، وإن اختلف الواجبان.

ففي الولاية كن ينحري لوطر، ويمعن في تحريها ولا يكتفى من الدس
بالصواهر. وفي لقضاء وما شابه القصد كان يكتفى بالطر حتى تنقض
النسبة^(١) لقاطعة، وكان يعن هذه الحطة على المسر، فيقول «أظهرنا لنا احسن
أخلاقكم، وله أعلم بالسرائر، فإن من أظهر لنا قبيحاً وزعم أن سريرته حسنة
لم صدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً» أو يقول «إنما كنا
نعرفكم بد الوحي ينزل، وبد النبي ﷺ بين أظهرنا، فقد رفع الوحي، وذهب
النبي ﷺ، فإنما أعرفكم بما أقول لكم، لا فمن أظهر لنا خيراً أثبتنا عليه،
ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأغضنا».

بل كن له في الأخلاق الاحتمالية مذهب ثالث يشبه مذهب في القضاء،
فكان يكره أن يكشف المرء من أخيه ما يستره عنه، وينهى أن تضر بكلمة شراً،
وأنت تحد له في الحير محملاً.

وهذه في الظاهر بقائس، وفي الحقيقة واحسات متعددة، كل منها في موضع لازم
والعم بحايا الحكومة واجب على كل ولي مسئول، لا يصلح لأحوال بعيره،
وفي الغفلة عنه مضرة محقة لجميع الناس.

والأخذ بالبينه دور الظاهر في شئون القضاء وجب، لا محيص عنه لصما
لسلامة ومنع لجور، وهو في أحد طرفيه لا يخلو من الحذر الشديد من

(١) أسنة الدليل والبرهان.

الطبيعه لشربه، فإنه حشيه من عويّه الهوى أن يسلق بفصاهه في يحكم
بغير برهان.

وفي لأخلاق لاحتفاعه لا يؤمن انقطع من لأصفاء به جرت العلافه بينهم
على الحسب و لخدعة، ولا رعاية لموده ما لم تكن رعاية للحرمان، وبها لأسر .
والترفه من لواحيات مختلفه هي بين الصيرة في عرف كل واحد منهم
وأنها تصدر عن رأى أصيل، ولا تصدر عن تسخير لعرف وملاء، بتقليد ولحاكاة

ونشئت في عهد عمر دواوين أخرى غير ديوان نقباء ودواوين لأحصاء
والبحر ح والمحاسن، التي لم تكن من مؤسسات القنمة فمن عهده فأنشئت
البريد، وبيت المال، ومرابط لشعور، ومصنع السكة بصرى بغداد، ودار لحسب
للعقبات وكل معظم اسواوين في أساء البلاد بر ولونها ببعثهم لأب السب من
أسرار الدولة، ويس من الميسور أن يصرف لده فنار العرب عما هو أولى
بهم وهو فرئض الدفاع والجهاد..

فواحد منهم من بقى^(١) تلك الأعمال لكانت حسارة الدولة في فامهم بها
أعظم من ربحها، وبكنهم غير موجودين، ولا عملهم منها سائر الملامح
لمصلحة الكبرى، وقد يكون عمل الفارسي في مصلحة فارس، و لسوري في
مصلحة سورية، والمصري في مصلحة مصر أخرى^(٢) أن بعضهم إن كان بهم
عاصم، وإلا فلا تريب^(٣)

ووضع عمر نظاماً لاحتصيل الحرية، وتصرف في وضعها على حسب الأمم
والبلاد فأعفى النعميين بالشتم من الحرية وفرص عليهم مديلاً عنها ضعف
صدقة المسلم لأنهم اتقوا أن يؤذوه، ورمعوا بلحاق نزع من يروم

وكان له نظام اقتصادي يوفق مصلحة الدولة في عهده، فكان يحرص على
البحر، ويوصي القرشيين ألا بعضهم أحد عيها لأنها ثلث الملك ولكنه أنقى
الأرض لأندائها في بلاد المفتوحة، وبهي لمسلمين أن يملكوه على أن يكون
لكل منهم عطوؤه من بيت مال، كعطاء بحد في الحش لثائم وإد أسلم أحد

(١) بقى بكنى ويصلح

(٢) أخرى، أخرى

(٣) تريب، يوم ويب

لدميبر أحب منه رصه، وورعت سن اهل بده، وهرص له العطه، وكان
مرصه من ذلك أن تنفي لأهل البلاد مو رد ثرواتهم وأن يعصم^(١) الجيد
إسلامي من فت التراج على الأرض ولعقر، ومن هن لدعة^(٢) ولاشتعال
بالثراء ولحطام ورم عصي^(٣) عن كثر في سبيل الإغنه على تعمير لبلاد
بأهلها فصيح عن أهل أسود «العراق» لأمموا السقاء فيه، مع أنهم حبثوا
بالعهد، وعاونوا الفرس على المسلمين في أشد القتل.

ويسوح من كلامه في «حرب ايمه أنه كن على ييه لسطر في تصحيح
الطام لا قيصبي، وعلاح مشكله الفقر والعنى على نحو عبر الذي وحده
عنه، فقال: «لو استقلب من أمرى ما استدبر^(٤) لأحد فصول^(٥) أموال
الأغنياء فقسمتها على الفقراء»

ولم رد في كلامه تفصيل لهذه لسه، ولكن الذي نعلمه من رائه هي هذا
الصدر كدف لاسحلاص ما كن يويه، فعمر على حبه للمساواة بين الناس
كان يفرق أبدأ^(٦) بين مساواة في لأب النفسه والمساواة في لسن
الاحتماعية، فكتب إلى بن موسى الاشعري «سعى أب تأن لسن حماً
عقير^(٧) هذا حاك كسبي هذا هادن لأهل شرف وأهل بقران والفقوى
ولايين، فبد أخذوا محاسنهم هادن للخدمة» ولكنه لما رأى لخدم وفوف لا
ياكلون مع ساداتهم في مكة عصب، وقال لسن بهم مؤبب ما لقوم يستأثرون
على حد مهم، ثم دعا بلخدم فاكلوا مع لسنه، في حفر وحدة

فالمساواة في أدب لنفس لم تكن عند عمر مما تنفي تفاصيل بالدرجات،
ويم يكن يرصيه كذاب أن يعتمد الفقراء على بصدقات وبعضنا، ويعرضوا عن
العمل وانحد ابهه، فكان يقول لهم في حطسة «يا معسر لفقراء، رجعوا
بوسكم فقد وصح بطريق، فاستنفوا الحيرات، ولا تكونه عبدلاً على
المسكين^(٨)» وكان يوصي الفقراء، لأعساء معاً «أن يتعلموا المهنة فبه يوتس
أن يحتاج أحدهم إلى مهنة وإن كن من لأعساء»

(١) يعصم يسمع ويحصى. (٢) لدعة لخص والرفاهه (٣) غصي اعرض عنه وصيح

(٤) لو دلو رجع من عمرى ما هات. (٥) فصول ما راد عن الحجة، جمع فصل.

(٦) بدأ وانما (٧) جما عقيراً جمعاً، اشريف مع الوصيح في كثرة

(٨) لا تكونوا عبدلاً على المسلمين لا تعتصوا على أن يعوبكم

فيسوغ لنا أن منهم من هذا جميعه معنى ما انتوه من أحد فصول لغني،
وتقسيمه بين دري لحاجة، وهو نحصل بعض الضرائب من الثروات الفاضلة،
وتقسيمها في وجوه البر والإصلاح.

على أن عمر يصح أن يسمى مؤسساً لديوان الوقف الحيري على الوجه
الذي نعهده الآن، فقد أُنشأ بيت لدقيق لإعدته الجياغ لديس لا يجدون الصعام،
وأصاب قتل خلافته أرضاً بخير فاستشترى النبي عليه لسلام فيها، فاستحسن
له أن يحبس أصلها، ويصدق بريعها، فجعلها عمر صدقة لا تباع ولا توهب ولا
تورث ويفق منها على لفقراء والعراة وغيرهم، ولا جذح^(١) على من وليها،
يكل بالمعروف، ويطعم صديقاً فقيراً منها

وعرضت لعمر مسائل التعمير على حسب الحاجة إليهم في وقته، فلم تحده
مسألة منها دور ما يحتاج إليه من إصاابة الرأي وحسن الروية، فكانت
صائحه في تحطيط المدن واختيار مواقعهم من أنفع صائج وكانت دور عيه
إلى مدنها من أشرف المواضع وألقها بالأمير.

شهد في الجند هراً وتغير ألوان فسأل قائدهم سعداً ما الذي غير لون
العرب ولحومهم؟ فأجابه إنها وخومة^(٢) المدائن وجلة فكذب إليه «إن العرب
لا يوافقها إلا ما وفق إبلها من البلاد فاعث سليمان وحذيفة فبرتا^(٣)
مراً برى بحرياً ليس ببنى ويبيكم فيه بحر ولا جسر» وأمر أن تبلغ مباحج^(٤)
المدينة أربعين راعاً وما يليها ثلاثين ذراعاً وما بين ذلك عشرين، وألا ينقص
الأرقة عن سبع أذرع ليس بونها شيء، وألا يرتفع بناء الدور فببيت الكوفة
على هذا التخطيط

وعلم أن الجند يشكون الشتاء، ويعورهم لما الذي يسكنون إليه بعد العزو
في حدود هارم، فكتب إلى عتبة بن عروا أن «ارتد لهم مراً قريباً من
المراعى وماء»، ووصف له ما ينرم من مواقعهم وحططه، فبنيت البصرة عند
ملتقى النهرين.

(٢) وخومة: فساد الجرواكت

(٤) مباحج: حريق

(١) لا حجاج، لا ثم ولا حرج ولا ذنب،

(٣) فليزادة فاستترا بعد البحث.

وهو الذي أسار على عمرو بن العاص أن يحفر خليجاً بين النيل وبحر القلزم^(١) لاتصال مرافق بين مصر وعاصمة الدولة وصرّب له الموعد حولاً بقرع فيه من حفره وإعداده لمسير سفن فيه، فسأقه من جانب القسطنطين إلى القلزم، ولم يأت الحول حتى حرت فيه السفن، وسمي خليج أمير المؤمنين، ولم يزل مفتوحاً حتى ضيعه الولاة وعفل عنه الخلفاء.

فسياسته التعميرية وأفيه بالعرض منها لعصره، وقد يلاحظ عليه أبناء العصر الحاضر شيئاً لا يوفقهم، كالحذر من ارتفاع الدور، وإرهاف في تشييد القصور. أما هو فالوجه الذي توخاه في سياسة تعمير أن يحمي الدولة في شتاتها من الصرف والبذخ، وأن يحور بين الجدد وبين الاستقامة^(٢) إلى متاع القصور المشيدة، والصروح المردة، وما فيها من موعظ لوهم وافتور، ومن فلاسفة العصر الحاضر من يحسب ضخمة لبدء دليلاً على بدء اضعاف وعفاء^(٣) العقيدة، ويقول «شبحلر» أحد هؤلاء الفلاسفة «إن الأمم في نهوضها تعبر طريقين مختلفين صريق العقيدة وقوة النفس، وتلازمه سبطه بضواهر وعظمة الضمائر، وطريق لفخامة المادية والوفرة العددية، وفيه تحس لصمائير، وتحققها لعظمة التي تقاس بالناع والدرع، وتقدر بالقنطرة والدينار، وكانت قبل ذلك تقاس بما لا يحس من العزائم والأحلاق».

وعمر على كلك لحائتين لم يتعد طمئع الأشياء، ولم تأخذ في زمانه بغير الصالح من الآراء

وفصاري القول أن هذا رجل لم تهاجه في ولاياته الواسعة صعوبة أكبر منه وأحوج إلى قدرة أعلى من قدرته، وهبة ودراسة حل مم كان له من هبة ودراية، فإن عرصت الصعوبة بظرفه فهذه لحرم استلزام لمواجعتها، والحيلة الصالحة بتدبيرها كأنما كن لها على استعداد، وكأنما عايش حياته كلها بتمرس^(٤) بهذه الأمور.

وكان اصطلاحه^(٥) بتفريع لأزمات و لكو رث كاصطلاحه بتدبير الحاجات

(١) القلزم مدينة لسويس الحالية وكان اسحر الأحمر قديماً يسمى بحر القلزم، سبه لهذه المدينة

(٢) الاستقامة الاطمان والرع والرع (٣) بتمرس يترب ويتمر ويصالح

(٤) عفاء انتهاء ومنا (٥) اصطلاحه حماله وقبانه

إلى تعمير والتنظيم في سنة الثامنة عشرة للهجرة فحاه فحط الرمادة المشهور، وهو القحط الذي لا يقل في وصفه^(١) وجر من هولهم يومئذ من الوحش كنت تأوى فيه إلى الإس وإن الرجل اتصور من جوع كن بدبح لشارة فعافها لقبها.

فنهض لهدد الكارثة نهوضه لكل خطب، واستجلب القوت من كل مكان فيه مزب من قوت، وحمل حممه على ظهره مع احاميين إلى حيث يعثر بالجوع والمهرولين العاحزين عن حمل أقواتهم، وإلى^(٢) على نفسه لا يأكل طعاماً أنقى من طعام الذي نصيبه الفقير المحروم من رعاياه، فمضت عليه شهور لا يسوق غير الحمر والريت، ونصر في كل شيء حتى في تعليم كل بيت كيف يستف بالرزق الذي يرسه إليهم مع عماله فقال للرئيس لعموم « خرج في أول هذه لعبر فاستقر بها نجداً، فحمل إلى أهل كل بيت قنوت أن تحملهم إلى، ومن لم تستطع حممه فمر لكل أهل بيت ببعب ما عيه، ومرهم فلبسوا كسامين، وبتحروا الدغير فليحملو شحمه، ولبقديو لحمه، ولبحثروا^(٣) جلده، ثم لئأخذو كسة من قديد، وكسة من شحم، وحفة من دقيق فليطبخوا ويأكلوا حتى تأتيهم له بررق».

وهذه السهولة في مواجهة كل حاة بما يؤتمها هي التي ببر لنا «مؤسس الدولة للمهم» في هذا الرجل العظيم.

فكر عمل من هذه الأعمال سهل على القرطاس، صعب عند بصورب إليه وإحاطسا بم يسدعه من تدبير وإبصار وحس وهدية، فكم بين المدينة وتلك الأطراف هي رمز أسرع وسبلة غير سريع، وكم عمر عمر لملاحقة كل حبش يسير، وكل مد يفسح، وكل أمة تحكم، وكل عارض يطرأ على غير رقة^(٤) ولا سابقة حرة.

تحديد الحوش لشمى المدين، وليس سهو، واختير القود على حسب ما يتسبون له، وليس سهو، ولأمر بكل حركة على حسب كل ميدن، وليس سهو، واستؤل عن قادة الأعداء ومداوراتهم^(٤) ليستقصى خبرهم، ويعرف ما يقابلهم به من الكد، لعدة، وليس سهو، وإنشاء المدن والعمائر هي مواضعها، وعامة

(٢) حر الحد، حره قطع

(١) إلى حلب

(٤) المدورة البحارية والاهل في اسانيب لقال.

(٣) رقة ترقب وانتظار.

لندراوين عند الحاجة إليهما، ويرهب الأمم و لجيوش بالإصغاء إلى شكايهم ولو جاءت في غير أوانها، و سهو عن الكوارث و لأرست بم يسعى لها، والمتسورة لن تسمع منه المشورة بغير ما شكه، وخدمه الدس في دينهم وحقهم كخدمته إياهم في دينهم ودولتهم، وتجدد هذه المناعب يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وبعدها بعد عام وهي شافه لا سهوله فيها عى غير صاحبها القدير عيها ولو زاولها عرضاً إلى أيام.

وحلن بعض هذا عبه الجلال بو أن صاحبه قنع منه بالإشراف والمراعاة، ولم يعص بده فيه كائنه خادم البيت ابرهق، وأجير الديوان الصغير لكنه، كم تعلم، كان يكدر بيده، ويحمل على طهره وينعقب^(١) بعينه، ولا يدع أحداً من خدام النبوة الواسعه إلا وهو شربث له في مثل ما يولاه

وأكره ما يسحق الإكثار في هذا لرحل الكبير، أنه كان قدراً على تأسيس الدول وعى فتح الأمصر، ولكنه راض^(٢) القدرتين، فلم يقدم على فتح الأمصر إلا بمقدار.

فلبس الفصح شهوة عنده ولا المحد الصرى لبنة^(٣) من لدناته، وهو على علمه بن الله وعد المؤمنين أن يورثهم الأرض لم يكن يرى في ذلك داعباً إلى العجلة بالفتح، كم كان يرى فيه دوى لتنصر و لأنة، حتى لا يسهو دم في غير موجب، ولا تعتسف خطة بغير روية

فكان همه الأكبر تأمين جربة اعرية من أطرافها، وحماية الإسلام هي عقر داره، ولولا أن الدول العظمى التي كانت تحدد بحرية العرب بحفرت^(٤) للنطش بها، وقمع دعوتها في مهدف، لكانت للنبوة الإسلامية سياسة أخرى هي مصالوة أولئك الأعداء.

هذوله الروم كانت ترسل البعوث إلى نحوم^(٥) لحريرة و بهيج القائن لحرب المسلمين من عهد النى عليه السلام وكان المسلمون يعيشون في فرع دائم من خطر هذه النبوة وأتباعها يدل عليه كلام عمر وهو يتحدث عن أزواج النى حيث يقول: «... وكنا تحدث أن غسان^(٦)، تتغلل انحال لغرونا، فبزل صاحبى

(٣) لبنة حاجة ورعة

(٢) راض روم ودل

(١) انعقب يتم ويعحص

(٦) عسان حرب لغام

(٥) نحوم حدود

(٤) تحفرت استعدت وتوثت

يوم نوبه فرجع عشاء، فصر بآبي صرِباً شديداً وقال: أثم هو؟ فعزعت
مخرجت إليه، وقال: حدث أمر عظيم قلت ما هو؟ أجأت عسان؟ قل لا، بل
أعظم منه وأطول.. طلق النسي ﷺ سنة ١٥هـ.

ومن هذا الحديث يتبين لنا مبلغ هزاع من تهديد الروم للجريفة لعربية
بالليل والنهار. ما فارس فقد بلغ مصغيانها أن عاهلها غضب من دعوته إلى
الإسلام. فلوقد إلى لحجاز رسولاً مع بفر من لجند ليأتيه بالنبي العربي حياً
أو ميتاً! ولولا أنه مات قبل إنجاء وعيده، واشتعلت بير ن الفن في بلاده
لوطئت جيوش الفارسية أرض لحريرة قبل أن ينهض العرب للدفع.. وم هو
لا أن حفظ العرب حدودهم من قبر العرق الفارسي حتى سكتوا إلى ذلك، وود
عمر بن الخطاب «لو أن بينا وبين فارس حلا من نر لا يصلون إلينا ولا يصل
إليهم»، ولم تتغير حصنه هذه إلا حين ستوى «يردجر» على عرش فارس،
وتأهب للعارة عى المسلمين، وخراجهم من حيث نزلوا، فتجدد القتال.

وقد طال تردد عمر في فتح مصر، ولم يبعث إلى عزوه حياً ولهاً^(١)
بالتوح، ولولا أن عم أن أريصون قائد الروم في بيت المقدس قد فر منها إلى
مصر ليحشد فيها الجنود، ويتأهب للكر على الشام لصال برده في الزحف
عليها. ومع هذا أوشك أن يسترحع عمرو بن العاص بعد إشخاصه إليها، ونهه
عن لإيفال في لعرب بعد فتحها. لأن لسطوة وهو مقتدر عليها لم تكن
ترده^(٢) ولا تعويه، ولأن الضن بالأروح أغب في طبعه من الشعف بالقبوح،
وأن رجلاً من المسمين أحب إلى من مائة ألف دينار.

فلا يخطئ لقائل لذي يقول إن لأناة في السطوة أكر ما يستحق الإكار
من هذا الحلق الرفيع، وإن دلالة الإنسانية كبر دلالة شمل عليها هذا السحل
الحق بالماثر لأنه يرنا لقوة كيف تكون بعمه إنسانية عالية ولا تكون لرماً
مقمة من نغم لأثرة ولأنسانية، ويرينا الرجل كيف يقوى فلا يخافه الضعيف، بل
يخافه من يخيف لضعفاء

وبحق متزود بهذه القوة مؤسس دولة تقوم على دين، لأن الدولة قد تقيمها
القوة الطاعة، أما الدين فلا يهدمه شيء كم تهدمه قوة الطعاب

(٢) تردهه سنهويه وسنحه

(١) لهاً: اللع بالثني: الولوع به

إن سأس الذي ررقته نفس عمر لحظ عظيم ولكنه لو كان في يدي غيرها
 لقد يكون نصيبها منه أوفى من نصيبها وهو في يدها، فلم يشحذه عمر قط
 لغرض يخصه دون غيره، ولم يضرب به قط بمعزل عن الإيمان حتى في أيام
 الجاهلية فلو لم يقع في روع^(١) عمر أن محمداً أهاق قريشاً واستقص دينها لما
 تصدى له بأدى، ولولا حرمة الإيمان اجاهلي عبده لما ثر على إيمان محمد
 وصحبه.

وعاية ما هنالك أنه فرق بين إيمان ويمان، ففي الجاهلية كان إيمانه مضللاً
 فعقم ولم يأت بطائل، وفي الإسلام كان إيمانه رشيداً فأتى بأطيب الثمرات.

صل أن يقال إن عمر كان أكثر فتنح في صدر الإسلام، ينبغي أن يقال إنه
 كان يومئذ أكثر مؤسس لدولة الإسلام، وإنه أسسها على الإيمان، ولم يؤسسها
 على الصولج^(٢)، فكان مؤسس لها قبل أن يسي الخلافة، وينفرد بالكلمة
 العليا، وكان من يوم إسلامه اخذاً في تشييد هذا ابناء الذي تركه، وهو بين
 دول العالم أرسخ بناء.

إن تاريخ عمر وتاريخ الدولة الإسلامية لا يفترقان، فإذا بدأت بهذا فقد بدأت
 بفصل من تاريخ ذلك، وإن يطول من الاستطراد، حتى تثوب إليه كرة أخرى

(١) الروح بالضم القلب ونفس والنال

(٢) الصولج غصاً لينة، فارسي معرب، إذ لا يجتمع في كلمة عربة صدر وحيم، لجمع الصوانج
 والمراد أنه لم يؤسسها على الصعيان والأهبة. وعمرسة المنوك

عمر والحكومة العصرية



من حقائق التي لا يحسن أن تعيب عدو وحسن يهدر الأنظار من الالة العصور
بعبرة أنهم بناء عصورهم وليسوا أبناء عصورنا، وأبنا مصالون بأن يفهمهم في
رماهم وليسوا هم مطالبين بأن يشبهوا في زماننا، وأن ابرح الذي يصنع في
عصره حذر ما يصنع فيه هو العدو الذي يقدي بها ابناء كس حيل، ولا حاجة به
إلى لافتاء بنا، إلا أن بشق حجاب تعيب لينظر بنا ويعمل ما موافقا ويرص

ويحسن بنا أن سكر مع هذا أشكال لحكومات بمرتبة دون مرتبة المديني التي
مفوم عليها وأن المديني التي تقوم عليها بمرتبة دون مرتبة لروح الإنساني الذي
بنا في رعمها وينخللها لأن المديني يعينه أن يحلو من لروح الإنساني ولا يعيب
لروح الإنساني أن يحالف المبدأ في بعض الأحاسيس هالمكيه والصهوريه
شكلا من شكل الحكومه قد يقوم على مبدأ واحد هو مبدأ الحكومه لشعبه
أو اديمقراطيه، ولكن العدل وحرية هم الروح الإنساني لمقدم على مبدأ وعلى
اسكل معاً، لأن هذا مبدأ وانشكل لا يصيرت بدا وجدنا لعدل وحرية أم
فما ان لعدل والحرية فهو لذي يصير ولو موافقت لمديني ولاشكال

فما عرف لعدل بروحه وبسبه فلا ضير عليه أن سكره مبدي أثرة انفرسيه
بمديني الوثيقة بكرى في البلاد لاجبرية، أو مبدي ل دستور الأمريكي في نام
بنا دستور هالك، أو مبدا من مبديني التي لا سي يتحد وسغير كائنا ما كان

ويحسن بنا أن يسأل نفسه كلم أعحبا بعظيم من عظماء العصور
حديثاً ما كان هذا العصب صديقاً أو شقياً في القرن الأول للهجرة مثلاً
أو القرن الأول للميلادي، أكان يصنع فيه ما هو «عصري» في زماننا أو يصنع
فيه ما هو عصري في ذلك الزمان، فمما لا مرأ فيه أنه يحالف عمه في زماننا
ولا يحالف عمه في زمانه الذي نشأ فيه ولا ملامة عليه في ذلك الزمان
واقف، من اللوم علينا نحن إذ نتطلم ما لا ينظر، نفيس على غير قدس

والى جانب هذا كله ينبغي أن يدكر ولا ننسى أن عصرنا ليس بخير
لعصورنا وإنما لو ملك تدبسه في كثير من الأمور لبدته، وإنما لا يفتق على
استحسان الحسن ولا استنفاج لفحيح منه، وأن الفارق الأكبر بينه وبين
العصور الأخرى إنما هو فرق الألفه ولاستعرب معصرون مألوف لنا وسائر
معصور مستعربة هي أنطربا وكثيراً ما يكون الاستعرب عربتاً سخيفاً
متعقفاً بالمظاهر، ولأرياء دور الجواهر وحفث الأشياء

أذكر من الصور التي رأيتها في الصحف الأوربية ولا أنسها صورة
جمعة لسفن المشهورين، والمشهورات في أرباء معصرون وأرياء العصور لسافة
عبي احبلاها عرضتها لصحيفة وأحسبها كتبت بحبها هل يعرف هؤلاء أو
مروايت هي لطريق

فإذا تأملت لصورة رأيت فيها يوليوس قيصر في القبة بصوية وكسوة
لسهره لسوداء، ورأيت كليوباترة في رى الباريسية العصرية، ثم رأيت أميراً
من أمراء هذا الزمن وحكيماً من حكماؤه على نمط يتمثلين لتي حطاب
قيصرية الرومان وحكماء ليونان في ذلك تستعرب من بألف ونائل ما
تستعرب وكأنت على استعداد أن تحدث يوليوس قيصر حديثك للرحل الذي
فهمت وتفهمه من الكلمة الأولى، وعلى قدر أن تقرب الرحن لدى مثله لك
لصورة هي رى الأقدمين المحالين لك في العقيدة والشدة والصدق ويمط
التفكير وينظر إلى الأشياء

هذه صورة مشرت يومئذ لتسلية والفكه ولكها خليفة أن تعلمنا لكثير،
وأن تصحح لك مقاييس، لتفائلة والتقدير بين كل عصر سابق وعصر أخير

وبحر إذا سطر إلى أعمال عمر بن الخطاب بقيسها إلى نظام بحكم هي
رمانا وحدود فيها كثرراً من المستعربات التي تحولت من تقديره
لصحح للوهة أولى ولكنا لا نثبت أن برمع الفشرة ونهد إلى الناب حتى
برول لعراة وبري هي مكابها الحق الحائد لدى تتعير، المعصور ولا يتعير، من
بري هي مكابها أحياء ما يصح كل الصلاحية لتفسير حتى بمبادئ هذا
لعصر الأخير.

حد مثلاً أنه وهو أقدر المالكين في عصره كان يقنع بالكفاف ويلبس
لكتب، يعيط وبها إلى بصدقته في مداوبها بالقصران- ويراه درس الملوث

وهو قائم على لأرض بومة الفقير المدفع وتعرض له الخاصة^(١) وهو داخل إلى الشام فينزل عن بعيره ويحلح حفيه ويخوص^(٢) لاء ومعه بعيره، ويسافر مع حادته فسوي بينهما في المأكول والمركب والكساء

حاكم من حكم اعصر أحدث لا يصح هذا ولا يطالب بأن يصنعه، وهو ولاء لعصر الحديث على حق فيما رنسموه لأنفسهم من اسمت^(٣) والشارة لأن حاكم الأمة محتاج إلى المهنة بين فومه وعبرهم من الأفوام، وهذا حسن مشكور

ويكر هذه وجهها نحن في هذا، فما هي وجهة عمر فيه؟

وهذه حديث بحر قيم ارتسمنا، فما هي حجة عمر فيما ارتسم؟

إنت إد عقدنا انقارنة بين الوجهتين ولحجتين ألفيذه في غنى عن وجهتنا وحبس^(٤) وأنه كان يصر إلى العاية التي نرومها نحن من طريق أقوم وأنفذ من لطريق الذي نؤخيه، فكان يعيش عيشة لفقراء وأمتة وأمم أعدائه أهيب له مما تناب لتيجان في القصور.

وكان عمل الرحن تثبيت سلطان وتثبيت عقيدة هي أساس الحكم قبل كل أساس، فكانت عشته افقيرة أعور له على تثبيت لعقيدة، ثم لا عصاصة فيها على السلطان وكان يدين نفسه بهذه العيشة ولا يثني على غيره أن يخالفها، ويقنع باليسير ويعطي الحق الكثير لم يسحقه على تفاوت في لاثر والأعمال فلما تدب ألعبيدة لبوريع الطعم في عام المجاعة أعصه ألف دينار وألح عليه في قبولها، ول فسم الولايت جعل كل وال كفاء^(٥) عمله من أجر وطعام مكفولاً له مع عطائه الذي يعطاه كسائر المعلمين

وهو الذي خالف أب بكر في التسوية بين الأعصية لعلمه بتفاوت لحقوق، فقال له تسوي بين من هاجر لهجرتين وصى إلى لغبتين وبين من أسلم عدم لفتح خوف السيف^(٦) أتجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه؟ ولقد ظل كلاهما على رأيه حتى قام عمر بالخلافة، فأحد بمدعب التفصيل وتوفية العضاء حسب لحقوق أما لنهاية فمن فقرر من الولاة إلى لظهر فيها لم سمعه عمر ولم يوجب عليه أن يقتدى به في حصاصته^(٧) وشطفه، فيه من ذلك ما تقصى به مصلحة الدولة حيث كان

(١) المحاضرة: موضع الماء بجمرة الناس مشاة وركباناً

(٢) السم: الهيئة

(٣) انحصاصة: الفقر

(٤) كفاء عمله: أي ما يكافئ عمله ويجاريه.

وبهذا يكون احكام عمر من لخصب قد أدنى «الو حب الحكومى» على انوحه
الأقوم، فلا سسل لأحد إلى أن يؤاخذة فيه بقياس حديث أو بقياس قديم

فإن بقي أن نسدل بنشدده فى المعيشة على تفكيره أو خلقه، فما هى
الدلالة التى تدل عليها؟ هل يدل هذا النشدده فى محاسبة النفس على شيء
يعاب؟ هل هو «دنى إلى النقص» وأدنى إلى «لرحا»؟

إن أفسد يشددون على أنفسهم عن كزرة^(١) فى لطمع وصيق فى الحظيرة^(٢)
وعجز عن ملاسة أدبا، وهذه نقائص تعاب فى مقياس لفكر ولأخلاق

ولكن من كتب خليفة عمر بن الخطاب خليفة المرعب المتوجس لعاجز الذى
يرجع الشطف عنده إلى العجز عن ملاسة النبيا

أعجل الناس بالاتهام لا يتهم عمر بهد ولا بما يشبهه ويد به..

وإنما تدل جملة أخلاقه على أن الحق لادى ألومه حياة الشطف إنما هو
خلق قوى يروص صاحبه على ما يريد، وليس بخلق ضعيف يجفل من أنصرف
والتكليف إحفل العجز والرهبة والوسواس.

ومى «طبعة لجندى» الى قدما الكلام فيها التفسير لتظرتة فى حساب
نفسه، وفى لموقف الذى اختر أن يقفه بين يدى الله، فهو يعلم أن الله شديد
الحساب وأن الله رحيم، ولكن الجندى القوى إذ وقف بين يدى مولاه جعن
تعوييه على الرفاء بالأمر ومضاء الو حب فى أدق تفاصيله، ولم يجعن «معهوله
الوحيد على طلب الرحمة والصفح عن الخطيئة. فإن جاءه الصفح من مولاه
لبس هد بمعفيه أمم نفسه من ستقصاء الحساب ولو جار عليها. فأكرم
صبيغته الحادة لقوية أن يجرد على نفسه من أن يترحص فى إعطائها ثم
يتعرض لصفح والغفران.

وكى رقدؤه لحق الصدقة كوقئة لحق الله سساً من أسباب هد الشطف
لدى عاشر عليه بعد النبى وحيفته الأول، فقد أبى له وماؤه أن يعيش خيراً مم
عاشا، وأن يستريح وقد صار الأمر إليه حظاً لم يستديحه، وكثيراً م

(١) الكرامة. الانقاص، وإمراد التزمت واحمود

(٢) ضيق الحظيرة: العظيرة مأوى ناشية، وإمراد «صيق الامم»

بوسل إليه حاصمه أن يشفوا على نفسه، وأفعوه ثم علموا أنه أدنى إلى إقناعه، وهو أن يتوسع في لعبش ليكون ذلك أقوى له على النحو، فكان يقول لهم «قد علمت بصحكم ولكي تركت صاحبي على جادة»^(١) فإن تركت جادتهما لم أدركهم في منزل^(٢) وكلمما أصبح له صووه ومبهم منه حفصة أن يستكثر من الطعام الطيب والسعة السائغة سألها كم كان يصيب لبي من هذا أو من ذاك، وأنت تعرفين بصيبه؟

فيكون السؤال هو الجواب.

ثم كنت رغبته في إفامة لحيه على ولاته وعماله سبب آخر من أسباب سخطه وقد عته بالقليل فقد يستحي أحدهم أن يحور يعني وخليفته قاع لا يطمع في أكثر من لكف.

وما كان عمر بالذي يحول ما عرفه الناس من مروءة «الأنه» والوحاهة» وهو الذي نعم ما جهلوه، وبكاه كان عباً عنها إشاراً لعرفه مما هو أرفع منها وأدل على المروءة في حقيقتها، فكان يقول «المروءة مروءتان مروءة ظاهرة ومروءة باطنة، فالمرءة الظاهرة لإياش، والمرءة الباطنة لعواق».

فهو في جملة أحواله يقرض الشئف على نفسه؛ لأن قوته الضعيفة يستطيع أن تريد فتعمل، ونفسهم أجد لدى يصعب على غيرها ففيها رحا يكره العقل والنحو، وليس فيها نقص يعاب بمقيس لتفكير أو مقيس الأخلاق

إنما كان الرجل يحسب غيره فيعطيه حقه في غير بحس ولا حرج، ويحاسب نفسه فبؤثر لشده ليقطع الشئ ويدراً^(٣) الشبهة^(٤) ويقبى بصاحبه، ويترك لقوة الخلق لمن يليه فلا يسئل عنه لماحت في بصر الحكم ولا لماحت في معاني الأخلاق على أن عصوراً الحديثة سيعرب الشطف من عمر وهي تهل بلوكها وبكر لهم حين يسئلون لأنفسهم منه في بعض أوقات الصيغ وحنة، وهي الأوقات التي يسئل فيها شعور برعية لفرق منها وبين راعيها في المعيشة والتكليف، وأكثر ما يكون ذلك في أوقات المجاعات والحروب وشح المؤنة على الإحمال.

(١) الحارث وسط الصريو ويصوود طريق الرسول ﷺ وصاحبه بي بكر (٢) المنزل سرية ومكانة

(٣) سراً لشبهة يدفعها ربيعها

ففي الحروب لأحبره بحاوت الصحف بشاء على الملوك الذين رصوا
انفسهم ورصوا أسرهم وحشيتهم معهم على حراية الحرب على بوحبها
صرورات المويين، وعدوا من مفاخر الملوك أنهم لا يأكلون إلا ما تكله شعوبهم،
وأهم لا يرون لهم عره في لترف الذي يعر على رعيهم^(١)، ففقدوا بغير فيما
أوحى على نفسه عدم الفحص^(٢) وعلمهم الشده كيف يفقدون إلى الوحب
الإنسي من وراء زحارف الحضارة الحديثة

ونسيء آخر يستعربه العصريون في تصم حكومة عمر وإن كانوا ليتمنون
مثله أو استصعوه، ونعني به صريفته في محاسنه الولاة و لعمى سوء لتحقيق
لعدل أو تحقيق الأمانة.

فكر بجرى الوالي حرء استل عن كل مصمة وقع على أحد رعياءه، وبأحد
الولي سببئات بُدنه وبويه إن أسوا وهم مستطيين^(٣) بما للولاة من حول وحاه
وكان يحصي أمور الولاة ثم يستصفي ما راد عليها كلف هشت^(٤) لهم
فاشنة من النعمة لا بخبروه بمصنرها.

وفي هـ وذلك ضمن لعدل والأمانة يستعربه العصريون، لأنهم لا يالفوه
في طرائق الحكومات العصرية

ونكن أربهم يستعربونه لأنه غير حسن أو لأنه غير مستطاع؟ بل لأنه غير مستطاع
ولأرب، ولأن الحكومات العصرية لا تملك أن سحره وتنصف في سفيده^(٥)

فإنه حسن فلاشك في حسنه ولا في به حسن من بظئره بين لطم
العصرية لأن حكومات العصر الحديث قد تحمي الولي وإن ظلم واعتدى فلا
تسمح بمقاصده إلا بإذن منها وقد نحمه مرة أخرى بإحالة إلى الثقة بالوراره
ومدع المدقشة في عمله، لأنها هي المحتصة بمناقشته فيه، وتعتبر في الحالتين
بعدر المحافظة على تصم لدولة أن يهدده ما يهدد مراكز الحكام ولم يكن عمر
بحشي هذا الخطر لأنه أقوى منه، فله هو الحق وعلى اسطم العصرية للملام

(١) يعر على رعيهم. بصعب عليهم تحقيقه. (٢) عدم الفحص أو عدم لمجاعة وقد سقت لإشاره إليه

(٣) مستطيين أو معبرون بسجدهم وحدهم

(٤) فشر لهم فاشية من النعمة بعد و سرب والفاشية كل شيء منتشر من المال كالبعم وإين وغيرهم

(٥) تحاول حكومات على عهدنا أن سحره بف مستطيع من أسائن وفينون نكسد غير مشروعه
صرب من هذا الصنيع

أما الطريقة العصرية في صمان أمانه بحكم فهي أن تحرم عليهم الدسبير مباشرة لأعمال في لشركات وما إليها ثم هي لا تأخذ منهم درهماً ولو دخلوا لخدمة صغر الدين وخرجوا منها بالصياح والقصير ولأموال. فمن استعرب الطرائق العصرية في هذا الباب فيستعربها ما شاء وهو يعلم أن العرب به ليست بعيد، وأن المؤلف هو لمعيب إن فصر عن معرض المطوب.

وما عدا هذا من اختلاف بين العهدين فقمم يعنو اختلاف لأسماء وتعبير العباوين وقل أن يتفد إلى ما وراء لقشور وهذه بعض أشواهد التي تقرب أسباب النظر إلى حقيقة هذا الاختلاف.

مر عمر في سوق المدينة فرأى إياس بن سلمة معترضاً في طريق صديق فخفقه بالدرة وقال له «أعط عن الطريق يا بن سمة»^(١).

ثم دار الحول^(٢) ولقنه في السوق فسأله أردت لحج هذا لعام؟ قال نعم يا أمير المؤمنين، فأتخذ مده حتى دحس البيت وأعطاه ستمائة درهم وقال له يا بن سلمة ستعش بهذه، وسم أنها الخفقة التي حفتك بها، ثم أول قال إياس يا أمير المؤمنين ما تكرتها حتى ذكرتها فأحابه عمر أب وأله ما سيتها.

فالنظم العصرية تحصر هي وضع هذه الحادثة في باب من أبواب المرتبة حسب الوظائف والأوامر والمراجعات.

ولكن ماذا يصنع حدى البرور في عصرنا إذا شاء أن يميظ عن طريق ويفصر بزحام؟ وماذا تصنع المحاكم في تعويض من أصابه الضرب بغير ضرورة؟

إن جندى البرور ليصرب بالدرة وبما هو أقسى منها، وإن المحاكم لعوص المضروب بشيء من مال الدولة عن خطأ الحند والموصفين وعمر قد عوص لرحل من ماله كما يؤخذ من قول ابن سلمة أنه ذهب به إلى بيته، فإن لم يكن هذا المبلغ من مال عمر وكن من خراة الدولة فقد عرم عصر كل دين عيه قبل موته، ولم يفرق الدنيا إلا على صمان وثيق أن يعاد كل درهم من ديه إلى ذويه وقد يكون الحصا يومئذ في الحساب لا هي تصرف عمر بن الخطاب

(١) أعط عن الطريق. سج ونسج.

(٢) دار انجوى. بقضى عام.

ورأى عمر امرأة في رى استعربه فسأل عنها فقير له إنها الأمة فلانة
فضربها بالدرية ضربات وهو يقول لها يا لكعاء^(١) أتشبهين بالحرائر^(٢)؟

وهذا مجال واسع للحدالة العصرية في الكلام على «الحرية الشخصية»
وعلى حق من يشاء أن يلبس ما يشاء ويسير حيث يشاء.

ولكن ماذا تصنع العصر العصري بالنساء يربت اللاتي يتكررن ذرء
لحرائر ويأوين إلى لسيوت في أحضانهم بخرجن معهن إلى صديق^١ ويمادا
يختلف شأن النساء للريبات من شأن الإماء في رمن كن فيه منهات الأعرص^٢
ورأى عمر رجلاً يتختر ويمشى مشية فسحة لا تليق بالرجال، فأمره أن
يتركها فأبى ورعم أنه لا يطيق تركها فجلده وعد بعد حده إلى التختر فجده
مرة أخرى، ثم مضت أيام وجاءه الرجل وقد ترك تلك المشية القسحة ودعا له
حراك اله خير يا أمير المؤمنين، إن كن لا شيطناً^(٣) أذهبه لله بك.

الحرية الشخصية مرة أخرى

غير أن عمر في عقوبته هذه إيم كن بعقب على أمر نهى عنه القرآن وليس
له أن ينحه بحال، فهو قانون يعرفه من أوقع العقاب ومن وقع عليه ومن شهده
وأقره، وكلهم يأبى أن يمشى في لأرص مرحاً ويعدها من قبائح الآداب

ولكننا في العصر الحديث نقسم لنوافي و لأومر إلى قسم يحاسب عليه
القانون وقسم يحاسب عليه العرف المأثور وعقب العرف حق الأمة وليس بحق
لحكومة والقضاء.

وحجة لعصر الحديث أن العقاب القسوى هب غير منصوب عليه وليس
الص عليه بمستطاع، وربما فتح الباب للأعراص ولأهواء وستبدد لساكمين
إذا استطاع

وعند أن حجة العصر الحديث هي هذا باهضة لاشك في صدقها، ولكنها
إن بهضت فإنما تنهض على العصر الحديث ولا تنهض على عمر ولا على من
وتقوا بعده وأسماه رعم لعرف والقضاء على السواء. فمادا لو استصاح
العرف في عصره أن يحاسب الناس باللبس والجلد والعرامة على رذائل

(١) الحرائر - أمة ضد الخرة والجمع إماء، ولحرير جمع حره، و لكعاء - حمقاء.

(٢) إن كان لا شيطناً أي ما كان لا شيطناً

بدون وقد نزع الآيات دون أن يحصى، أو يحور، أي ينبغي الإصلاح وهو أمر عظيم،
إن إياه فليس صوته في إنيته ساكن من صواب عمر في تقريره وليس على عمر
ولا على رعيه حاج أن يطمئنا إلى عمر يعيب أن يطمئن إلى مثله

وقد قدم أن عمر عصب على لخطبة بهجاءه لناس وبهه أن يهجو أحد
فصرع به ارحل وفل. بن أموت ويموت عدي من الخوع فصره ليقصع لسانه
ثم عطف عليه فسبومه على ترك بهجاء ثلاثة آلاف درهم، فسلم الناس من
سبانه واستعنى عن هذه صبغة ما عاش عمر ثم عاد إليها بعد موته

إن أمين الحساب في حراش الدول بحديثة يحال في أي باب من باب
لمصروفات يصنع هذه الدراهم التي تشتري به هبة الحطية، ولكنه لا يحار
طويلاً حتى يذكر باب الدعوة وما تفقه الدول من الملايين ثمة للثاء والهك،
فبصعها هيك وهو أهدأ صميراً مما وصع في لسان كله لأنه مال تنفع به
لرعيه وتنفع به الأخلاق، ولا يقع فيه لنواب بحكميين

وليصرب امثلة من طرر، حر على لطريقه لعمرية التي سبعره
لغصريون وهم محضون في ستمراهم أو قديرون على سطر إله كم
ببصرون إلى المألوفت لو أطلقوا عقوبهم من عقار لصيع ولأنكول وبعدوا من
برائنا إلى لواهر و لاصول

كان عمر بعس في اندسه فسمع صوب رحر و امرأة في سن، ففسر الحادث
عبد رحر وامرأة عندهما رو حمر^(١) فقال يا عدو الله أكنت نرى أن الله
يسنرك وت على معصية فقال الرجل يا أمير المؤمنين، أنا عصيت الله في
واحدة وأنت في ثلاث، فإله يقول «ولا تحسبوا» وأنت تحسبت عبياء والله
يقول ﴿وَتَوَاتَا الْيُتُوتُ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.

وأنت صعدت من الحذر وبرت منه، والله يقول ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ
بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾

وأنت لم تفعل ذلك فقال عمر هر عدل من حبر إن عقوب عت؟ قال نعم
والله لا أعود، فقال اذهب فقد عفوت عدل

(١) ابرق اسفاه-الإمام.

ما أسرع ما يقول أحده لغيره وهي مستريحة لئلا هذه يدوب
إساده في حكمها بحسن ثم محاحه حده، ثم يرون عن عقب وهي «طريقه
معهها لإجراء الرسمية» في نحن عيها حريصون وبها حد فحورين
لكن ما الفور في مصدقة هذه الطريقة كل اصطفا لما يجري عنه النظام
الحديث في إجر، منه الرسمية بغير استثناء؟

هنا مسائل الصرة تمنع الرقابة وفصل لرسائل و سباحه لأسر
والحكومات مع هذا المص دستورى نصطر إلى استطلاع لأحوال و نهاء
الحرائم بمراقبه لنهمين ونوى الشبهات فإذا اتفق في حادث من حوادث انهم
استباحث سرّاً يدل على حريمه محضوره فمادام يكون من سير الإحراءات
الرسمية يكون ما كان من عمر في الحدث لدى رويده بغير اختلاف
فالقصاء لا يأخذ دليل يمنع الدستور، ولا ثبت عنه بجريمة، لا بدليل
مشروع و لحكومته نصطر هنا إلى اسكوت ومصدقة بحالة حتى يسفر عن بينه
يحور بها أن يعتمد عليها أمام لقصاء وهي قيم يصنع من هذا لقبيل أعرج
من عمر قيم صنع لأنه جعل الاستطلاع سبيلاً إلى بعة و لنوبة، و ستغنى
عن لإجراء الرسمية في نحن عيها حريصون وبها حد فحورين

ويفتر من حادث بطول فيه لألسة لغيره أعرج من صالت في شئ الحوادث
إلى فدمها ويعنى به كنهه لدى حاصبه من يوم قيل له به أمسك عن الفيض
فقد رعم المؤرخون أن اهل مصر ذهبوا إلى عمرو بن بعدص في شهر
بروبه فأخبروه أن الليل عندهم سنة قديمه لا يحرق إلا بها، وهي «أنهم إذا
كنت ليلة ثلاث عشره من هذا الشهر، عمدوا إلى جارية بكرين أنويها،
فحملوا عيها من لحي و شيب أفصل ما يكون، ثم أهو بها في سين» فلم
بجدهم عمرو إلى ما سألوه وقال لهم هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام
يهدم ما كان قننه، فأقاموا بؤوبه وأبب ومسرى لا يحرق فيها لسن قليلاً ولا
كثيراً، ثم رفع عمرو أخبر إلى عمر فاستصوب ما صنع وكتب له إني بعثت
إليك بورقه مع كتبي هذا مألّفه في الليل وهي الورقة كتب يحاصبه في الليل
بقول فيه «من عند الله عمر إلى بين مصر أما بعد فإن كنت تحرق من قبلك
فلا سر، وإن كنت تحرق من قبل الله فسأل الله أن يحرق»

() النوام جمع مذة وهي الرأي الذي يسبح

وقال رواية هذه الفصة إن عمرُ ألفى بالورقة في سِرٍ قبل يوم انصيب شهر وقد بهياً أهل مصر للحلاء واحروح، فأصبحوا يوم النصب وقد أجراه الله سنة عشر ذراعاً^(١)، واسراحوا من صحابه في ذلك العام وهم معه من الأعوم والروية على علاتها قاله للشك في غير موضع عند مصاهبها على البريع وقد يكون الواقع منها - إن وقعت - دون ما رواه الرواه بكثير ولكن على هذا صحيحة بحذاقيرف، فما هي العضاضة فيها عني العلم الحديث، ولا نقول على لعقل «الدوي» قبل ذيف وألف سنة

إن عمر لم يحد أهل مصر معولين في قبضتهم على القاطر واستورد وفنون الهندسة فأنى عليهم أن يعولوا عليها ولكم وحدهم معولين على حرفة يماهم البعض ولشعور مأنكره وحق له أن ينكره، ولم يقر لهم في رفته «المقاة في لنيل هي» بني تحربه، من قبل لهم إن لسل ليحري مغير تلك السنة لتي استوف له وبغير القريان لذي يتقربون به إليه وليس هي هذه انقصة كلها ما يستعرب من حاكم عصرى مؤمن بالله منكراً للحرافات فورقة عمر أقرب إلى لعمر في رمت هذا من الكنوس ولقورير لتي تكسر في الأنهر عند فتح قاطره وحسورها، وأقرب إلى العقل من لبحور لذي يحترق في السع^(٢) ولهاكل حلد لفضار وستغة بالسماء.

وبحس لا نعرض لهذه الأشتات من طريفة عمر في حكومته لأنها هبات تلحى المعجب به إلى دفاع وتسويغ، وليس في كل هذه الأشتات وأشباهاها ما يلحى عمر ولا المعجبين به إلى دفاع أو تسويغ

ونما عرصا لها توسعة لأفق النظر إلى العظمة الإنسانية في مختلف أزمائها، واستخفاف بالعرش التي تحقها العادة العرضة لعبادها، ثم هي لا ستحق من هوانها أن نخسر من أجلها شعورنا بعظمة لإنسان، وإنما لأنفس ما نصونه ونعتز به في جميع الأزمان.

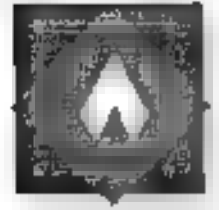
عدل عمر نخسره لأنه كان يقضى فيه مغير «اسمارة» مدموغة بنص عليها قانون المرافعات أو لأنه كان يقضى فيه على غير «إلحر»ات العصرية، في موجهة الحقوق لشخصه أو لأنه كان يقضى فيه قضاء يختلف الفقهاء في عنوانه وهي أرف لدى يصعوبه عليه بين رفراف لأصديرا

يا لها من حماقة تحلل العصر الحديث بحجبه وهو واقف بين العصور يتصول عليها بسحيف لحماقت وخصص بحرفات

(٢) السع الكدس.

(١) بر ع القيس مؤث كثيراً وتكر قليلاً

عمر والنبي



يندر أن يخفر الباحثون في طنائع الإنسان بمعجم نفسه هو أوفر ثمرة وأنفس محصولاً من دراسة عمر بن الخطاب لأن لظواهر المحتلعة التي تنجلي في هذه النفس العظيمة ليست من ظواهر كل يوم ولا ظواهر كل دراسة، ولأن انفاقها السسيط مع تركيبها العجيب مما يتعذر جداً على النفوس التي يعهد بها، وما يتعذر جداً حتى هي نفوس الأقداء من العطاء.

بيد أن المعجم الأكبر في هذه الدراسة إنما هو معجم علم لأخلاق، لأن علم لأخلاق أخرج إلى الاستقلال بالظواهر لطبيعية، وأفر إلى الأسس والدعائم التي نعيمها أمثال هذه الدراسات.

فكل نفس عظمت أو صغرت دراستها معجم لعلم النفس لا شئت فيه، كائنة ما كانت النتيجة التي تتأدى إليها من بحث خفايا وتنظيم شواهدا لكن الوصول إلى نتائج علم الأخلاق هو اصعب الحدد الذي لم يزال لوم وبعد اليوم صعباً وجديداً إلى أمد بعيد.

فالفروض أن نتائج علم الأخلاق «فكرية تكليفية» يستبطنها الفكر الذي يختلف في صوره كما يختلف في خصته، ويميزها التكليف الذي يطاع ولا يطاع، ويراص عليه الإنسان رياضته على الأمر لعرب «الأجسي» عن بوازع الطماع فإذا اهتدينا إلى نفس نعر تلك النتائج الفكرية التكليفية التي هي أقرب إلى لامل المنشودة منها إلى الوقائع لموجوده، فقد طفرنا بمعجم كبير.

وإذا ظهرت بحقيقة نفسية هي في الوقت نفسه حقيقة فكرية وحقيقة خلقية، فذلك هو المعجم المصعف الذي قما ينال

وبعس عمر بن الخطاب هي تلك النفس التي ندعم علم الأخلاق من الأسس، وهي ذلك الصرح الشامخ لدى ينظر إلى أسسه فكأنه تسلفه النظر إلى دروته لعب، لأنه قرب بين الآمال والقواعد أوجز تقريب، إذ هو التقريب الملموس.

مال كثيرة من امان محي احيير ودعاة لإصلاح هي في نفس عمر بن الخطاب وقدنع مفروغ منها، كئنها وقائع لمرئيات ولسموعات

فمنها هي اسلفه أن لقوه لا تناقص العدل في طبعه لإنسان، بل يكون العدل هو القوة التي تحيف فيخفها الظالمون.

ومنها فيما حر بصرده لأن أن لقوة لا تناقص الإعجاب على خلاف ما ينار إلى الأكثرين.

فإن لأكثرين محسوس أن الرحمن الذي يحب به ناس لا يحب هو يأخذ وأن النمل الذي يقدره عشاق البطولة لا يعشق البطولة في غيره، وإن التطلع إلى الأعلى صفة سطع عنها الصغر لارتفاعوا بعض، لارتفاع وبجسدو احدمة والعون للكر، ولكنها صفة يفر منها الكبر وبحس فيها العضاضة أن يصغر إلى جانب المتفوقين عليه، ممن هم أكثر قدراً وأحق بالاعجاب

لكن ليس الذي يدرسه هذه الدراسة يهضم ذلك الحساب أقوى بقص مستمتع، لأنه يطل يروع، ويعرف روعة البطولة ويستحق إعجاب عايه استحقاقه، ثم يخيّل إلى من فرط ولأنه لمن يفرقوبه أنه حق للإعجاب بغيره، ولم يحق ليكون هو موضع إعجاب.

فعمرك أن يحب محمداً حب إعجاب، ويؤمن به إيمان إعجاب، ويستصغر نفسه إذ ينظر إلى عظمة محمد، وما هو عما حلا دست بصغير في نظر نفسه ولا في نظر الناس.

كان محمد عليه السلام كم تعلم فدوة هي لدعه وحسن المعاملة لجميع صحبه وبانعه، وكان يعاملهم جميعاً معاملة الإخوان ولزملاء، فلا يعمرهم برهبة التفاوت لشسع وانتفوق لنعيد هو حر أن يسى أحد فرقاً بينه وبين عظيم لسي أصحاب النبي هذا الفرق بما يقوبه من مساوته وحسن معاملته ولو بسبب إلى حين

إلا أن عمر «العظيم» سمع مره من صديقه محمد عليه السلام كلمة «يا أحي» فضل يكرها مدي الحبة.

استلذه في العمره فأن به وقال «يا أحي لا تنسا من دعائك» فمارال عمر يقول بعد ذلك «ما أحب أن لي بها ما صنعت عليه لشمس، يقوبه يا أحي»

شهادته لعظمة محمد أن يؤحي الناس كباراً وصغيراً، وأن الناس كباراً وصغاراً لا يتسبون ما في مؤاخذته من عجز وعبطة وما بينهم وبينه من فارق بعيد، وشهادته بعظمه عمر أنه أهر لديك الإحياء لأنه يدرك ما قبله من عظمه ويشعر بما فيه من رضوان.

وم يدريك ما عمر الذي يشيع في قلبه الفرح بهذا الإحياء؟

ليس بالرجل الذي يحب تواضع المرائين وليس بالرجل الذي يجهل مقداره وبهيب مخلوق بغير لحق، وبغير الإعجاب

عمر هذا هو الذي تولي الخلافة وحجته لأولى في ولايته، أنه «كفا المسمين بها عمر مدافع، وأنه كما قل، «لو عمت أن حداً أقوى مني على هذا الأمر، لكن أن أقدم فتضرب عني»^(١) أحب إلي من أن أله»^(٢).

نعم، هو عمر أقدر المسمين كم يعلم وهو عمر الذي يستصغر نفسه إذا نظر إلى مثل الأعلى والقوة الفضلى، وهو من أكثر ما يكن بهذا الاستصغار

بقدر كان يسمع وهو خائفة بقول كلساخر وم هو يساخر «بخج»^(٣) بدين لخصاب، أصبحت أمير المؤمنين»

أكن يقولها لأنه كان يجهل أنه أكفا العرب الخلافة بعد صاحبيه؟ كلا، من كان يقوها، لأنه يعرف النظر إلى مثل الأعلى يعرف الإعجاب بما فوقه يعرف محمداً ويعرف أن الحق به أمل لا يصل يعرف الإعجاب بطلاً معصياً سعل، ويشد فضله أن نحصى له هذه بين أصدق شواهد البصولة فيه

ومن احصا أن بتوهم المتوهم أن عمر كان يتصب عر لأنه يشعر بصغره، وينوضع لأنه يشعر بصعته فيه

من الصغبر لا حجة به إلى تصاعر لأنه صغير وربما كانت حجة، الكثرى إلى مداره شعوره لدحيل سفحيم لروء، وبرويق الطلاء، وسجير السسكن والكساء،

وبما كان عمر ينصاعر، لأنه يشعر بعظمته ويكبح ما بخمره من عتد بهسه ومحال أن تمتلئ نفس بمثل هذه القوة ثم تحو من شعور بفونها واعتداد بقيمتها فليس ذلك من معهود الصباغ هي حي من لأحياء ولا تقصر لهور عني لإسار

(١) يعنى يذكر ويؤيد (٢) إليه مصارع من ولى الأمر، فهو يسه وأنا أنه

(٣) بخج كلمة يقال عند الرضا بالشيء.

ولهذا كن عمر يتصارع على قدر ما يره من بواغث الكبرياء، لا عسى قدر ما يراه من بواغث الصغر، هائى أن يركب الثرثوث^(١) وهو يغالب عزة الفتح داخلاً إلى الشام دخول المنتصر، وقيل له قى ذلك فصاح بهم نحو سبيل حمى! ثم الأمر من ها هنا، وأشار إلى السماء:

وكلما اعتر من حوله من خاصة أهله وحلصاء رعاياه بما يرويه فيه من سطة سلطان وعلو الكلمة عمن من اعتر، رهم وأحصر فى أدهمهم ما يسيهم السلطان لنسوط الكلمة لعالة، فقال لأصحابه يوماً وقد مر بعض الشعب^(٢) على مقربة من مكة «لقد رأيته فى هذه لشعاب أرعى إبل الخطاب، وكان غيظاً ينعبى، ثم أصبح وليس موقى أحداً».

وصيغت هذه الكلمة ابنه فقال له «ما حمت على ما قتت يا أمير المؤمنين؟» قال: «إن أباك أعجته نفسه فأحب أن يصعها»^(٣).

واطر هنا إلى كلمة «أمير المؤمنين» يقولها الآن، ثم طر إلى كلمة «أدك» يقولها أمير المؤمنين.

ومن قنين هذا ركوعه له ذليلاً خاشعاً يوم أمر أب سفيان أن ينقل الحجر من مكان فقه، فخشع لله الذى جعله بأمر أب سفيان فى شعاب مكة فيستمع لما أمر

وليس هذا وأشباهه تصاعراً يكشف الصعر، إيم هو تصغر يكشف القوة ولاعتد به ويكبحها بعدن متين هو نفسه دليل القوة ولاعتداد

بل يشاء بأس هذا البطل أن تتمدى فيه الصبغات إلى هايتها وهى متدقضة فى انطردة الأولى، فبدأ بهذا التعادى يردف إلى الوفق والتكافؤ ولا يوسع ما بينها من طواهر الاختلاف

فهم رأيه أنه عدل يعوق العبول، وقوى يفوق الأقوياء، فإد العدل والقوة فيه وفقدن متساندان لا يخصمان ولا يتناقضان

ومم رأياه أنه بطل تعجب بطوليه الاصدقاء والخصوم، ثم هو فى إعجابه بالبطولة كنهه نحو من دواعى الإعجاب،

(١) لثرون، صرب من الدواب يحالف الحمل العرب. عظيم الحنفه عبط الأعضاء.

(٢) الشعب جمع شعب «ككسر الشين» وهو يفرج بين الجبلين أو هو طريق

(٣) أن يصعها أن يقلل من شأنها

وبقى من موافقائه الدرة أن الإعجاب عنده لا يقض الاستقلال، ولا يهدد «الشخصية» باغتاء والروال، فيعجب بمن يعوفه عابه الإعجاب ويحتفظ معه باستقلال رأيه عابه لا يحفظ، ولا يتناقض الأمر.

فلم يكن أحد يعجب بمحمد أكثر من إعجاب عمر.

ولم يكن أحد مستقلاً برأيه في مشورة محمد أكثر من استقلال عمر، فهو أمة آيات على أن فضيله الإعجاب لا تعص من صراحة الرأي عند من يرى الصريح، فما أحجم عمر قط عن مصارحة النبي عليه السلام برأى يرده، ولو كان ذلك الرأي من أخص الخصائص التي يقف عندها الاستقلال

فمحمد في سنة وهو صاحبه، ومحمد في شريعته وهو صاحبها كان يسمع إلى عمر حين يقترح وحين يسترل لأحكام وحين يستدعي لوجه في أمر من الأمور.

فكان يشير على النبي عليه السلام أن يحجب ساءه، ويبع ذلك إحدى أمهات المسلمين ريث فتقول له بك عليا يرس الخطاب والوجه يزل عني في بيوتنا وتخرج حد من سودة وهي تحسب أن أحدا لا يعرفها لاستدراها بالسلام فعرقتها بصول قامتها وبناءها «عرفتك يا سودة» ليؤكد ضرورة الحجاب، فيؤمر المسلمون بعد ذلك ألا يسألوهن إلا من وراء حجاب.

ولما هم النبي عليه السلام بالصلاة على عبد الله بن أبي كبير المذققين يوم وفاته تحول عمر حتى قدم في صدره، وأحد يذكره مسبوئ عبد الله وأقوابه في الكاية بالإسلام، وحكم القرى فيه وفي أمثله أن ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾.

وألح في التذكير حتى كثر على النبي عليه السلام وهو يبسم ويقول له «آخر عني يا عمر، لو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له رب»، ثم صلى عليه ومشى معه حتى فرغ من دفنه. ثم ما كان إلا يسيراً كما قال عمر حتى نزلت هاتان الآيتان ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾.

وروى أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه أئذه إلى رهط المسلمين فقال له اذهب إليهم «فمن لقيب من وراء هذا الجائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً

بها قلبه فبشره بالجنة» فكر أو من بني عمر، فصدده وعاد به إلى النبي
سأله «يا رسول الله نبي أنت وأمي، أتعث أنا هزيره من لفي يشهد أن لا إله
إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة»^(١) قال لبي «نعم» فم يريث عمر أن
قال «فلا يفر يا رسول الله» فبى حشى أن بكل لباس عليها، فحبهم
بعمول»، فوافقه عليه السلام وقال «فخلهم».

وفي لتشريع أو لتحصيل و لتحريم كن عمر لا تقنع حتى يصل إلى القول
الفصل فمب ستنفسر عنه ويتردد في حكمه، فمزل سأل عن الحمر حتى
حرمت وبصر فيها لخلاف وهو هو الذي كانت الحمر شهوة له هي لجهنية
يحبها ويكثر منها، ولو شاء لالتمس الرحصة فيها ولم يكثر من السؤال عن
حرمها، فهي سؤاله عنها وحده منها فصل كبر من فضل الاستقلال بالرأى
والإخلاص في المرحعة، وهو فصل العلة على النفس و لتحصن من العونة
بالأمر الذي لا هوادة فيه

وحري صلح الحديبية الذي كن ظاهر بعرضه على المسلمين، وظاهر لفور
فيه للمشركين فيسنتطيع قارئ التاريخ قدر أن بحصى 'سباء' لعدوهم
الصبح والصابرين عليه أن يعلم أن كان عمر بن الفريقين، فقد عمه هد
الصلح عما شديد وذهب إلى أبي بكر يراجع ويأجبه علام بعضي الدبة هي
دنيا فأجابه أبو بكر ي عمر، لرم عرك أي رحلك^(٢) ففى أشهد أنه رسول
الله وردد عمر أنه ليشهد أنه رسول الله، ثم ذهب في بعض الروايات إليه عليه
السلام فسأله: 'ألسنا يا رسول الله عى، لحق وهم عى لياطل؟ أليس قتال في
الجنة وقسلاهم في النار؟ ورسول الله يحييه لى' لى' فيعود فيسأل علام
يعطى لدية في دسب ويرجع ولما يحكم له بيما وبينهم؟

فلما ناداه «اس الحطاب» إلى رسول الله' ولن يضغنى الله أند'، ثم علم
أنه الفتح المنتظر، تاب إلى الرض وكف عن السؤال.

و لحنة على ما هي عليه أعظم مما يصيقه صبر عمر وسكن إليه سورة^(٣)
صنعه. فمن شروطه يصنع أن يرجع اسلمون عامهم ذات فيردوا من ج عهم من

(١) الرض. كل شيء يعد للرحيل من متاع ومركب. إنج
(٢) سورة نعب ونبه، وسورة اسنطان سبطونه و عداوه

قريش ولا ترد إليهم قريش أحداً ممن يجيئون إليهم وأمر يكتب النسي اسمه في عقد الصلح فلا يكتب فيه أنه رسول الله، وهذه محنة وردت على حمية^(١) عمر بالوارد الجلال الذي ليس أقسى منه ولا أمر على هذه لحمية العروف، ولكن الصلح لم ينته حتى تفاقت لمحنة وادلهمت الغاشية كأن ما ابتلاه منها لا يكفيه، فبينما هم يكتبون إذ جاء أبو حنبل بن سهيل يرسف في الحديد قد انفت إلى رسول الله ففهم إليه سهيل^(٢) وكان وكيل المشركين هي عقد الصلح- فضرب وجهه وأحد بتلابيه ليدفع به إلى قريش، وأبو حنبل يصيح يا معشر المسلمين، أريد إلي المشركين يفتنوني في ديني؟ هو ساه نسي ودعاه إلى الصبر والاحساس^(٣)، ورثب عمر إليه يمشي إلى جنبه ويدنى منه قائم لسيف ويقول له اصبر يا أبا حنبل فإنما هم لمشركون، ومن دم أحدهم دم كلب، ورح -كم قل بعد ذلك- أن يأخذ أبو حنبل سيفه فيضرب به به.. قال، ولكن لرجس صن بأبيه وبعدت القضية.

فالمحنة أعظم مما تطيقه الحمية لعمرية غير وارع من هداية بيوية ولأياً ما^(٤) سكنت نفسه واطمأنت إلى حكمة سيده ومعلمه وهديه ولاسيما حين ناداه ابن الخطاب إني رسول الله ولن يصيغني الله أبداً

هذه المرجعة كانت من خلائق عمر التي لا يحيد عنها ولا يأبها نتي عليه لسلام، وكثيراً ما جاراها واستحب ما أشار به وعرض فيه فلا حرم تراجع لنبي في كل عمر أو رأى لم يفهم مأثده ومرماه ما أمكنه المراجعة، وما قلقت خوطره حتى تثوب إلى قرار.

الهم إلا أن تستعصى المراجعة ويعظم الخطر، فهناك تأتي الحقيقة لعمرية بأية الآيات من الاستقلال والحب والحرم الذي يضطلع بجلال المهمات، فلم دخر النبي عليه السلام في غمرة الموت ودع بطرس^(٥) يمضي على المسلمين كتاباً يسترشدون به بعده أشفق عمر من مرجعته فيما سيكتب وهو جد خطير، وقال إن النبي ﷺ طبعه الوجع، وبعثنا كتاب الله حسبيد^(٦) ومال لنبي إلى

(١) الحمية الأنفة والمراء أنها برزت على أمة عمر وكبريائه شرواً عظيماً (٢) سهيل هو أبوه.

(٣) الاحساس، الصبر وادبح الأجر عند الله على هذا الصبر

(٤) لأياً ما اللأى لشدة واشتق، يقال فعل بك بعد لأى ولأنا عرفت الشيء، أو لأياً ما

(٥) بطرس، الصخفة، (٦) حسبيد مكعبا

رأيه فلم يعد إلى طلب بطرس وإملاء الكتب، ولو قد علم لسي أن الكتب ضرورة لا محصل عنها لكان عمر يومئذ أول المجيبين.

وكانت هذه سنت في حبة النبي وبعد موته، في كل عمر لا يستريح إليه، فم يحكم عن مراجعة أمره حياً وميتاً في مسألة ليست من مسائل الوحي الذي فيه فصل الخطاب، وب كانت المسألة مسألة رأى فهو بهض لها برأيه حتى يؤمن بخطئه أو يريده عن المعارضة أمر مطاع.

كذلك صنع في قيادة أسامة بن زيد قائد الجيش إلى اللقاء، وفيه حلة، «صحابة من كبار النس والمقام، فقد ولاه النبي القيادة ومات عليه السلام وهو في الطريق، فقال أسامة لعمر «ارجع إلى خليفة رسول الله ﷺ فاستأذنه يأذن إلى أن أرحع بالذن، فإن معي وجوه الناس^(١)، ولا امن على خليفة رسول الله وثق^(٢) رسول الله وثقل اسلمين أن ينحطفهم لشركون»، وقالت الأنصار «فبن أبي إلا أن نمضي فأنلعه عنا راطب إليه أن يولى أمرنا رحلاً أقدم منا من أسامة».

وعضب أبو بكر وكان حاساً فوث وأخذ سحية عمر وهو يهتف به تكتك أمك وعمدتك يابن لخطاب ستعنه رسول الله وتأمرى أن نزع^(٣)

فوجئت لطاعة لأنه أبر ذمته بالمراجعة، وسمع أمر الرئيس لسي لا رجعة فيه، وعمر حدى منى صرح^(٤) له الأمر من صاحب الأمر لم يبق له إلا أن يطيع

وختمت سنة النبي بوفاته فلم يكن بين لصحابة حد أحردس على هذه سنة و'لزم لها وأكثر رجوعاً إليها من عمر، ولم تكن له وصية مقدمة على الأخذ بكتب الله وسنة رسوله، إلا أنه مع هذا لم يكن يعقل عن لعل إاد وحب لبحث عن العلة لتى ور « لسنة النبوية، فخالف أبا بكر رضى الله عنه في قصاعه الأرض لعينية بن حصن و لأمرع بن حاس وقال لهم «إن رسول الله كان يتألفكم^(٥) على الإسلام وهو يومئذ دليل، وإن لله فد أمر لإسلام فذهب فجهد جهدكما»

فقد عم سنة النبي مع «المؤلفة قلوبهم» ولم يعفر عن سببها وموقتها فهي سنة تطاع لحكمتها ولا توضع في غير موضعها، وليس على اسلمين حرج أن

(٢) «ثقل الحشم والمثاع

(٤) «تألفكما يعصكما يستميل قلوبكما

(١) وجوه الناس أكبرهم.

(٣) صرح الأمر وصح

يحذرو المؤلفه قلوبهم سامله غير التي تُعرف من صاحب لرسالة، إذا تعبرت
لحكمة واختفت الغلة، واستعني لإسلام عن باصرين تتألفهم العصا و لا تفعل^(١)

وبثل هذا السبب ولاشك نهى عن رواج لمعة، وبهى عن السحر من بعض
مناسك الحج ولم يكن منهيًا عنهم كل البهى فى حياة النى عليه السلام، فكان
لرجس بتزوج بالمرأة لأحل معلوم ثم ينسك^٢ وكان منهم من بنوى الحج ثم
يتحلل من بعض مناسكه، فسهى عمر بن ابيم خلافته وقال: «منعتان كنتا على
عهد رسول الله ﷺ أنا أنهى عنهما وأصرب عليهما».

وموفقات عمر لقرآن ولسنه كثيرة لا بدعوب المقام هنا إلى إحصائها
واستيفائها، وكذلك من جعانه ومدفشته فيم يرد عليه من أحكام لا تحلى
ماتيا ومراميا، فحسبنا منها دلائل استقلاله وصراحة عقه فيم سردياه
وحسب الإسلام فخراً أن يؤمن به الإنسان إيمان عمر ثم يستقل برأيه وصنعه
استقلال عمر، فالإيمان فى أقصاه لا يعطل الرأى المستقل فى أقصاه، وكل
صفة فى عمر فهى صفة مستقصية لا وسط فيها، إذا من فذلك عاية لإيمان
وإذا استقل فذلك عاية الاستقلال، وإذا أعجب فذلك عاية لإعجاب. وإن الضفر
بى نطفره عم لأخلاق من در سنه لمعته هذا النبهد من الصفات النى
تتفرض فى ظاهرها وهى على عهد بهى فى عمر متفقت متسيدات لا
تستعنى واحدة منها عن سائرها.

فإن لم يكن فى دراسة عمر إلا أن يرى رجلاً عادلاً بالعد، قوياً بالاعا
فى قوته، معجباً بالبطولة بالاعا فى إعجابه، مستقلاً بالرى بالعد فى استقلاله
كفى بذلك ظهراً لعلم لأخلاق وكفى بسيرة واحدة أن تقرر لنا هذه لحقائق
النى يستكثر على عشرات السير، وهى أن لقوة لا تدقص العدل، وأن اللصولة
لا تدقص لإعجاب، وأن الإعجاب لا ينفص الاستقلال، رتلك لحقائق أثبت فى
عمر من معارف بدنه وملاحح سيمه

وكانت مودة بنى لعمر كمودة عمر لبنى شرفا له من حاتمسه، وشهدته
لعظمته وعصمة معلمه ومؤدبه وفدبه.

كانت بصره محمد إليه نظرة عالية لا تعبوه بصره أحد من أصحابه هم يكن

(١) الامال جمع نعل وهو العسمة

أحد يكبر عمر كما كان يكبر عرقه، ولم يكن رضاه عن مخالفاته ومراجعانه
 بأقل من رضاه عن موافقته وتسليمه، لأنه كان يطر إلى بواعث هذه وتلك
 فيحدها ويرجو للإسلام حيزاً منها، بل يدحر للإسلام سورة^(١) كما يدحر له
 تسليمه وطاعته، ويسوسه في رفق وكرمه سياسة لمعم لتلميذه الذي يهيئه
 ويستعين بغيرته، ويروضه رياضة لإمام لمريده الذي يهيئه للإمامة بعد حين،
 ويشجعه بفول الحسن من رأيه تشجيع من يثبت فيه حسن الرأي ويستريده منه.
 ولا يتأتى أن يطر لنبي المهمل إلى عمر لئلا يرى فيه أولى مشبهاته
 للطبائع النبوية، وهي الإلهام الديني والنصيرة الروحية، فكان عليه السلام يقول
 فيه «قد كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء»،
 فإن يكن هي أمي أحد فعمر».

ومثله قوله في بعض ما نقر عنه عليه السلام «لو كان بعدى نبي لكان عمر
 ابن الخطاب» وقوله «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه».. وقوله «عمر
 ابن الخطاب معي حيث أحب، وأما معه حيث يخب، والحق بعدى مع عمر من
 الخطاب حيث كان».

وتلك لمحات نبي ملهم إلى نصيرة ملهمة نقار بصيرة الأنبياء. وإن في
 هذه اللمحات لمعرفة بالنفس ونفاداً إلى الضمير، من أجلها كان محمد مصلح
 نفوس وهدى ضمائر، وفتح عهد روي في تاريخ الإنسان.

ومن تحصيل الحاصل أن نقول إن محمد قد أحاط بكل فضيلة من فضائل
 عمر، وكل خليفة من حلائق طباعه، وراقبه قبل إسلامه وبعد إسلامه فلم تفته
 كبيرة ولا صغيرة من مواطن العظمة فيه، إلا أنه لم يحم منه شيئاً كما حمد
 حبه للحق وكراهته للباطل، فهي لخصلة التي تلاقها فيها وتفارها من قسها، وإن
 كان محمد لأرحب صدرأ وأعلم بالناس من أن يكلف صاحبه أن يشبهه كل
 النسخة في علاج الحق والباطل، فاليد من فارق بين لرحلين هو لفارق الذي
 لابد منه بين المعلم والمريد وبين الإمام والمأموم.

ولا نخالنا نلمس هذا الفرق كما نلمسه من قصة الأسود بن شريح، ذلك
 لشاعر الذي كان ينشد لنبي بعض الأماديح فاستنصته^(٢) مرتين إذ دخل

(١) سورة بقره، وثوبه، وسورة السطاط سطونه (٢) استنصته. طلب منه السكر والإبصار.

عليهم عمر والشاعر لا يعرفه فصاح و تكلاه^(١) من هذا ،لذي أسكت له عند
لنبي؟ فقل لسي «هذ عمر.. هذ، رحل لا يحب الباطل».

وتلك قصة تكبر عمر مرة وتكر النبي مرات، فلا يسمعها السامع فيخطر له
أن محمداً كان يقلل لباطل الذي يباه عمر، أو كان بهوى للعو الذي يعرض
عمر عن سماعه.. ورنم يسمعها فيعلم أني الرحلن يهدي صاحبه في مذهج
لحق، ويدربه على كراهة الباطل، ويعلم أن الإمام يصيق ما لا يطبقه المرید،
ويتسع صدره لم تصيق به صور تابعيه، وأن محمداً أراد أن يعود الناس
مهابة عمر، وأن يستبقى لعمر سوره في محاربة الضلال، والأيام كفيلة
مترويض تلك السورة فيما يسفى أن تراض عنه.

وهنا يتجس مذهبان في كراهة الباطل، ويتجس فارق واضح بين مذهب
المعلم ومذهب المرید.

فعمر كان ينكر الباطل إنكر المحارب، ويرفع له سلاحه حيثما رآه، ومحمد
كان ينكره ولا يرفع له سلاحه حيثما رآه لأنه يعلم ضرراً من الباطل وضرواً
من الإنكار.

ومن الإنكار أحياناً أن يتجاوز عنه، وأن يشفق عليه إشفاق الرجس على
سخر الطفر الصغير، وأن يتربص به الأيام حث يرول، وأن يعالجه سلاح
المحارب ويغير سلاح المحارب، وهو بذلك قد أعد له ضرراً من الإنكار، وبكال
أكمل عدة له من الراصدين له في ميدان واحد.

أقول إن الفارق بين محمد وعمر في هذا هو الفارق بين نبي وخليفة^(٢)
إن قلت ذلك فقد قلنا حقاً جامعاً لا شبهة فيه، ولكننا لا نعدو به تحصل
لحاصل وتكرير الأسماء . فمحمد سي وعمر خليفة، ما هي ذلك خلاف ولاند
بيهما من فارق، ما في ذلك خير حديد، ما هو الفارق لدى يعدو تكرير الأسماء
أو تكرير لصفات الفارق فيما نرى هو الفارق بين إسان عظيم ورجس عظيم
فالنبي لا يكون رجلاً عظيم وكفى، بل لاس أن يكون إنساناً عظيماً فيه كل
خصائص الإنسانية شاملة لتي نعم الرجولة والأنوثة ولأقوياء والضعفاء،
وتهينه للفهم عن كل حث من جواب سي اسم، فيكون عرقاً بها وإن لم يكن

(١) لتكل، فقد الحبيب، وكلمه وتكلاه، صيغه من صيغ أسد بهر، بها لنحسر وبداء لدشنة هنا

منصفَها قائراً على علاقتها، وإن لم يكن معرضاً لأدوائها شاملاً لها بعصفه وإن كان يكره فكره وروحه لأنه كسر من أن يلفد لفاء الأنداد^(١)، وأعد من أن يلقاف لقاء، بقضاة، وأحبر^(٢) سبعة آفاق لئيب، لتى تتسع لكل شيء بين الأرض والسماء، لأنه يملب مثلها، افاقها كفافها هي آفاق الروح.

ومن الصعائر الأدمية التي كثيراً ما يطيقها الإنسان لعصيم ويرم بها الرجز العظيم كل عرور صبيبي يحبك بنفوس الدس، وهو مصروب ليست لها بهانة غرور الشعر بأمديحه، وعرور الفذن بصنعتة، وعرور المرأة بحمالها، وعرور الشيخ سرته، وعرور الأحقق بحيلته، وعرور، لحاهر معلمه.. وفي كل ضرب من هذه المضروب كان بن محمد وعمر فرق واضح وتفاوت محسوس، وكنت سهم دروس تجري بها الحوادث تعليماً وهدى كم تجري عرص غير ضهر فيه قصد العلم وتلقين.

وعمر رضى الله عنه قد استفاد من دروس معلمه وهاديه في هذه المضروب شتى الفوائد، كما ظهر من سياسته هي أيام خلافته ومن مرجعه نفسه وأسى عليه السلام بقيد الحياة.

فقد أشر على النبي بقتل عبد الله بن أبي بن سلول حين مشى باهتته بين المسلمين، فأبى النبي وتزل عبد الله بمضى هي شططه حتى أكره قومه وعفوه، وتصدى له من صلبه من يريد له الموت^(٣) فقال لنهى لعذر حين سعه ذلك من شأنهم كيف نرى يا عمر؟ أما والله لو قتلت يوم قتلت لي أقتله لأرعدت له ألف ولو أمرتها اليوم بقتله لقتله، فقال عمر قد والله عمت، لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى.

وكان عمر يستكثر صلاة نبي على عبد الله بن أبي بعد موته، ويستعظم أن يهب له قميصه، وأن يكفه أهله في ذلك انقميص. وكان النبي برعى في ذلك حق الله الذي أحصر في إسلامه وبلغ من إخلاصه أنه اقترح على نبي فتل أنه، وسئل النبي كما جاء في بعض الروايات. لم وجهت إليه بقميصك وهو كفر؟ فقال إن قميصي لن يعنى عنه من الله شيئاً، وإننى أؤمل من الله أن

(٢) أحبر أكثر حيرة

(١) الأنداد جمع يد وهو المظير للكف.

(٣) كان من عافقين وهو نبي قاب في عروة بن المصطلق، من رجع إلى نبيه ليخرج الأعرابي الأدل، فغضب الرسول والصحابه لفواته

يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب ففيل إن الفأ من الخرج أسلموا لما رأوا رعيمهم يطلب الاستشفاء بثوب الرسول، وخرحت لصحبة وعمر في طليعتها بعبرة باقية من هذا الدرس السوي الحكيم.

وشسبه مدرس عبد الله بن أبي درس الخطيب أمقوه سهيل بن عمرو الذي أسر في بدر، فأشار عمر على النبي بكسر ثنيتيه لسفليين ليحمر عن الكلام إذ كان مشقوق الشفة السفلى «أبي النبي» عسى أن يقوم مقاماً لا تتمه، فمارال ومارل عمر حتى راه في حروب لردة يقطع بسبه كما يقطع السفى، فحمد له ذلك المقام.

وحاء لفتح بعد صلح الحديبية، فرأى عمر كما رأى المعرضون معه أن قريشاً حسرت ولم تزعج بالصبح الذي عرضوه، وأن المسمين ربحوا ولم يحسرو بقبوله، وأنهم رادوا عدد وزوا حفاء من غير المسلمين، وأن الدين رقصهم النبي من تابعيه عملاً باصلح ثم يدفعوا قريشاً بل كانوا بلاء عليها أشد من بلاء القتل وبد، ذلك من مبدأ لأمر لعمر فاعتبر به وقال «مارات أتصدق وأصوم وأصلي وأعشق من الذي صنعت يومئذ محابه كلامى لدى تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً».

وتجتمع خلاصة هذه الدروس كلها في خبر واحد من أخبار عمر بعد ولايته الخلافة، وذلك حين سغوه فتح «تستر»، وركروا له أن حلاً ارتد عن الإسلام فقتله، فلامهم على قتله وقال بهم «هلا أدخلتموه بيتاً وعقتم عنه وطمعتموه كل يوم رغباً فاستتتموه»^(١) اللهم إني لم أشهد ولم امر ولم أرض إذ بلغنى.

فهذا عمر تلميذ محمد في لإسلام، وهذا عمر شاهد دروس من سلول ومن صبي شاكته من المنافقين واشركين وهذا عمر المستفيد مما وعى من تلك الدروس ومعنى ذلك حممه أن محمداً أعظم من عمر، وليس معده أن عمر لم يكن بعظيم

ومن تحصيل الصل أن نقول إن النبي عليه السلام كان يعلم ما يحتج إليه صاحبه وما يستغنى عنه من الدروس، فعمر لم يعوره قط درس قوى بعلمه حب الحق وكراهة الناطر لأنها حقيقة متمكنة منه أصيلة فيه موشوكة^(٢)

(١) استتتموه رجويم بوبته.

(٢) موشوكة بعبه أى موشوكة به مرتبطة

بطبعه، ولكنه قد يعوره حيبٌ بعد حين أن يعلم الصبر على الناطر ولا سيما في فوعه لشباب^(١)، وألا يأسى على الحق أن تهوته معركة زهنة في صراعه الدائم مع خصمه القديم، فهي معركة لا تضيق بصلمة ولا تؤخذ بهجمة، ولا ترال سجلاً مضورة العواقب في ساعة الصبر وساعة الهزيمة على السواء.

وربما أعوزه ما يعوز الأقوياء في معظم لأحيين، وهو أن يذكروا أن الناس جميعاً ليسوا بأقوياء، وأن لباس حميماً ليسا بعمر بن الخطاب، فإذا، ستصاع عمر أن يمنع لخم مرة واحدة فقد يشق ذلك على آخرين، وإذا استطاع أن يتصدى للموت في كل لحظة فليس ذلك في وسع كل مسلم، وقبلاً يستحضر الأقوياء هذه الحقيقة إلا بعد تذكير وروية. أما عى البداة فهم يقيسون الناس على أنفسهم ويحسبونهم أهلاً لما هم أمر له وكفو لما هم قادرون عليه، ولهم من الشرف هي سيدن هذه الحقيقة فوق ما لهم من الشرف هي تذكاريه ويوم استحضاره.

وقد كان تفكير عمر كله عى البداة في عهد النبي عليه السلام، فكان بعضي إليه بما يوحيه عفو خطره وتميمه بادرة فكره^(٢)، مصمتاً إلى مرجع الرأي ومقطع القول بين يديه، شاعراً بواحيه لأول أحسن شعور في هذا مقام، لأنه شعور الرجل الكريم الذي لا يضمن شيء من عونه، فهو يعرض أقصى ما عنده من اليأس ويدع لصاحب الأمر أن يكتفى بالسير منه إذا شاء، ولكن ليس عليه هو أن يعرض السير ويترك لصاحب الأمر أن يطلب الكثير.

مثل عمر في هذه المواقف مثل صاحب المال تمرل الضائقة الحارية^(٣). فيبسط ما عنده من المال جميعاً ويدع للولى القائم بالتدبير أن يختار من ماله مقدار ما يريد وذلك أفضل لحسنين وأكرم الواحيين، وهو الواجب الذي يبيق بعمر في صحبة الرسول.

ولا يحسن قارئاً أنا بعسف^(٤) التأويل والنحريج لنصر إلى عمر في أجمل الصور ويوجه أعمامه أحسن نوحيه، فما بقوله هنا لا يعدو تفسير عمر نفسه لما انصف به من لشده في عهد رسول الله، وبفسيره - كما قل غير مرة - أنه كان سيقاً للرسول إن شاء صرب به وإن شاء أغمدته في قرايه وأنه كان حلواره^(٥)

(١) فوغة اشباب حديه. (٢) نميه بادرة فكره أى بما يتأتى له من الرأي السريع (٣) الحارية لشديده. (٤) الاعساف لأحد على غير التصريق، يعنى أنا بحسن لتزويل فرق ما يطبق (٥) الطور الشرطى.

القائم بين يديه، وليس من شأن الحلوار أن يمسك كثيراً أو قليلاً من نأسه حيث يؤمر بإمساكه، ويرد إلي الهوادة واللين.

بر هذا الذي يقوله هو لذي قاله أبو بكر رضى الله عنه فى شدة عمر ولينه، فكما تحدثوا إليه بغلظته قال: إنما يشتد لأه يرانى ليناً، ولا غلظة على الضعفاء فيه.

فكان جميلاً بعمر أن يسهو عن تلك الحقيقة، وأن يحتاج فيها إلى تذكير و ستحضار وكان أفصل واجيبه لا مرأ أن يعرض البأس حتى يؤبى، ثم يثوب إلى اللين ولا جناح عليه.

وهو اليقير لذي لا يحامرت الشك فيه أن عمر كان خلقاً أن يفهم تلك الحقيقة بتفصيلاتها لو جعل ناله إسها ولم يجعل بآله إلى تقديم ما عنده «والحدود بأقصى جوده» فى انتظار القول لفصل من رأى السى عنه لسلام، ولولا استعدادهم لفهم تلك الحقيقة وب شابهها لما نفع بالقنوة ولا أغنت معه المثل ولتحرير

ومهما يكن من حاجته إلى دروس معلمه وهاديه، فالذي نعتقه أن مكانه من الخلافة لم تقرره لاجة إلى تلك الدروس، لأن الصحابة كلهم على حكم واحد فى هذا الاعتبار سوء منهم الخلفاء الراشدون وغير لطفاء الراشدين فما من رجل كان بين أصحاب محمد عليه السلام إلا كان مفتقراً، إلى جانب من جوانب هديه وتهديبه وتقويمه، وما كان عمر على التخصيص بشد فتقار إلى ذلك من رفاقه وتابعيه وإن اختلف ما يعوزه وما يعوزهم من مواضع، يهدى والتهديب والتقويم.

وواضح من هذا أن دعوة النبى عليه السلام أبا بكر للصلاة بالناس فى مرض وفاته لم تكن بالمصادفة ولا بالاحتير الذى يتسبب فى أبو بكر وعمر فى ذلك المقام، فقد دعا حتى وصل الأمر إليه رضى الله عنه فلباه وتفصيل ذلك كما جاء فى رواية البخارى أن النبى شتد عليه المرض فلباه مروا أبو بكر فليصرن بالناس. قالت عائشة رضى الله عنها إن أب بكر رحل رقيق القلب إذا قام فى مقامك لا يكاد يسمع الناس من الكاء فلو أمرت عمر؟ فعاد النبى يقول مروا أب بكر فليصل فعودته، فقال مرة أخرى مروه فيصير، فكان صواب يوسف^(١).

(١) العبارة تحمل معنى لزوم واعتب على النساء، والإشارة إلى مواقف النساء فى قصة يوسف عليه السلام.

وحدث عبد الله بن أبي رمعة أن بلالاً دعا النبي إلى الصلاة فقال: مروا من يصلي بالناس «فخرجت فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر عتياً، فقلت قم يا عمر فصر بالذئب فقام، فما كبر سمع رسول الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلاً مجهر^(١)، فقال: فأين أبو بكر؟ يأتي الله ذلك والمسمون هبعث إلي أبي بكر فحاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بإسار».

قال عبد الله بن أبي رمعة إن عمر لقيني فقال لي ويحك ماذا صنعت بي يابن أبي رمعة؟ وأنه ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أمرك، ولولا ذلك ما صليت بالذئب قلت والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك ولكن حين لم أر أنا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة.

والوصح من كلت الرويتين أن النبي عليه السلام قصد إلى اختيار أبي بكر للقيام في مقامه من إمامة المسلمين وضم ذلك ما ضمنه من معنى الاستحلاف وتقديم.

فعلى أي وجه نفهم هذا الاختيار الذي صدر عن قصد وروية ولم يصدر عن مصارفة وتفاق؟ وعلى أي وجه تساعل النبي عليه السلام حين سمع صوت عمر ولم يسمع صوت أبي بكر فقال «يأتي الله ذلك والمسلمون»؟
إننا لا نفهم ذلك إلا على وجه واحد يجمل بمحمد ويجمل بأبي بكر ويجمل بعمر كما يجمل بالمسلمين.

فمن السفيه أن ينظر النبي في اختيار خليفته إلى جميع الاعتبارات التي سحل في الحسار ولا يقنع بالنصر إلى اعتبار واحد.

فإذا نظر النبي إلى جميع الاعتبارات فأى عصابة على عمر أن يقع الاختيار على أبي بكر ولا يقع عليه؟

إن أصدر أبي بكر نصح للإسلام فضائل الرجلين، ولا غصاصة منه على أحدهما ولا على المسمين ولكن لعصاة أن يتأخر أبو بكر وهو سن وأسبق إلى الإسلام وثاني شئ في العار، وأقم^(٢) أن تنص حوله مافسة لأندد، وله الرأي الصائب والشجاعة الماثورة والإيمان الثابت وإسالة المرضية والحق انضهر في الآثار كلما قول بعمره من الحقوق.

(١) مجهر مرتفع لصوت.

(٢) أقم، أجبر وأولى

ومع هذا ترجح لدى بقوله أنوبكر مرجيح آخر لاسنحلافه في موقف الذي كان مطوراً بعد موت أنس عليه السلام، وهو موقف رصب ومسألة بين المسلمين بغير إدا جرت الأمور في محرف الطيب حأمون فإد نأزمت واضطرب وبفدت حيلة بلين حتى بسده أنوبكر في رعهه وهو دته فدك بس موطن الإحمرغ وإدا صب عيره واجمعت كلمتهم على الصلابة ولم يبق من بلين في الأمر سواه، فصلا بنهم أقصر إد أن تعطف بليه إلى الإحمرغ الذي لا شئور هه، فالس على السلام قد حسب للعواقب كل حساب، وقد نصر في استخلافه إلى كل عتدر وقد وار بين أمور كثيرة ولم يوزن بين صا حين يس بينهما محل للتنافس والملاحاه.

ومما نظر إليه عليه السلام أن عمر أصغر من أنى بكر عشر سنوات أو نحو ذلك... فتور أنى بكر لا يحب دور عمر، وإذا أنتفع الإسلام بمر يا أنى بكر في حبها الذي هو أحوج إليها، فسيتنفع لإسلام بمراب عمر في لصين لدى يتولاه فيه، يوم تعنى الصلابة في مد هة الأعداء ما أعناه الرفق في تألف الأولء^(١) ولا يحسن قارى هنا أيضاً أنه يستخلص لتائج من التاريخ وتذكر ما كان بعد أن كن، فالواقع المصنوع عليه أن الذي رأياه بعد وقوعه قد كان منضوراً إليه قبل أن ينكشف عنه العيب، وقد نظر إليه أنس عليه السلام فقل: «رئت في المنام أنى أنزع مدلو بكرة على قلب^(٢) فحاء أنوبكر فروع ذنوب^(٣) أو ذنوبين برع ضعيماً، والله يغفر له، ثم جاء عمر من لخطاب فاستحبات غرباً^(٤) هم أر عقري بفرى فريه، حتى روى لباس وضربو بعطن^(٥)».

ولم يحف معنى الرؤيا على معبريها، لأنها لا تحمى غير تعبير واحد، وهو الذى أشار إليه الشافعى رحمه الله ففسر ضعف النزاع بقصر مدة وعلة الموت، والاشتغال بحرب أهل اردة عن «الافتتاح والاريد الذى بسعه عمر في حول مدته».

ويحوز أن أنس عليه السلام قد أدخل في حسبه تقديراب أخرى من هذا القبيل لا يحيط بها أبناء عصره ولا نرها نحن في عصرت، فلهذه المسائل في جميع العصور نواحيها لوصوعية وروحيتها الخاصة لتي لا يدركها كل من

(٢) انقلب النثر

(١) الأولء جمع وند وهو صاحب المودع

(٣) الذنوب مدلو المصوبة (٤) العرب مدلو العزيمة (٥) لعن مبرك الإسلام حول المد

عاش بينها ولا ينأى بقله بالكتابة و لندوين . رمتي كنت هذه هي التقديرات التي فصلت في مسألة الترشيع للحلافه فنى عصاة فيها على عمر ؟ بها شىء لا يتناولوه وحده ، وليست لكفاءه أبى بكر ولا لكفاءه هو كل اليد فيه ، وإن الذى حدث لا يعدو أن يكون موزنه بين أحول ثم تقديمًا للصالح فى تلك الأحوال ، أو هو تأخير موعد ومناسبه وليس بتأخير حق وكفاءه ، فأبو بكر كفاءه للحلافه ، وعمر كفاءه للحلافه ، لكن نعدبم أبى بكر أصح وأولى وأوفق لأحوال الزمن ولكرامة الصحابة والمسلمين أجمعين .

وإنك لتكوين على ثقة من حقيقة واحدة فى رهط محمد تجزم بها وأنت امر أن تخالف التاريخ فيما بطر وفيما طهر وذلك أنه عليه السلام لم يرم قط أمر فيه عضاضة على أحد من اصحابه ، ولا سيما فى مسألة الاستخلاف أو لتقديم بلامة والصلاة بالناس فكل الذى حدث فيها فهو لذى يجرم بالنسبة من تقدير وتدبير ، ويجعل مصاحبيه من إثارة وتوقير ، ويحمل بالإسلام من تمكين وتعمير ، واستفاد بعمل كل عام ، واقدار كل قدير .

بقى جانب من جواب لعلاقة بين الننى وعمر لا بسكت عنه بكثرة ما قبل فيه ، فنبداً عن وجوب النظر فيه لأنه يتمم لعلم بتلك العلاقة ويريدنا فهماً لها واستقصاء لمداها و طلاعاً على صريقة عمر فى لوارنة بين الواحيات ، لشئون حيثما اشتجرت بين مدته ، ويريد به جانب العلاقة بين عمر وال نعت ، وبين عمر و بنى عم الننى الكبيرين على و اس عدس بعد استقال الننى إلى الرفيق الأعلى فالذين أولعوا فى لتاريخ بخلق لقضايا ولخاصات يقوون كثيراً فى هذه العلاقة ، ويمثلون عمر على صورة لرجل الذى كان يتحدى بنى هاشم ويناجزهم مناخرة لعصبية فيه عليهم ، ولكنهم لا يدركون من الوقائع ما يعبر شبهة أو يرجع بضم فى هذه الوجهة وكل ما حفظته لنا أئمة العصر فإما تخصص بنا إلى الخلاصة التي تجمل بعمر وتحمده وهى الوفاء المحض لذكرى أسى عليه لسلام فى له وخاصة بينه ، والأمانة المحض لمصلحة لعرب والإسلام مقدمة على كل مصلحة خاصة أو عامة وكل ما عدا ذلك لعو وباطل

فعند تقسيم لأعملة كن لال لسى النصيب الأوفى و لكان المقدم بين

الصحابه، وكان لهم التفضيل في كل حق من حقوق المسلمين حسبما كان بينهم وبينه عليه السلام من رحم وقرية، وفصلهم عمر على أقرب الناس إليه في اللقاء ولحفوة، فكان في بعض الأيام ينظر لحسين بن علي رضي الله عنه فذهب إليه الحسين فقي عبد الله بن عمر في الطريق فسأله من أين جئت؟ قال: استأذنت على عمر فم يأذن لي فرجع الحسين ولم يذهب إليه.. ثم لقيه عمر معاتاً وسأله: ما منعت يا حسين أن تأتيني؟ قال: قد أتيتك ولكن أحبرني عبد الله بن عمر أنه لم يؤذن له عليك فرجعت.. فعز ذلك على عمر وقال له: وأنت عندي مثله؟ وأنت عندي مثله؟ وهل أشت الشعر على الرأس غيركم؟

وكسا عمر أصحاب النبي فم يكن في لأكسية م يصلح للحسن والحسين رضي الله عنهم فبعث إليهم فأتى لهما بكسوة تصلح لهما وقال حين رآها: الآن طابت نفسي!

وسافر إلى الشام فاستخلف علياً رضي الله عنه على المدينة. وأخذ نفسه باستفتائه ولرجوع إليه في قضائه متخرجاً من دعوته إليه حين يحتاج إلى سؤاله استفتاه بعضهم في مجلسه فقال: نعوي، وأخذهم إلى على فذكر له المسألة فقل على: ألا أرسلت إلي؟ قل عمر: أنا أحق ببيتانك

وكذلك كان يسفني بن عباس في لدين ولأدب ولا يقاه باحثاً مسترسلاً في الحديث إلا قال معجياً متسماً عص عوام^(١) وقلم سنل في أمر واس عباس حاضر إلا قال يشير إليه عليكم بالخير بها

ولم يحجم عن توليتهم الولايات إلا كم أحجم عن تولية الجلة من الصحابة ورعوس قريش الذين يقاهم عدة مشورة وصبرهم عن محاسبتة وعتابه وفي ذلك يقول لاس عباس: إني رأيت رسول الله ﷺ اسنعمل الناس وترككم، والله ما أدري أصرهكم عن العمل أو رفعكم عنه وأنتم أهل ذلك؟ أم حشني أن تُعَوِّبوا لكانكم مه قبقع العتاب عليكم ولابد من عتاب؟

أما مسألة لخلافة فالذي يرعمه فيها لذين يفرضون في القضايا والمحاصمات أن عمر رضي الله عنه تعمد أن بحول بين على والخلافة بصرفه النبي عن كتابة الكتاب الذي أراد أن ييسط فيه وصياياه فلا يصير المسعون

(١) انفوس اسرول تحت ماء، يقار. فلان يفرض على حقائق نعم، يد. كان كثير النحت فيه.

بعده، ويرغمون أنه هو قد حل بين عى والحلقة مره أخرى يوم تركها شورى ولم يستحفه باسمه لولايتها.

و استكثروا من عمر صرامته فى دعوة على إلى مبايعة أبى بكر كما جاء فى بعض الرويات ،لتى ترجح صحتها، وخلاصتها «أن عمر أتى مرسل على وبه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال والله لأحرقن عليكم لدار أو لتخرجن إلى السيفة، فخرج الزبير مصلاً بالسيف^(١) فسقط السيف من يده فوثبوا عليه^(٢) فأخذوه. «أو قل لهم فى رواية أخرى «والله لتديعان وأنتما طئعن، أو لتايعان وأنتما كارهان».

فستكثروا المستكثرون هذه الصرامة وعنفها من صرار عمر على الإحفاف بعلى وإقصاء بنى هاشم عن الخلافة

أما القول بأن عمر هو الذى حال بين النبى عليه اسلام ولوصية باختيار على للخلافة بعده فهو قول من السخف بحيث يسىء إلى كل دى شأن فى هذه المسألة، ولا تقصر مساعته عى عمر ومن رأى فى مسألة مثل رأيه

فالنسب عليه السلام لم يدع بالكتاب الذى طبعه ليوصى بخلافة عى أو خلافة غيره لأن الوصية بالخلافة لا تحتج إلى أكثر من كلمة يقال، أو إشارة كالإشارة أنى هم المسلمون بها يثار أنى بكر بالتقديم، وهى إشارته إليه أن يصلى بالناس. وقد عاش النبى بعد طيب الكتاب هم يكرر طلبه ولم يكن بين على وبين لقائه حائل وكانت السيدة فاطمة روح عى عنده إلى أن فاضت نفسه لشريفة فلو شاء لدعى به وعهد إليه.

وفصلاً عن هذا السكوت الذى لا إكراه فيه، يرجع إلى كل سابقة من سنن النبى فى تولية الولاية فرى أنه كان يحب الولاية ويمنع ورثة الأنبياء، وهذه السنة مع هذا السكوت لا يدلان على أن محمداً صلوات الله عليه أراد خلافة على فحبل سنه وبين الجهر بما أراد

ولم يعتمد عمر على الشورى فى اختيار الخليفة بعده وله مندوحة عنه، فقد رأى من أصحابه كم قال: حرصاً سيئاً وخلافاً لا يصحبه رأى واحد، وكانت

(٢) وثبوا قهروا

(١) مصلاً بالسيف، مجزئاً سيف من بعده.

حيرته عظيمه بين الاستخلاف وبرل الاستحلاف، فما قيل له وهو صعيص يودع
لحياة ماذا تقول له عز وحر إيا بفيته ولم تستحلف عى عده؟ أصابك كده
ثم بكس رأسه صويلاً ثم رفع رأسه وقال «إن الله تعالى حاطط لدين وأى ذلك
أفعل بعد سن نى إن لم أستحلف فإن رسول الله ﷺ لم يستحلف، وإن
استحلفت فقد استخف أبو بكر».

واختار الشورى فى أمر الخلافة أساساً ليس بين المسلمين أولى منهم
بالاحتير، وكأنهم كانوا مسمين بسمانهم لهذه المهمة لو لم يرشحهم هو
لرشحهم لها كل مختار.

وم يكن الهكك من التعة هو الذى أوحى إليه أن يفص يديه ويلقى بالعبء
على عواتق غيره، فعمر لا سحو نفسه ليوقع أحداً هيم يحاول الحياة منه،
ولكنه قدر أن الرجر الذى تختاره كثرة المحكمين هو أولى أن ينعقد عليه
الإجماع ويحسم بترحيحه لنزاع فمن حرج عليه فهو باغى فتنة ينبعها لأقلون
ويردعها الأكثرون.

وكان مع هذا يود لو اجتمع لرأى على اختيار على بعد اشاورة فقال لابنه
لو ولوه الأحلح «أى المحسر الشعر» لسلك بهم لطريق، فسأله ابنه فم
يمنعك أمير المؤمنين أن تقدم علينا؟ قال: أكره أن أحملها حياً ومياً.

وقد عدا الاستحلاف بعد النبى والاستخلاف بعد عمر، فالسياسة التى
جرى عليها عمر كانت كلها سياسة عامة قائمة على أساس عدم لا تفرقة فيها
بين نبي هاشم وعبرهم ولا بين على وغيره.

فكان يكره أن تستثر بالأمر عصبة نون عبره بلغة ما سعت منزلتها ولم
يكره ذلك من بيت هاشم نون سائر البيوت

كان يحجر على وحوه قريش أن يخرجوا إلى لسان إلا بين ولى أجل،
ويلقه أنهم يشكوه، فأعس هى الدس من قريش يريون أن ينخدوا ما الله
معوبة على ما فى أنفسهم، ألا إن هى قريش من بصر الفرقة ويروم خلع
الريقة^(١)، أم ومن لخطاب حى فلا إن خوف ما أخاف على هذه الأمة
اششاركم فى البلاد»

(١) الريقة حمل تشد به النبى، وهى لعدته «... طع ريقة الإسلام من عقه».

وكن يرحل قومه بني عدى كلم أحسن منهم الطمع في خلافته لأنه واحد منهم، فيصيرهم قائلاً «بيع بخ بني عدى. أريكم لأكل على ظهري، وأن أهب حسدي لكم، ولا والله حتى تأتيكم الدعوة وإن اطبق عليكم، أسقتر...» أي وإن كنتم في الأعصية آخر الدس وهو الذي أبى أن يختر ابنه لبحلافه وقال لمعيرة بن شعبة الذي رين به استخلافه «لا أرب^(١) لنا في أموركم وما فيها لأحد من بني إر كن خير فقد أضدنا منه وإن كان شراً فبحسب ال عمر أن يجاسب منهم رجل واحد».

وجمع عياً وعثمان في مجلس الشورى لاختيار الخليفة فالتفت إلى عى فقال: «تق الله يا عى إن وليت شيئاً، فلا تحملن بني هاشم على رقاب المسلمين».

والتفت إلى عثمان فقال «اتق الله إن وليت شيئاً فلا تحملن بني معيط على رقاب المسلمين»، أو قال بني أمية.

وكان أكبر همه أن يعصم الإسلام من الملك الذي يستأثر به مستأثر لأدس دون أناس وكثراً ما سأل والده ما ندرى أخليفة أت أم مت؟ مستعيداً بالله من كل سلطان لا نعم جمع رعاياه بالخير. وكلمته لابن عدس حيث قال: «إن الدس كرهوا أن يجمعوا لكم النوة والخلافة، وإن قريشاً اختارت لأنفسها فأصابت»، هي كلمته حيثما تكلم في هذا الصدد لا يخص بها بيتاً دون بيت ولا معشراً دون معشر ولا قبيلة دون قبيلة، إلا الأمانة لمصلحة المسلمين جميعاً حيثما اتفقوا عليها أو كان لهم رجاء في الاتفاق.

وما كنت لغمر صرامة مع عى لم تكن له مع غيره في مأزق الخوف من الفتنة والدور عن الوحدة، فقبل أن يسلم لروح كبت وصيته وهو لا يعلم من الخليفة بعده «إن جتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فشدخ^(٢) رأسه بالسيف، وإن تفق أربعة فرضوا رجلاً وأبى ثمان فاصرب رأسيهما فإن رضى ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً فحكموا عبد الله بن عمر فأبى الفريقين حكم له فليحصاروا رجلاً منهم فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس».

وما اختار ابنه عبد لله لفصل بين الفتنتين المتسويتين إلا لأنه خارج من

(١) الأرب: انزعص والعيا

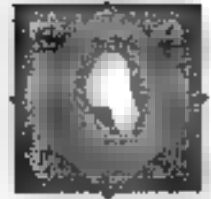
(٢) اشدخ: كسر شيء الأجراف.

الاختيار، ثم لم يجعل له القول الفصل حتى يعنح للناس مخرجاً من رأيه،
شعرا ألا يسعوه.

ولم يفضي بأمتل من هذا القصباء في مأرق الفتنة 'حد له قضاء عادل منزه
عن خبايا القلوب.

فما اتحد عمر من حكم بين الناس فهو 'الحكم الذي يجرى به ويحمد منه ولا
ينفع به قبل أن يتفجع سائر الناس هو 'حكم الذي يعم ويعدل ولا يخص
ويتحير وهو 'الحكم الذي لو سئل فيه النبي سيد بني هاشم لأعاد فيه قوله
'عمر بن الخطاب معي حيث أحب، وأب معه حيث يحب، والحق بعدي مع عمر
ابن الخطاب حيث كن'.

عمر والصحابة



بأيع عمر فطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه
ومويع عمر فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه.

وقد تواترت أقوال الصحابة هي عمر بما يشيد بفصله ويشهد بقدره وبكبره
في أعين الناس أكثر - من تُقل فيه. لأن الذين قالوها أناس لهم خلوص راحه،
وأسنة صادقة، وعقيدة راسخة، وقبول لا تهاب أن تقول الحق هي بسنن.
ولكن، شهداء بين اثنين شهد بهما الواقع أدل على قدر عمر بين، صحابة من
كل مقل. لأن شهادته لو وقع هي لشهادة لتي بقولها الصادق باحتيائه
وبحاول الكذب أن يكذب فيها فلا يستطيع، وبم يحوز الصديق والكذب قيم
يمكنه الناس أو يملكه لشعوره، أما الشهادة التي بعمر عن نفسه بلعة الواقع
فهي قائمة من وراء كلام الألسنة ومن وراء هوى النفوس، ينكرها كإبكار
المحسوس الذي يقع عليه لأيدى ولا تعمض عنه العيون.

وقد انتهت مسألة الخلافة بعد النبي بسلام.

ولكن انتهائها بسلام لا يعنى أنها كانت سنيتهى وحده بسلام على نية
حال، ولا يعنى أنها انتهت لأنها من المسائل التي يؤمن فيها لخصر وتمتع فيها
الفتنة، إذ الحقيقة أن انتهائها على هذا النحو قد كان أعجوبة من أعاجيب
التاريخ، مع ما يحيط بها من نواعي الرغبات ومن كبر من الفوق والحواف على غير
سابقة تستقيم بها العرف ويوضح بها معالم لطريق

فما هم إلا من لحق السي بالرفيق لأعنى حتى تحفرت نواعي النزاع من كل
هيج، وتكشفت كبر من الفوق والحواف من كل مكمن، وحبل أعلم أسس كيف
سجلت العاشية ويستقر القرار.

فالأخبار يقولون إنهم أحق من المهاجرين لأنهم كثرة ومهاجرون قلة ولأنهم
في ديارهم والمهاجرون طائفة عليهم ولأنهم جميعاً عرب مسمون وبهم فصل
القائيد والإبواء.

والمهاجرون على قلتهم عبر متفقين على اتفاق مدعقد به الإجماع، وحجتهم
العالية أنهم السابقون إلى الإسلام ومنهم جنة الصدقة لأولين

وسابرت الأحاديث نحو آل بيت النبوة في الخلافة النبوية، وبين آل
رحل فوين هم على والعيس، لو أصعبا إلى هذه الدعوة ومصيا فيهم
لمحضت عن خطب عظيم.

ولكن هذه العصبية لم تكف دعة الخلاف حتى جاء أبو سفين يزيد
عصبة أخرى بالمفاحرة بين كبر القبائل وأصغرها في قريش، فدخ على عى
والعباس يثيرهما ويعرض عيهما البجدة والمعوبة، ويهت عى باسمه، ثم
بالعباس باسمه «يا عى» وأنت با عباس ما مال هذا الأمر هي دل قسه من
قريش وأقلها؟ والله لو شئت لأملأها عليه - يعى أب بكر - حبلاً ورجلاً
و حذبها عيه من أقطارها»^(١) فيجيبه عى بما هو أهله «لا والله، لا أريد أن
تملأها عليه حبلاً ورجلاً، ولولا أنا ربنا بكر لدك أهلاً ما حبيده وإيها»،
ثم يسغ من كرم الحيزة أن يؤبنا سفين من طرف حفى على سعيه فى هذه
لعصبة فيقول يا أنا سفين بن المؤمنين قوم بصحه بعضهم لبعض، وإن
اندفقير قوم غششة بعضهم لبعض، منخاوبون وإن فرت ببرهم وأد بهم»

ولم تكرر هذه لعصبيات كل ما هذلك من بواعى النزاع وكوامر القيق
والخوف فقد كن هذلك منافقون أسلموا وهم راعمون وكان هذالك صغفاء من
المسلمين يقفون على شفير^(٢) من الفتنة لا يستأن يضطرب تحت أقدامهم
حتى يهار، وكان هذالك أناس لا يتصرون ولا يخذلون، فهم إن لم يفسدوا فى
الأرض لا يصحون.

وبين هذه المخوف واسوارع نسهى مسألة لخلافة بسلام فيكون انهاؤها
بسلام عحوية لأعجب. ونسحت عن سر هذه الأعحوبة أو عن سرها الأكبر
فيعنيك فيها أن تذكر اسماً و حداً هم سم عمر بن لخطاب. إلى أب كان
تل الفتنة ديه لو لم يقف فى وجهها عمر وففته المراهوبة يوم سقفة»

سؤال يدلك عى سر تلك العحيسة قبل كل جواب فما عرف رأى عمر فى

(١) الرجل جمع راجل وقوله «أملأها عى من قطارف» يهتد بيه سبارله من كل ناحية وصوب

(٢) شعيرة كل شيء حرفة

البيعة حتى بصر الخلاف إلا ما لا حصر له. واطمأن من يوفى، وعلم من يخاف
أن خلافه لا ينفعه، واحتجعت كلمة على مبايعة أبي بكر أو شككت أن تكون كلمات.
قال أبو بكر لعمر ابسط يدك ذبايع لك.

قال عمر أنت أفضل مني. قال أبو بكر أنت أهوى مني
قال عمر إن قوتي لك مع فضلك، لا ينبغي لأحد بعد رسول الله ﷺ أن
يكون فوقك يا أبي بكر. أنت صاحب الغر مع رسول الله وثاني اثنين، وأمرك
رسول الله حين اشتكى فضليت بالناس، فأنت أحق الناس بهذا الأمر.

ووثب عمر فأخذ بيد أبي بكر، فنواث الحميع من عليه الصحابة يستدرون
البيعة ثم كان العد فجلس أبو بكر عني لنبر وتكلم عمر بين يديه يقول للناس
«إن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ
هما في العار، وأولى الناس بأمركم فقوموا هبى»

فكانت البيعة العامة، وتركت شجرة لحلاف لحفاف، فإن لم تدل لساعتها
فهي وشيكة ذبول.

بايع عمر فقطعت جهيرة قول كل خطيب.
وذلك قدر عمر عند الصحابة، وقدره عند أبي بكر، وقدره عند الله، تعي
شهادة السرائر فيه عن شهادة كل كلام.

وفي تلك الكلمات الموجزات التي تبادلها الصديقان العظيمان خلاصة نقد
القدسين وبحث الباحثين، وحكم التاريخ في أبي بكر وعمر وفي موقف الخلافة
من بديته إلى منتهاه.

قال عمر بك أفضل مني وقال أبو بكر إيك أقوى مني وقال عمر إن
قوتي لك مع فضلك

صديقاً عاية الصديق، وحاملاً غية المجاملة، وقضياً بالعدل والحكمة وإلخاء،
وترك التاريخ يقول ما يقول ويسهب ما يسهب، ثم لا يريد في فحواه كلمة على
ما ضمنته تلك الكلمات الموجزات،

ولقد كن من قوة عمر به كن بر حج أبي بكر في خلافته حتى يرجع عن
رأيه، وكان من فضل أبي بكر أنهم يسألونه مستشيرين والله ما ندري أنت
الخليفة أم عمر؟ فنقول هو لو كان شاماً

وكان هض أبي بكر وقوة عمر جمعاً لا يشد عنه مكسر، ومن شد عنه فما له من فصل ولا من قوة بفعنه.

بل كن الرجلان على اختلافهما في المزاج كأنهما رجل واحد يراجع نفسه بين الرأيين المختلفين، حتى يستقر على أحدهم فإذا هو رأي جميع لا خلاف فيه، لأنهما يصدران عن عقيدة واحدة، وينحها إلى عرض واحد، فهما غير مفترقين إلى أمد طويل.

وأعجوبة الأعجيب في هذا الأمر موقف الرحلين من لمشكلة الكبرى التي واجهتهما معاً بعد موت النبي بأيام قلائد، وهي مشكلة برودة ونكوص العرب عن أحكم الدين وحيرة الصحبة الكدر فيما يعامل به المرتدون.

وليس لعجب أن يختلف أبو بكر وعمر في مشكلة كبيرة أو صغيرة، وإنما العجب هو نوع هذا الخلاف الذي لم يتوقعه أحد فيخالف أبو بكر لأنه يجنح إلى الشدة والصلابة، ويخالف عمر لأنه يجنح إلى لين والهدوء ثم يتقيان ولا يتعارضان.

فأبو بكر يأتي إلا أن يحارب الذين منعو لركاة ويقوم مصرأ على قوه «والله لو منعوني عناقاً^(١) لقاتلتهم على منعها».

وعمر يقول له «كيف تقاتلهم وقد قل رسول الله ﷺ «أمر أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه، وحسابه على الله»

ويشارك عمر في رأيه جله لصحابه كأي عبدة لدى قل فيه النبي «إيه أمين الأمة». وسالم مولى أبي حذيفة لدى قل فيه النبي «إن سالماً شديد لحب لله». وأبس من هذه الطنقة في صحبة رسول الله.

ويعود أبو بكر فيقول «إن لركاة حق المال، وفيها نصيب بالحق» ثم يهيب بعمر «رجوت نصرتك وجئتني بحذلات» أجدر في لجاهلية وخوار في الإسلام» فإذا بعمر يثوب إلى شدته بعد أن أهرغ أمانة الرأي كما قال. «م هو إلا أن رأيت أن له شرح صدر أبي بكر للقتال حتى عرفت أنه الحق». وم أسهل أن يعرف لحق لمن يريد أن يراه ولا يعض عنه. أرجلان هنا مختلفان أم رجل واحد؟

(١) عناق معرة

قل هذا وبالحال فالقولان مستويان فثبت لا ينسب أن الرحلين المختفين
معهما لعقيدة الراسخة التي لا تفرقهما، وطالما جمعت العقيدة حيوشاً على
قلب واحد فضلاً عن رجلين.

وإنما كان يعيب عمر أن يعارض إذا كان في مسأله وجه واحد لا يحتمل
المعارضة بحال، فلما أن يكون لها وجه حر نسبه وشرح حخته فالتى بعينه
ويضير، لإسلام أن يكتم ذلك الوجه وإن يصوى عليه صامتاً في موقف السحت
والمشاوره وهو الناصح الأمين.

ومسألة الرده قد كان لها وجه حر غير الذى راصه أبو بكر رضى الله عنه،
وكان عمر خيفاً أن يرى ذلك الوجه لأحر لأنه موافق لمحمل رانه فى الحرب
والسياسة، فقد كان بطباً إلى الحرب كما عرفنا من عامة وصاياه، وكان أبطاً
ما يكون عنها إذا نشئت من العرب أو المسلمين وكان حشش لإسلام بعيداً عن
المسبة فى غزوة الروم لسي خرج بها أسامة بن زيد بعد قيام أسى بكر بالخلافة،
فالتريث إلى أن يستكمل الإسلام عدته ويسترحج لعائس من حده وجه غير
ضعيف، أو هو فى أقل الأمر وجه لا يحسن كتماناه عن الأمير مسئول.

وقد كان من عادة عمر أن يطبع صاحب التبعة متى وجبت الطاعة واستقر
القرار فلا ضير إذن ألا يألوه جهده معارضة حتى يتبين ماذا هو الرأى على
احتلاعه، ثم هو مسعد بقوة العربيه بأقصى ما استطاع.

ومثل هذا، مراح، معارضته قوة فوق قوه وحبر لا ضير فيه

وخلق سائر يفهمها على صوابها فى مسأله الرده فنعم بعد النظرة الثانية
أنها من دلائل قوته المعهودة وليست من قلت الضعف فيه، لأنه رأى الرأى فلم
يحجم أن يديه ويشرح حجته، جريئاً فيما رآه.

وعلى هذا، الدأب ظر عمر قوة لأنى بكر بمواقفه ومعارضته على السواء،
وأصاب فيما قال له يوم بيعه «إن فونى أب مع فضلك» فكسب لإسلام
خيفتين معاً بتقديم أبى بكر للخلافة لأنهم لم يعجب بالخلافة مأزماً غير حمة
، لإسلام.

ثم بويع عمر بالخلافة فبطل الخلاف إلا ما لا خصر فيه

عرضها عليه أبو بكر فقل « لا حاجة لي فيها ». فقل أبو بكر « ولكن لها بك حاجة يا ابن الخطاب ». وسأل حيرة أصحابه فقل له عبد الرحمن بن عوف هو والله أفضل من رأيك فيه وقال عثم بن عفان بن سريرته حير من علانيت، وإيه ليس فينا مثله وسأل أسد بن الحضير فقل « ألهم أعمه الحيرة بعدن، يرضى للرصا ويسحق للسطح، والذي يسر حير من الذي يعلن، ولن يسي هد لأمر أحد أهوى عليه منه ».

وأجمع المهاجرون و الأنصار على تركية عمر وتصويب أنى بكر فى مرشيحه، ولعلمهم لم يدكروا من مناقه إلا ما هو به أعلم وأحبر، فم يردده شاء المشى علماً بصحبته ولم يكر قدح لقادح ليحرف رأيه فيه، لأنه على عرفه بالديا وعرفه بالديس لا يحهل أن رجلاً كعمر من الخطاب فى حرمة وصدق له ينحو من معص، وإن يعصه أحد لما يعيه ويحول بينه وبين ولاية أمر المسلمين.

قال له وهو يعرض عليه الخلافة « يا عمر أبعث معص وأحبك محب وقدماً ببعض الخير ويحب الشر ».

وإن منهم لمن حدره شدة عمر وقلوا له « إيك كنت نأخذ على يديه ولا نطيق علظته، فكيف وهو خليفة؟ وما أنت قاتل لربك إذا سألك عن استخلاقه علينا؟ »

فبلغ الصبر بالرجل الصدور مداه، وأمر من حوله أن يحسوه فجلس، فقل لمن خوفوه لله وعمر « أدلك تخوفوني؟ خاف من يروى من أمركم بظلم أقول. اللهم قد استخلفت على أهلك خير أهلاً »

ولو شاء أبو بكر لقل إن ما خوفوه من شدة عمر لعصبة من فضائله التى قدمته عنده على غيره، فقد خاف عنهم لفنة، وكان أكبر حدره أن تجىء الفتنة من أولئك الأعلام الذين يتبعهم الطعم^(١) وليس لهؤلاء غير عمر يرهيبونه وينقون لفنة باتقائهم، فمن هنا وصاه فصره هؤلاء النور من أصحاب رسول الله ﷺ لذين قد انتفعت أجورهم، وطمحت أنصارهم، وأحب كل أمرئ منهم لنفسه وق له « إن لهم لحيرة عند رلة واحد منهم فرباك أن تكوبه واعلم أنهم لن يراوا من حذيق من حفت الله، إلك مستقيم من استقامت طريقته ».

(١) الطغام، جمع طغامة وهو الوعد

فالدین حدروه عمر إماماً رعووه فیه ولم یحذروه منه، لأنه أراد لهم من یخفونه ویستقیمون معه، فكانت سیئته عندهم حسنة عند أنى بکر، ورحاء فی صلاح أمر الأعلام والطغام

فلما اتفق مدح المادحین ونقد الناقدین على إیثار عمر بالخلافة فرع أبو بکر من مشورته وبرأ إلى اله دمته، ودعا بعثمان فأملى علیه «بسم الله الرحمن الرحیم. هذا ما عهد به أبو بکر بن أنى قحافة فی آخر عهده بالدنیا خارجاً منها، وأول عهده بالآخرة راحلاً فیها، حیث يؤمن الکافر ویؤمن الفاجر، ویصدق الکاذب إنی استحلقت علیکم بعدی...»

ثم أخذته غشیة فكتب عثمان «عمر بن الخطاب» ولم یترك الکتب حقاً من الاسم مخافة أن یدهب الموت أنى بکر فی تلك لغشیة فیج من یلج بالخلاف، وله شبهة یحوم علیها

وإیه لیکتبها إذا أفق أبو بکر فقراً علیه ما كتب، فکبر وأدرك ما وقع فی روعه فحياه ودعا له «حزاک لله عن الإسلام خیراً، والله إن کت لها لأهلاً^(١)...» ثم أتم الکتب.

ثم یومع عمر بالخلافة برجماع لم یعتقد احیفة قبله ولا بعده، لا أن تكون وراثتة فی دولة استقرت لها دعائم وثبت بها أركان فكانت شهادة من الصحابة والمسلمین أجمعین بما هو أنصق من الألسنة وقلوب، بأبديته لئى لا تکذب فی صادق ولا کتوب.

وحذر حذراً أن یندأ عمر خلافته وهذا رأى المسلمین فیه، وأن یختمها آخر الأمر ورؤهم فیه على اختلاف، إذ لحکم بخلق لعداوت، ویفتق أسباب لتباعد فی طنون والآراء، ویفتن صاحبه حتى یتبدل من حیث یرید ولا یرید فشهادته أخرى من شهادات الواقع و لنداهة أن عمر قد عارق لدنیا و لمختلفون فیه ینقصون، ولتفقون على حمده یزیدون، ثم هم یزیدون فی حمدهم إیه وثنائهم علیه.

بحر ریاد على عثمان فی خلافته بما بقى عنده لیسیت المال، فجاء ابن لعثمان فأخذ شیئاً من قضية ومضى به، فبکی ریاد.. قال عثمان ما یبکیک؟ قال أتیت أمیر المؤمنین^(٢) بمثل ما أتیتک به فجاء ابن له فأخذ درهماً فأمر به أن ینزع منه

(١) أنى إنک کت أملاً به

(٢) یعنی عمر بن الخطاب

حتى أبكى العلامة. وإن أبى هذا جاء فأحد ما أحس، فلم أر أحداً قال له شيئاً. قال عثمان: «إن عمر كان يجمع أهله وقراءته بنعاء وجه الله، وإن أعطى أهلي وأقربائي إبعاء وجه الله وإن تلقى مثل عمر، لن تلقى مثل عمر».

وبكى على يوم موته فمسئل في بكائه فقال «أنكى على موت عمر إن موت عمر ثلثة^(١) في الإسلام لا ترتق إلى يوم بقامة». وقال عبد الله بن مسعود «كان إسلامه فتحاً، وكنت هجرته بصرأ، وكانت إمارته رحمة».

وقال معاوية يوازن بين الحلفاء «أما أبو بكر فلم يرب الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرأته الدنيا ولم يرده، وأما نحن فتمرعنا فيها، ظهراً لبطن» وقال عمرو بن العاص وهو يحدث نفسه «لله در ابن حنمة - أي امرئ كار».

ولم يقل فيه قائل راصٍ ولا ساخط إلا شاء كهذا الشاء، بعد خلافة طويلة له خرج منها بنصف الشاء لأدنى على الأمل في نصاف بني الإسلام

ورعى عمر قدر لصحابة والتابعين كما رعى قدره إلا أنه كان مفضلاً في هذه كما كان مفضلاً في جميع محامده وحسناته، فإنه رعى أقدارهم وهم مستطيع لا يرعاه وقليل منهم من كان قدر أن يعمل غير ما عمل ويقو في غير ما قال.

جمع منهم مجلس المشورة لا يبرم أمراً ولا يقضه إلا بعد مذاكرتهم والاستئناس بصيحتهم وسابق علمهم من ماثورات لنبي وحديثه

وارتفع بهم أن يكونوا أتباعاً له فجنبيهم ولايه الأعمال قانلاً لم راجعه في ذلك «أكره أن أدنسهم بالعمل^(٢)»، فسبق الدستور العصرية بحسن تقسيمه وصادق حدسه وتدييره هم مجلس لامة وليس لأحد من مجلس لامة أن يسي عملاً من أعمال لحكومة فهما في الدولة وظيفتن لا تجتمعان.

وقدم صغرفهم على أعظم لعظماء من رعرس القبائل وقروم^(٣) الحزيرة العربية فحضر به سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وأنو سفيان بن حرب في جمع من السادة بنقطع بدهم بين الكبريين^(٤)، وحصره معهم صهيب ويال

(١) الثلثة لصل، ورتق لثمة إصلاحه

(٢) يعنى بالعمل هنا بولاية والحكم، أم العمر بلائاج فقد سبق أن عرفنا رأى عمر فيه

(٣) القروم جمع قروم وهو اسد، (٤) أي ليس لهم مثيل بين السادة الكرام

وهما مويين فقيرين، ولكنهما شهدا بدرًا وصحبا رسول الله، فأتى لهما قسر عليه
 انهم. وعصب أبو سفيان فقار لصاحبه لم أر كاليوم قط، يأتى لهؤلاء العبيد
 ويترك علي يابه؟ أما صاحبه فكان حكيما فقل أيها لقوم بني ولله أرى الذي
 هي وحوهم. إن كنتم عصاة فاعصوا عني أنفسكم، دعي لقوم - إلى
 الإسلام - ودعيتكم، فأسرعو وبطأنم فكيف بكم إذا دعو يوم القيامة ونركم؟»

ولو غير عمر بن تقدم عنده صهيب وبلال، ولا آمن أن يعضب عليه أبو
 سفيان وسهيل.

لكن الحق فوق كل قدر عند هذا القسط الذي يعطى كل ذي قدر قدره
 حيث ينبغي له من تقديم وتأخير، فيقسم من يقدمه عمه ويؤخر من يؤخره عمه،
 ولا عليه من غضب الغاضبين ولوم اللاتمين.

فبذلت الناس إلى عرو العرق فنادى إليه أبو عبيد بن مسعود، وتحف من
 حصر الدعوة من الصحابة ولاد قسرتهم وأنى أن يوليهم رجلاً من السابقين من
 المهاجرين والأنصار وأجاب من راحعه قائلاً «لا والله لا أفعل، إن الله إنما
 دفعكم بسبقكم وسرعتكم بني النعمو فإذا حسنت وكرهتم لقاء فأوى دارنسة
 منكم من سبق إلى الدفع وأحب إلى الدعاء، والله لا أقدر عليهم إلا أوتهم أستاذاً»،
 ثم دعا معه بن عبيد وسيط بن قيس فأبلغهما «إنكما لو سبقتما
 لوليتكما» والنفت إلى أمير الجيوش لدى إحصاءه فقال له «سمع من أصحاب
 نبي ﷺ، وأشركهم في الأمر، ولا تحبوا مسرعاً حتى تتبين فإب الحرب»
 هذا ما استحقوه، فلا رجحان لهم إلا بالحق، ولا رجحان عليهم إلا بالحق

ومن الحق الذي له ترجحان عليهم حق الأمة جمعاء، وحق لأمن الذي نعم
 الدولة ويوطد أركانها، فإذا خيف على الدولة من بعضهم فأمان لدولة معضل
 عليهم، وحققها لأكثر معدم على الكبير من حقوقهم، فربما حسسهم في المدينة لا
 يسافروا منها إلا بأس وإلى آخر محافة منهم على الناس ومحافة عليهم من
 اندس، ويستأنه أحدهم في غزو الروم والفرس محتجاً بسبق بلالته مع رسول
 الله ﷺ، فيتحد من سابق هذا لئلا حجة عليه يدوده بها عن السفر، ويقول له
 «إن لك في غزوك مع رسول الله ما بكفت وتسلط، وبحسنت، وهو خير لك من
 الغزو اليوم، وإن خيراً لك ألا ترى الدنيا ولا تراك»

على هذا الوجه وحده يسعى أن يفهم كل علاقة كانت بين عمر وبين أحد من كبار الصحابة والتابعين، فهو الفسطاس الذي لا يحور، وكأنه لا يعرف لحور أو شاء.

بل على هذا الوجه وحده يفهم كل علاقة بينه وبين أحد من عامة المسلمين، فلكل رجل ولك عمل حقه، ولا ضبر على أحد أن يتأخر قدره ويتقدم عمه ولا ينفع أحد أن يتقدم قدره ويتأخر عمه فكل عمل وله حساب، وكل قدر وله كرامة وأكبر الصحابة حليق أن سر منزله المروسيين من سبهم إلى العمل الدافع وأنصهر لندس حليق أن يبل جرء الحسن بما استحقه، وكل قسطاس غير هذا الفسطاس هبما يفارقه لحكم لصلح أو لحوف، ولبس هد ولا دال سببين إلى عمر لأنه عدل ولأنه لا يحاف، وإد وقع ما بحقه غيره فهو ضليع بالسنعات^(١)

على هذا الوجه وحده يسعى أن يلمس التأويل في محاسنات عمر ومعاملاته، وإد وقع منها ما يحتاج إلى تأويل، وقيل هي محاسنات عمر ومعاملاته ما يحتاج إليه، لأنه كان بحسب نفسه فمن أر بحسب غيره، وحسبته لنفسه اعسر من حسابه للآخرين

ففي جميع محاسناته لبقابة والولاية من كدر لصحابة لم توصل مسألة هي موضع تناويل لكثير والمتاعشة الخدمة^(٢) كما وضع مسئلة خالد بن الوليد رضي الله عنه

ولا يعقل أن تكون هذه المسألة شهوداً عن حصته مع جميع الفداه والولاه، لأن الذي صعبه فيها عمر هو أني كن منبصراً أن يصعبه سوء كن لغائب حاد أو كن رجلاً غيره وهذا أني بنفي الشهود والحيث و يبقى المعمله الخاصة التي تكيل لندس بكيلين وترن لهم بميريين، ونظر إليهم سطرقتين مختلفتين

عزل عمر حالداً وهو سيف الإسلام وبطر الحريرة والشم، وإد كن لاند لحالد بن الوليد من عرب أو فاض عدل فلن يكون غاربه وهصبيه عبر عمر من بخطاب، هو على قدر عزله فلا مراء، وهو قدر كثير.

(١) صبح بالسنعات، تدبر عليها

(٢) لخدمته بفعل خدمته لشمس و لندس ي اشتد حرف عليه، حثمت اسراء شد حرف ومنه احتسب حذافته

فقال أوس إني مدفنة الد لسد و شبيهه لشبيهه، وقال أناس عزله لعير خطأ أنه، وقال أوس إني نره^(١) هديمة ولولاها لما كان الخطأ الجديد بمستوجب عزله وحرمان لسمين من أسه وجهاده.

والدين ضوا هذه الظن لهم شبهات من ظواهر الأمور تحيلهم لهم وتقربها إلى حدسهم لأن المشابهة بين عمر وخد كست مشبهة خلق وخلق توحى الطن بالتنافس والملاحاة، وكانت مشبهة خاد لعمر في خلقه تلتبس على بعض الناس فيكمون عمر وهم يحسبونه خالد بن ولید.

فمن شاء أن يخط بالطن فله أن يحسب أن عمر قد عزله لعير سبب يستوجب عزله، لأن عمر نفسه قد صار على القائد الكبير كرامته وأمسك عن الخوض في أمر عزله بعد الفراغ من ضجته الأولى، وكتب إلى أمصار يرثه من الحياة ويعلمهم «أنه لم يعزله لسحطة ولا خيبة، ولكن الدس فتوا به». قال «فخشيت أن يوكلوا به ويبتلوا، فأحببت أن يعلموا أن الله هو لصانع، وألا يكونوا معرض فتنة». ولما سأله خالد في ذلك قال له «إن الناس اغتسوا بث فخفت أن تفتن بالناس».

فمن شاء أن يحسب بالطن قد فقد حصص م شاء وله شبهة فيه، ولكنه لا يرجع إلى الوقائع من قدمها وحديثها حتى تسقط شبهاته بين بدنه، ويوقر أن عمر لم يحسب حالداً بميران غير الذي حاسب به جميع لقادة والولاة، وأن المدهش الحق أن سقيه في الولاية ولقيادة بعد ما أحده عيه لأنه حينئذ يكون قد وزن بميزانين وكال بكيتين.

والذي أخذ عمر على خالد يرجع بعصه إلى أيام النبي عليه السلام، وبعضه إلى أيام أبي بكر رضي الله عنه، وبعضه إلى أيامه، وكله مما يصح أن يؤخذ به في موقف لحساب، وإن كن الذي حدث في أيام عمر وحدها كافياً لما قضاه في أمره.

عفى فتح مكة نهى رسول الله حالداً عن القتل وقتال وقال له وللربير لا تقاتلا إلا من قتلكما». ولكن خالداً قاتل وقتل نيف وعشرين من قريش وأربعة بع من هديل، فدخل رسول الله مكة فرأى امرأة مقتولة فسأل حنظلة الكاتب

(١) النرة لشر

من فتلها؟ قال: خالد بن الوليد.. فأمره أن يدرك خالداً فيدهه أن يقتل امرأة أو وليداً أو عسيها^(١)، ويعث إليه من يسأله ما حملت علي ثقل؟ هاعنتر بخصاً الرسول^(٢) في بطلعه وشهد الرسول عى نفسه بالخطأ فكف عنه.

ثم بعث رسول الله خالداً إلى بني جذيمة د عياً إلى الإسلام ولم يدعته القتال وأمره ألا يقاتل أحداً من رأى مسجداً أو سمع ذاتاً، ثم وضع سو جذيمة السلاح بعد جدل بينهم واستسموا فأمر بهم خلد فكتفوا، ثم عرصهم على السيف فقتل من قتل منهم، وأفلت من لقوم غلام يقال له السמידع حتى اقبحم عى رسول الله وأحبره وشك إليه، فسأله رسول الله هل أنكر عليه أحد ما صنع؟ قال: نعم. رجر أصفر ربعة^(٣) ررجر أحمر صويل وكان عمر حاضراً فقال أب والله يا رسول الله أعرفهما أم الأول فهو أبى وأما الثانى فهو سالم مولى بنى جذيمة، وظهر بعد ذلك أن خالدً امر كل من أسر اسيراً أن يضرب عنقه، فأنطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبى جذيمة أسيرين كان معهما . فرفع رسول الله يديه حين علم ذلك وقال: «اللهم إنى أنرا إليل مم صنع خالد».. ثم دعا على بن أبى طالب وأمره أن يعصد إلى القوم ومعه ابن وورق^(٤)، فودى^(٥) لهم الدماء وعوضهم من لأموال.

وعى عهد أنى بكر رضى الله عنه وحه خالداً إلى بعض أهل الردة يدعوهم إلى أحكام الإسلام أو يقاثلهم حتى يثوبوا إليها فعرم على اسير إلى مالك بن نويرة ولم يأمره الخليفة بالنسير إليه، وأحجم لأبصار ينتظرون أن يكتب إليهم الخليفة بما يره وقال خالد قد عهد إلى أن أمضى وأن الأمير ولو لم يأت كتاب بم رأيته فرصة وكنت إن أعلمت هاتنى لم أعمه وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس فيه منه عهد إلينا لم بدع أن نرى أفضل ما يحضربا ثم بعمل به فأب قاصد إلى مالك ومن معى من المهاجرين والتبعين وست أكرهم..»

ثم حاغته الخبل بمالك بن نويرة فى نفر من بنى ثعبنة بن يربوع فاختلفت السرية فيهم، يشهد قوم أنهم أدبو وأقامو وصوا ويشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شىء، فلما اختلفوا فيهم أمر بحبسهم فى لية نارية، وأرسل فيما قير

(١) لفسف لأجير (٢) يعى لرسول اسى حمل رسالة رسى عنه لسلام إليه

(٣) ربعة معتدل لجسم (٤) لورق بكسر الراء، المال من اسرام.

(٥) ودى أعطهم النية وهى المال يعطى لأمل لقتيل بدل لنفس

منادياً يسارى أذهبوا أسراكم فظن لهم أنه راد قتلهم.. لأن إهداء الأسرى كفاية عن القتل فى لفهم.

ويرى أن مالكاً قال لخالد استأبى أبى بكر فيكون هو الذى يحكم قيت فلم يحسه خالد إلى طيبه وقال له لا أقالى الله إن أقلتك. وتقدم إلى ضرار بن الأزور بصرب عنقه وتزوج بامرأته فى الحرب، وهو من بكره لعرب وبغيره. وقد أسغ الخبر عمر بن الخطاب فقبل لأبى بكر بن سيف خالد فيه رهق^(١). فاعتذر له أبو بكر بأنه «تأول فأحطاً»، ويرى مالكاً واستدعى خالداً إليه

قدم خالد مدحلاً لمسجد وعليه قباء وهى عمامته أسهم عربها للمباهة، فقام إليه عمر فزعمها وحطمها وقال له قتلت مرأً مسلماً ثم مروت على امرأتها؟ وله لأرحمك بأحدرك!

وكان أبو بكر رضى الله عنه هم بعرب خالد لاستنشاره بتصريف المال الذى فى ولايته فسأل عمر من يخرى جرءاً^(٢) فهدى عمر نفسه ليخفه إن لم يكر بد من ذلك، وبحر عمر حتى أبيع لظهر فى الدار، بولا أن مشى أصعب رسول لله إلى أبى بكر يوصيه أن يحفظ عمر لحاجته إليه، وأن يبقى خالداً فى ولايته لحاجته إليه، فعمل بما أشارا

ذلك ما كان فى عهد ألتى وتى بكر، هما يبيع عمر كنب إلى خالد أن يراحعه فى حساب المار ولا يعطى منه ولا بغيراً إلا بأمره، فحماه إلى ما حرى به العمر قبله، وكن قد أجاب أبى بكر بكلام مقتضب قل فيه «إما أن تدعى وعملى وإلا فشتك بعملك» فلم يصفها عمر وقى. «ما صدقت لله إن كنت أشرت على أبى بكر بأمر هم أنعمه».

وقد أرمه منه أنه وهب الشاعر الأشعث بن قيس عشرة آلاف درهم، ونمى الأمر إليه كما كنت تسمى إليه أحبر لولاية و تقوار من عيونه وأرصده فكب إلى أبى عبيدة أن يحسسه على هذه لهنة «فإن زعم أبى من إصابة أصابه فقد أقر بالحياة، وإن زعم أبى من ماله فقد أسرف».

وقد أبى خالد أن يحب فى مبدأ الأمر فاعتقله أبو عبيدة بعمامته كما أمر

(٢) يعنى من يقوم مقامه ويكون فى مثل كفايته.

(١) الرقيق الظلم والمصنف رابطحاً.

عمر، وبرع منه فلسفته في موقف الحاسنة حتى قال إنها من ماله فقوم عروضة وضم ما زاد منها إلى بنت ابل، وقال له عمر يومئذ «يا خالد والله إنك على الكريم، وإنك إلى الحبيب، وإن تعبتني بعد اليوم على شيء».

ولم يعزله عمر دفعة واحدة على إثر قيامه بالخلافة كم جاء في بعض الأخبار، لأن سم خالد كان بين أسماء لشهود على عهد بيت المقدس بعد فتحه، والارجح ان في تاريخ الفصح خط وقع فيه بعض المؤرخين ومنهم ابن الأثير، فكتب عن عزل خالد في أخبار أسنة اثنته عشرة لهجره ثم ذكره في أحدر السنة «سابعة عشرة»، وأورد في الموضوعين أقوالاً مشبهة.

ثلاث حملة المأخذ أنى اخذها على خالد من عهد النبي عليه السلام إلى عهد خلافته، وما من أحد يعرف عمر ثم يبرح له أنه أنكر من خالد شيئاً كان يقبله من غيره، وأنه نصب له ميزاناً عبر الموارين التي يحاسب بها القواد و لولة وكل صاحب عمل مسئول، فرأى عمر في إكراه هذه المأخذ معروف من بداية أيامه، والذين لزموه وآدبوا سنده ينكرونه مثله ولو كانوا على البعد منه، كم حدث من أنه في بعثة جنيمة حيث أنى على خالد بطشه بمن أوثقهم وعرضهم على السيف، ثم أنكر النبي عليه السلام ما نكره واستنصب ما استنصوه

فعمر كن يكره الإسراع إلى الفئال ويوصى قواده حمباً بالترث فيه، وربما سعى بقائد لمعور عن القيدة وهو كفؤ لها لأنه يعجز باقتل كم قال لسلطان قيس «لولا أنك رجل عجل في الحرب لوليتك هذا الحيش، ولحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكث».

وكان يتحرج عاباً الحرج أن يستريح بم شيء أو مشكوك فيه، وتقدم في هذا كتاب أنه لام أناس من أصحابه لأنهم قتلوا رجلاً ارتد عن دينه، وقال لهم «هلا سقتنموه وحسستموه». وتبين من رأه في أهل لردة أنه كان يؤثر اليهود ولا يستتبه على القتال، فإن كان قتل فلدني لا حسة فيه ولا محيص عنه، فإبكاره لمقتل مالك بن نويرة ونسجسته هو ربه لذي لا شهود منه، ويضاف إليه إكراه الباء بمرته^(١)، ووقع البناء بها في أثناء المعركة، وهو أمر لا يفرد عمر بكرامته و تنقاده، بل تكرمه العرب عامة، مسلمين وغير مسلمين

(١) الباء بمرته انبوج منها

وكان عمر بحسب جميع لؤالة أذى حساب يكتب عروصهم^(١) قبل ولائهم، ويسألهم فيما فشا من طري أموالهم، ويأمرهم إذا عادوا إلى أهلهم أن يدخلوا المدينة بهاراً لينكشف ما عادوا به إليهم، ويقاسمهم كل درهم يربى^(٢) على محسوب من أرائهم ويجري على نسبة مع كل رجل وكل عمل ذى أمانة فم يستثنى منها أحداً قط، ولم يعرف ولا قط سلم من مصادرة أو حسب عسير

فأذى صنعه خالد حين أنكر «سرعة هجمات» وشدة صدماته» سنة عمره لا شئوذاً فيها، ولدى صنعه حين حسبه على هباته وتوزيعاته سنة عمره كذلك لا شئوذاً فيها، ولو أنه صنع غير هذا الصنيع لقد كان ذلك هو الشئوذاً المستعرب الذي لا يقع من عمر بن الخطاب خاصة، لأنه لا يحب ولا يفرو في المعاملة ولا يبالى عصب قائد كبير ولا والٍ قدير وليس يحب أن يقل رجل من الرجال لا على عهد لؤالة الإسلام هرب كان شيوع هذه العقيدة أخطر على الإسلام من عزل والٍ مظلوم أو لؤالة مظلومين.

ولا ننسى الأمانة الكبرى التي هي أكبر من أمانه الرفق باللؤالة والعدل في محاسبة العمال، ونعني بها أمانه الدين واللؤلة أو ما نسميه نحن هي «يما» «بالسببة العليا».

عمر لا يتركنا تفسر أعماله هنا باجتهادنا في فهمها وتأويلها على ما نراه، بل يصرح للناس فيها بما يعيهم عن التفسير ولأويل.

فكان يرعى في شئون اللؤالة الكبار ولقواد المشهورين أمرين يحيزان له عزلهم، ولو لم يقع منهم ما يوجب المؤاخذاة.

أحد هذين الأمرين أن يعتن بهم الناس فيفتتوا هم بانفس، كما قال لحالد بعد عرله وال خوف في هد الأمر من القائد لكفاء أعظم من الخوف من قائد صغير لم يبل أحسن البلاء ولم تتساير بذكره الأثناء، فليس لهد، حطر في بقاءه كحطر القائد الكبير.

وحطته هنا عامة لا يخص بها وائياً دون ولا قائد دون قائد

فلما عزل زياد من أسي سفيان عن ولاية العراق سأل زياد لم عزلتني يا أمير المؤمنين؟ العجز أم خيانة؟ فقال له لم أعزلك لوأحدة منهما، ولكني كرهت

(١) العروص الأمعة.

(٢) يربى، يزيد

أن أحمر فض عقلت على الذس. وقديماً قال فيه عمر لو كان قرشياً لساق لعرب بعصاه. فاحيطة منه وفق رأيه فيه.

وقد كان من خلق عمر أن يقدم الحصر ويأخذ الحيطة ويطلب الروية ثم يحزم دارأى لستد في غير إبطاء، ولهذا كان يكره ولاية أرجس الفحور وينهى عنها في حالته وقبل خلافته، فأشار على أنى بكر ألا يولى خالد بن سعيد وكلمه في عزله لأنه رجل فحور يحمل امره على المغالبة والبعضب، فعزله أبو بكر كما أشر.

فإذا اجتمع لعمر هذ لسبب من أسبب السياسة العليا إلى المآخذ النى أبكرها على خالد فلا جناح عليه، ولا محل للشك والظنة فى أسبب عزله.

لقد رنى زهو خالد بالنصر والعلب قبل أن يفتح الشام ويسبق بالشهرة أنداده من لقود، رأى ذلك يوم عاد من حرب شهر الردة فدخل المسجد وهى عمامة السهام وراه يوم ستقل بيت المال فى ولات على عهد أنى بكر وعى عهده، وراه فى أمور كان ستدئها ولا ستأذن فيها، وراه مم بحس ولا يلمس ومما بقدر ولا بسطر، «إذا أشفق أن بعتن بالناس كما افتنوا به فلا جناح عليه».

وثانى الأمرين الذين يدخلان فى تقديرات سياسة العليا ويجيران العزل فى غير جريرة ظاهرة أن يصبح القائد ضرورة لا عى عنها لتسيير الجبوش وفتح الفتوح، وأن يعزى إليه النجاح فتتحال العرائم وتصغر أقدار القادة بونه، وأن تعطم العقيدة فيه فتضعف العقيدة بالله، ويحسر الجيش بذلك أصعاف ما يحسره بأقصاء قائده ولو لم يكن له نظير

فإن كان له نظير كما تبين من اختيار عمر لقواده فى كل ميدان فلا خسارة هناك، بل هو كسب العقيدة وكسب قائد جديد وإذا كان اليوم الذى ينتفع فيه بالقائد المعزول هو فمين ن يفع ما بقيت فيه بقية من صلاح وحير

وبعويل عمر على العقيدة أمر بعزوه إلى كل شىء فنراه فيه على صواب: تعزوه إلى بابه ذلك فهو فيه مصيب، وتعزوه إلى حسس سياسته فهو فيه مصيب، وتعزوه إلى تقديره لواقع فهو فيه مصيب فكل أولئك كان خليقاً أن يرجح كفة بعقيدة عنده على كل كفه، وأن يوحب عليه استبقاها قس كل استنف، وألا يراى بالناس يذكرهم ما ذكرهم به حين كتب إلى الأمصار بعد عزله خالداً «إن الله هو الصابغ، وألا يكونوا بعرض فنة».

وبو ان رتبنا لحاله غير عمر بن الخطاب في إيمانه المكين، لما هاته أن نعم
بين كانت قوة المسلمين ومع كان انتصارهم في جميع الميادين ولا فاته أن
يستبقى هذه القوة بكل وسيلة وأن يهنيها بجمع ما في يديه تلك قوة لعقيدة
لا مراء، بن ضاعت فلا عوض عنها، وإن بقيت فلقيادة عوض كثير

فكيف بعمر بن الخطاب الذي يؤمن بهذا إيمان تسليم كما يفكر فيه تفكير
سياسة وتدير؟ لئن بسى ذلك فهو الحقيق بالوم عى نسيابه، ولئن ذكره
فقتضاه ذكره أن يعز حالد بعير حريرة لما كن عليه من لوم وهو كما رأنا
مع يعرله لعير جريرة، أو لم يكن حسابه له مختلف عن حسابه للفاة والولة..
وقد كان أبو بكر نفسه - وهو من أبى خالداً - يسمح بعض الحظر من افسان
لنفس به حين قال: أعجزت النساء أن يشتر مثل خالد

ويؤكد تعويل عمر على العقيدة في كل محاح وساده كل فشل إلى ضعفها
والترخص فيها أن الحش الذي عرا مصر نصاً في فتحها فالتمس عمر علة
ذلك في ضعف نباتهم وكتب إليهم يقول: «عجبت لإبائكم عن فتح مصر
بقاتلونهم مدد سنين، وما ذاك إلا لما أحدثتم، وحسبتم من لاي ما أحب
عدوكم، وإن لله تارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق بياتهم».

فخطرت في عزل خالد هي البضرة لعامة التي لا تخصيص فيها لرحل ولا
لعركة ولا لمكن، وتقدمه لعقيدة على كل عدة من عدد البصر هو الحطة لني
حرى عليها هي مراقبة القادة ومراقبة الحوش وتدير عدد البصر وتحيب
لمسلمين مازق الحدلان وهل أخصاً هل كنت منه حساسة إيمان ولم يكن روية
تفكير؟ هل يرى غير هذا الرأي بامد عسكري من أعداء الإسلام لو بحث في
الأمر وبعد إلى حقائق الأسباب؟ كلا، بل هو صدق لرأى وصدق لإيمان معاً
مقترين، لا يشير هذا يعير ما يشير به ذاك

وبو من هذا من أسباب «السياسة لعنا» بحير لعمر ما استنصره من عزل
خالد من القيادة والولة، ولا سيما بعد ما أحد عليه ما أحد، ويعدم علم
الناس أنه لا سامح أحداً هي أمثله هذه المحدث وما ناله بسمع خالد فيها؟
إنه بن لصانع البصر الذي لا عنى عنه، ومن الحظر الأكبر الذي بحثه لعد
حق عى الجند وعلى الدولة، ولعد حق معه حطر خر لا يقن عنه أن بسكن

الدرس إلى النهره في الحسب، وأن يألوه ما بعث به من العبد من العرس
ولأقطاب، دون الأتباع والأدباب.

ومسألة أخرى يجب ألا يعفل عنها الرحن العصري وهو ينظر في عزل حاله
للأسباب التي قدمت أو لأي سبب غير ذلك أن حقوق الولاية في عصرنا
غير حقوق الولاية في عصر عمر على النحصيل وهو العصر الذي بدأت فيه
تجربة الولاية والعمالة في دول الإسلام

فالولاية في عصرنا مركز يستحقه موظف الحكومة بعد مراعاة صوابه ودراسة
خاصة و استعداد مقصور على صنف من المرشحين لها لم يشركهم فيه طائفة
أخرى، وكأن صناعة العمر التي لا يحتمل عمر الإنسان تجديد صاعتي
مثلاً هذا قبل أن ولنا عزل في عصر فكأننا نقول إن نحرراً صوابه ماله
أور رعاً قبل بيته وبين ررع رضه ومصادرة من هذا الفيس حري أن تنفس
لها أسباب من قبلها هي الرجاحة والإقع

غير أن ولاية في عهد عمر لم تكرر كذلك نوحه من الوحوه ولم يكن
لصاحبها مثل هذا الحق الذي صطلح عليه وإن لم ينص عليه القنون، وإنما
كانت تجربة ارتحالية بتساوي فيها جميع الصالحين من المسلمين لا تنقص
بها صناعة العمر ولا سابقة الاستعداد و لمائة نصح أن يعرف الولي لأسباب
تهور من نسب الأسباب التي قدمها في الرجاحة والإقع ويصح أن يكون
للعزل معنى المدونة في مدة متساوية بين جميع المسلمين

«سه در «ابن حنمة»... أي رجل كان!»،

كلمه قالها . حر يعرف الرجال قالها عمرو بن ، لغرض وكأنه لم يكن بود أن
يقولها له لا أنطقه بها لإعصاب يدي لا يحدى فيه كتمان

وهي كلمة يقولها الباضر في سيره عمر كلف وقف من أحضاره موقف الباهر
الذي يبحث عن لخطأ قبله حيث بحث عنه عسيراً جد عسير أي رجس كان
هذا الرحن؟ أي عدل كان عدله؟ أي قسط كان قسطاسه؟ أي حساب كان
حسابه لنفسه؟ وأي سبيل للنه إلى رحن كان يحاسب نفسه هذا بحساب؟

وربما خلت لأمرحة أو مختلف تركيب العقول والأدب من فعل في ذلك ما
شاء، وقل في خلايق عمر ما شاء، فمر هي أشده و لصرمة، و قل هي

لخشونة و لصلاية، أو قل هو سيدن الصعب وقرط العيرة على انحق في عالم
سبكثر فيه مصابغة الحقوقي ويسعظم فيه تكلف الصواب.. من ما بدد لك من
ذلك وادهب ما شئت أن تذهب فيه، فبك لا نعطي المراج حقه ولا تفرص له
فرصه حتى يحار بعد ذلك في سبب اسعد أو علة خلاف، لأنه لا يرول أمراً
إلا وهو صواب لا محر فيه لسوء الطوية من وجهة ذلك المراج.

كما بقرأ عن عرل حاله ما تنفق قر عه من هذ وهدك، وكنت نستمع إلى
الدين يربويه إلى المناقسة والتناظر فتجيز هدا ولا نمنعه أو يرى فيه مثلاً من
قدر عمر ومنقصه تغض من عجاب بمرايه. لأنه قد يعر من خالد ويعزله لغير
جريرة ويبقى له بعد ذلك قدره الحليز وأثره مصحح في تزيح لإنسان.

وفي عصرت هدا رأيت أنصلاً خدموا أقومهم، ثم بلع من ضعنهم على
مذافسيهم أنهم قتلوهم، وهم يقنعوا بيقصاتهم عن الحكم ولا بمحاسنتهم من
يدى القضا.. ثم نصب الماقدون لهم موازين النقد فأسقطوا لسيئات من
لحسنات، وقررو قتر أفراد يرحب أمة، فبقي لأولئك الأبطال حقهم الحال في
لثاء والتعظيم وإد بلع من صواب عمر أنت لا تحصي عليه خطأ غير عرله لخالد
وما حري محراه، فما أكثر هذا صواب على لأدعي وإن كان من أعظم العطاء.

بدأت بقرأ عن هذه القصة وفي حللنا هدا الفرض الذي يحملنا على
ستيعاده وعندنا أنه خطأ يكرر إلى جانب حسنات، فلا صبر أن يكون له
موصفه في جانب تلك الحسنات.

ثم بقرأ كل ما تسي لب أن بقرأه في هذه القصة فلا تزال يستعد الخطأ
ويستبعده، ولا تزال كلمة امن لعاص تعود إلى أساسا وتعود، حتى نصفا بها
كف هي، وغفر الله لابن العاص.

وهكذا كما نصنع في كل خطأ سبب إلى عمر وتواتر على السماع دون
تمحيص واستقصاء فلا تزال بنا الوقائع حتى يثبت بطلانه من أساسه، أو
يضعف سنده ضعفاً لا يبيح الاعتماد عليه، إلا لمن يتجنى ويتمحل ذرئع اسعد
ودعوى التخطئة والعيب.

كلا.. هذا رحل لا يسهر نقده، ولا يباثي لإنسان أن يحاسبه كما حاسب هو
نفسه، وإن يقع الخلاف بين النصف وبينه إلا على أنه خلاف في لأمرجة

وبركبت العفول والأيدي فبدأ وضع هذا موضعه من التقدير فأعسر عسير بعد ذلك ن ثلومه على خطأ وأن يحصى عليه خطأ فيه من سوء البنية بصيب.

فلذى حصل ولذى كان متوقع حصوله ينبغي أن الصه عن مروءة عمر وإبصاره هي قضية خالد بن الوليد، وقد حكم فيها بما وجب عنده، وانتهى كل شيء بعد ذلك في هذه القضية بانتهاء العرض منها في مصلحه الدولة ومصلحه السياسة العليا. لا موضع فيها لحزبات النفوس وصعائر المناقسة وما نجر إليه من لغو المشاكسة وفصول الكلام.

قال لخالد إن تعبت على في شيء بعد اليوم. ثم أمسكت عن الحوض في قضية إلا أن تثر في معرض عام، فيشير إليها حيث تثر على سبيل الاعتذار ويقصد ما شاء له كرم الحقيقة أن يسمع من حلام الأقربين والمشابيعين وإن غلطوا في المقال، على ما كان له من هيئة نرد الجامع وبخيف من لا يخاف.

قال من خطبته بإجابة إني أعتز إليكم من عمر خالد بن الوليد، هي مرة أن يحسن هذا لعل على صفة المهاجرين فعصى في الناس ودا الشرف ود اللسان فبصدي له أبو عمرو بن حفص بن المغيرة وحابيه بكلام غليظ يقول منه «والله ما أعذرت يا عمر ولقد نزع علاماً استعمه رسول الله ﷺ، وأعمدت سيفاً سله رسول الله ﷺ، ووضعنا أمراً بصبه رسول الله ﷺ، وقطعت رحمًا وحسدت بني العم..».

فما ربه عمر على أن قال وهو يعمره «إنك قريب لقربة، حديث السنن، تعصب في ابن عمك».

ولم ينس أن يصور للرحل اسمه ومعرله هي أمصر المسلمين، فكتب ما ألمع إليه أنف مدحصر عنه سمعة لعجز والخيانة، ويجعل العزل لفضيلة فيه لا قصور منه ولا لتثريب عليه.

وعم بموته فشد حزنه عليه واسترجع^(١) مرراً ونكس رأسه وهو بكثر من الترحم عنه، ثم قال كن والله سداداً لحوار العدو ميمون لقبته

ولم يهمه أن يذكر صوابه أو خطئه في عزله بمقدار ما أهمه أن يعس فضله ويذكر حسناته فقال «قد تلم في لإسلام ثلثة لا ترتق» وقيل له لم يكن هذا

(١) استرجع قال «إنا لله وإنا إليه راجعون».

رأيت فيه! هم يحجم أن يعلن قسلاً «دمت عني ما كن مني إليه». وقال في غير انعرص وبغه أنه لم يعقب من حطام الدنب غير فرسه وعلامه وسلاحه «رحم الله أبا سليمان» كان على غير ما ظننه به.

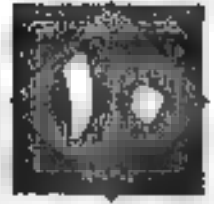
وقد كن عمر يهوى عن الدنب والعويل، فلما مات خالد واجتمع بنات عمه يكيته وسئل عمر أن ينهض قال «دعهن يكيبن عني أبي سليمان، ما لم يكن نعم أو لقنة، على مثله تنكى الواكى».

ودخر هشام بن لىحترى في أناس من بى محزوم على عمر فاستشده شعره في خالد، وقال له وقد أطل الإصفاء إليه «قصرت في لشاء على أبي سليمان رحمه الله، إن كان لىحب أن يدل الشوك وأهله، وإن كن الشامت به لمتعرضاً لمقت الله، رحم الله أبا سليمان» ما عند الله خير له مما كان فيه.

ومن الحق أن يقال إن قصة خالد قد أرتا مروعة خاد كم أوتنا مروعة عمر، وقد عرضت لنا هذا اسطل في صفحتك فإذا هو بطل الفؤاد في ولايته وبعد عزله، وفي شدته على عدوه وطاعته لأمره... وما عى مثله من ضمير أن يحق عنه لعرل في ميزان عمر من الخطب فذاك ميزان تعوفه الكفة ولا يزال صاحبها راجحاً أى رححان.

وقد ستحق المحد ييقين واستحق العرل بظر، ولولا مصلحة أعلى من مصلحة الإبقاء عى رضاه لقد كن ذلك الظن حقيقاً بالغض عنه والتحوز فيه وكفى بالرجلين فضلاً أن يختلفا ومن وراء اختلافهما فضل يعترف به كلاهما ويعترف به كل محب وشيئ، وكل منصف وحاحد، وما نحن أن تقديرنا بخالداً وتقديرنا عمر يدعونا أن ننصب الميزان في هذه لقضية من حديد، مقصاري ما نعيم من ذلك أن خالداً كان حديراً بالمقاء في منصبه ولم يكن مستحقاً لعرله، وليس ذلك بشيئ إلى جاب ما رأساه حين نصب الميزان في القضية كما نصبه خليفة الإسلام، فقد أراب عدلاً أعظم من بطولة الأنطل، فإن أخطأ الأنطل - على تقدير خطئه - فليعدل أعظم منه وأحرى أن يتعقبه كئنه من أضعف الضعفاء، وذلك ميزان أشرف لعمر وبخالد ولإسلام من كل ميزان.

ثقافة عمر



إد تكلمنا عن ثقافته عمر نلعة العصر الحاضر جار لنا أن نقول إنه كان رجلاً وافر الحظ من ثقافته رمانه، إنه كان أديباً مؤرخاً فقيهاً، مشركاً في سائر الفنون، مدرباً على الرياضة البدنية، حصيئ مصبوعاً على الكلام، فليس أرجح من نصيبه هي ثقافة زمانه نصيب.

ظل في إسلامه كما كان في جاهليته عظيم الشغف بالشعر والأمثال والطرف الأدبية، بل ظل كذلك بعد قيامه بالخلافة وشغاله بجلالته ورفائقه التي لا تدع له من وقته فراغاً لغيرها، فكان يروي الشعر ويتمثل به ويحث على روايته ويعتده من تمام المروءة والمعرفة كم قال لابنه عبد الرحمن «يا بني، انسب نفسك نصر رحمك واحفظ محاسن الشعر بحسن أدبك، فإن من لم يعرف نسبه لم يصر رحمه، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً ولم يقترب أدباً».. وقال للمسممين عامه «ارووا الأشعار فإنها تدل على لأخلاق» وبنظر إلى فئدته العملية كم نضر إلى متعته الأدبية، فقل فيه إنه حذل^(١) من كلام العرب يسكن به العيص ونطفأ به الدائرة^(٢) ويبلغ به القوم في ناديهم، ويعطى به الأسائل.

وكانت متعنه بطرئف لأدب من منع الحياة لئلا يبدل الموت لو حرم نصيبه منهم، فكان يقول: لولا أن أسير في سبيل الله، وأضع جبهتي لله، وأجلس أقواماً ينتقون طيب الحديث كما ينتقون أطيب الثمر لم أبل أن أكون قد مت.

وما أقربت العبدية باستطراف الحديث المهذب عند عمر فذلك عاية ما يصح فضل الأدب عنده من ثناء وتقريظ

وقد كان إعظام الرجل في عينيه بمقدار حذقه لحديث وقدرته على الإبانة والمنطق الحصيف، فنظر يوماً إلى هرم من قصبة متفأ في بيت^(٣) بناحية المسجد

(١) الجدر، لأصل.

(٢) أسيرة: الهيج.

(٣) بيت: الطيفسان من غر وجوه

وقد عرف عديم، لعرب له في الحكم ونعم وهو ما هو من دمامه وضالته ومظنر
ررى، فأحب أن يكشفه ويسير حكمته، فسأله في علقة بن علاثة وعامر بن
الطفس أرأيت لو صدرا إليك ليوم أبهما كنت تنفر^(١)؟ فأحابه الرجل يا أمير
المؤمنين، لو قلت كلمة لأعدها جدعة أي لأعد الحرب معه كما كانت - هأشي
عنه وهل: لهذا العن محكمت إليه العرب!

وجاءه وفد فيه الأحنف فتركهم جميعاً، وستهج ما عنده من الحديث،
فأعجبه وأعظم قدره، وعقد له الرئاسة إلى أن مات.

وسره أن عد لعرب إلى روية شعر بعد أن شعلهم عنه الجهد في سبيل
الدين فكان يقول إن الشعر «كان عم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فحاء
الإسلام فتشاعت عنه لعرب بالحاء وعزو فارس والروم ولهيت عن الشعر
وروايته، فلم كثر الإسلام وحاءت لفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا
رواية الشعر فلم يثلوا^(٢) إلى ديوان مدون، ولا كتب مكتوب، فألفوا ذلك وقد
هت من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقله وذهب منهم كثره»

ومن ناحية الأدب فيه وناحية لدير معاً حته على تعم لعربة «لأنها شئت
العن وتزيد في المروعة» وقد أوصى بوضع قواعد النحو لأنه قوم لعربة.

ولم يزل عمر الخليفة هو عمر الأديب طوال حياته، ولم ينكر من الشعر إلا ما
ينكره المسئول عن دين، ولم ينس قط أنه الأديب الحافظ الراوية إلا حيث ينبغي
أن ينس ذلك ليذكر أنه القاضي المتحرز الأمين.

فنهى عن التشبيب بالحصنات كما نهى عن الهباء وجيء له بالحطيفة
متهماً بهجاء البرقان بن بدر حيث يقول فيه

دع المكارم لا مرحل ليعيدها واقعد فبنت أنت لطعم الكسي^(٣)

ففسى أنه الأديب الراوية، ولم يذكر إلا أنه القاصي الذي يدرأ الحدود
بالشبهات ولا يحكم بما يعمر دون ما بعينه أهر بصنعه، وقال ليزرقان ما
أسمع هجاء ولكنها معسة. ثم سأل حسدن بن ثابت فقصى أنه هجاء وأفحش
في هجائه، فحبسه وأندره وبهاه أن يعود إلى مثلها، فبهي طول حبه عمر،

(١) نفر فلان نفره عليه هي النافرة ونفر فلان هتشدب بقاء وأنفرة. عناه وعبه وحكم له، وهو
مقصود هنا (٢) لم يثلوا لم يرحلوا (٣) بطعم الكسي أي انطعم حكمه

ثم عاد إلى الهجاء بعد وفاته واستعداه تميم بن مقبر عني الحاشي لأنه قال
في قومه بني العجلان

إذ الله عادي أهر لؤم ودية فعادي بني العجلان رهط ابن مفل
فذكر عمر قضبه ولم يذكر روايته لشعره، وقال علي سنة القصاء يدفع
الحدود بالشبهات إنه دماء والله لا بعادي مسمأ.
قال تميم فإنه يقول عن

قبيلاته لا يغفرون بذمة
ولا يطعمون أناس حبة خسر دل
فعل عمر بيتي من هؤلاء. قال تميم، وإياه يقول
تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من عوف بن كعب بن نهشل
فقال عمر كفى ضياعاً ممن تأكل الكلاب لحمه.
قال تميم وإنه يقول
ولا يردون الماء إلا عشية إذا صسد نور عن كل منهل
فقال عمر ذلك أصعب للماء وقيل للسكاك «ي لزحام».
قال تميم، وإياه يقول

وما سمي العجسلان إلا لقولهم
خذ القعب^(١) واحطب أيها العبد واعجل
فقال عمر. كذب عبد، وخير الغوم أنفعهم لأهله.
قال تميم، فسله عن قوله
أولئك أولاد الهجين وأسرة (م) اللئيم ورهط العحر يتدل
فقال عمر أما هذا فلا أعذر لك عليه. وحبس الشاعر وضربه وتذره لئن عاد
ليضاعفن له العقاب.

(١) القعب قدح ضخم غليظ، جمعه قعاب وأقعب

وقد تجورب فقلنا إن عمر نسي علمه بالشعر ليذكر إبراء الدمة في القصاء
وقد حاول ذلك جهده فافلح لو يعش أديب في نسيان أدبه، ولكنه مطلب ما
استطاع قط وإن يُسْتَطاع، فكان عمر في تحريجه للكلام وعلمه بما تنصرف
إليه معانيه أخر بالشعر من قض لا يفقه منه إلا ظاهر لفظه ومعناه

ومن المشهور عن عمر أنه كان عليمًا بتاريخ العرب وأيامها ومفخر أسبائها
كعلمه بالمخير من شعرها ونسائرها من أمثالها.

جئنا إلى ذلك بطبعه ونقله عن أبيه، وكثيراً ما كان يقول كم جاء في الديار
والتيين سمعت ذلك عن الخطاب، ولم أسمع ذلك عن الخصب

ومن وصاياهم «اعلموا النسب ولا تكونوا كمنط لسوار^(١) إذا سئل أحدهم
عن أهله قال: من قرية كذا»، ومنها «عليكم بطرائف الأخبار، فإنها من علم
الملوك والسادة، وبها تنال المنزلة والحضوة عندهم».

وفقه عمر بالشريعة التي كان مسئولاً عن نفاذها مشهور بين أئمتها
كاشتهار دمه وإطلاعه على تاريخ قومه، فكان عبد الله بن مسعود يقول: «كان
عمر أعلمنا بكتب الله، وأفقهها في دين الله»، وكان إذا اختلف أحد في قراءة
الآيات قال له اقرأها كما قرأها عمر، وأطنب فقال: «لو أن علم عمر من
الخطب في كفة ميزان ووضع علم الأرض في كفة لرحح علم عمر بعلمهم»
ولقد كانوا يروون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم، وقال ابن سيرين: «إذا رأيت
الرجل يزعم أنه أعلم من عمر فشك في دينه»، وكل ما سرب به أي القرآن في
معرض الحكم والعظة فهو لتفسير الراحح في وزن العقل والدين، وكل ما
استخرجه من أحكام الشريعة فهو الحكم لواضح الصحيح.

وبصائحه لعلماء ولتعليمين نصائح عالم يعرف ما هو العلم وماذا يجمل
بالعلماء في صبه فكان يقول: «تعلموا العلم وتعلموا لنعم السكينة والحلم،
وتواضعوا لمن تتعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمون، ولا تكونوا جبيرة العلم،
فلا يقوم علمكم بجهلكم»، وكان يوصي طلابه «أن يكونوا أوعية لكتاب وينابيع
لعلم، ويسألوا الله رزق يوم يوم، ولا يضربهم إلا بكثرة لهم»، ولا يزال يذكرهم
أن النفقة مقدم على السيادة: «فتفقهوا قبل أن تسوبوا»

(١) لسط جليل من العجم ينزلون بالعدنح بين العرب

ولم يقصر نصائحه على عم الدين، ولا علم لأدب واللغة وحده، بل تناول كل ما عرف من معارف زمانه عقل. «تعموا من النجوم ما يدلكم على سبلكم في البر والبحر ولا يريدوا عليه». ولاشك أن نصائحه العممية هي صلب العلم كاس أغلب من نصائحه لنظرية فيه، شأنه في ذلك شأن رجل الدولة الذي يعلم الناس ما ينفعهم ويصلح معاشهم ويهذب أخلاقهم. ولكننا محصون إن مهمنا من هذا القور الذي روينا في عم النجوم أنه كان يكره الريادة الحديثة فيه كما عرفناها نحن في أيامنا، وإنما الزيادة التي كرمها هي تلك التي كانت على عهده تموض في النجوم وتربط أقدار الناس بالكواكب، وتحمل معها أرباباً تعبد وأرصداً تزامن على أسرار العيب وذلك ما منهي عنه الآن، ونعد النهي عنه من تحقيق العلم الصحيح.

ولم يفته الحرص على المعرفة التي تخترع منها مفايع لناس في أمر المعاش، فطلب إلى أنى لؤلؤة علم للغيرة أن يجزم ما ادعاه من احتراع طاحون تدار بالهواء، وهو عم الصناعات كما انتهى إليه في عصره، لا يضيره أنه قسط ضئيل، بل حرصه عليه مع ضالته دليل على ما يلقاه منه تشجيع الصناعة يوم يراها جليئة كبيرة الآثار.

على أن زبدة النفاة كلها هي أعطاب الحكم وعظماء لأعمال إنما تتلخص في شيء واحد هو الدراية بالناس، ونفذ البصر في شئون الدنيا، وصدق الخبرة بدقائق النفس البشرية، أو هو ما سمعته في أيامنا هذه بالرأي السليم والحكمة العممية، وهو مجال كان عمر بن الخطاب فير النظراء فيه، وحفظت له كلمات في معانيه يندر مثلها بين كلمات الحكماء، ولا يكثر مثلها بين كلمات الحكماء.

فأى كلمة أدل على نفس البشرية من قوله «ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، ولكنه الذي يعرف خير الشرين».

وأي نفذ في تركيب الطبائع أمضى من نفاذه إذ يقول «ما وجد أحد في نفسه كبراً إلا من مهابة يجدها في نفسه». أليس هذا بعينه هو مركب النقص الذي يلهج به علم النفس الحديث؟

وأي رأي في تجربة الناس صدق من رأيه حين يقول

«لا تعتمد على خلق رجل حتى تحربه عند غضب»، أو حين تُثنى بعضهم

على ربح أمامه فسأله «أصحبه في السفر» أعامسه؟» فما أجابه بعبارة قل
«هانت، لقاتل مما لم تعلم».

وأي فهم لعنى الاستعداد للعمل أقرب من فهمه حين ينصح انعامين «إذا
توجه أحدكم في توجه ثلاث مرات فم ير حبراً فليدعه»

كذلك سداد جوابه حين سئل فيمن يشتبه المعصية ولا يقارفها، وفيمن
ينتهي عنها وهو لا يشتبهها أيهما أفضل وأجرل مثوبة عند الله؟ فكتب في هذا
فص لخطب ر قال: «ي الذين يشتبهون المعصية ولا يعملون بها. ﴿أُولَئِكَ
أَلَدِىْ اَمْتَحَنَ اللّٰهُ قُلُوْبَهُمْ لِيَتَّقُوْا لَهُمْ مَّعْزَرَةً وَّأَجْرٌ عَظِيْمٌ﴾». وكذلك وصيته بكنمان
السر وتبسه لحسن عقبه حين قال: «من كتم سره كان احذر بيده»

وكذلك وصيته في الحب و بعض حين قال: «لا يكن حبك كلفاً ولا يعصك تلفاً»
وكذلك مخافته محبة الفراغ على الناس أشد من مخافته محبة الحر حين
قال: «أحذركم عاقبة فراغ فإيه، جمع لأبواب المكروه من السكر»

وكذلك وصايه التي كانت بحفر بها كتبه إلى لولة، وخطبه في الصلوات
والأعيان كلها أدت من هذه الحكمة العملية التي هي خلاصة الثقافة المحمودة
في أقصا الحكم خاصة، وفي كل ربح يراد شئ من الحياة على النعيم.

أما مشاركته في سائر الأمور والمعارف التي كانت ميسورة على عهده فمنها
المستغرب عند من يتخذ صورة عمر من حمة أحبار، ولا يتقصى فيها إلى لتفصيل.
فقليل من يتخير أن عمر كان يعرف «جغرافية» الشرق كحسن ما يعرفها
ربح في وطنه، ولكنه كان يعرفها حقاً عن سماع وعن رؤية وعن ركابة بعين
السمع والرؤية، بل كان يهرض على لولة أن يحيصوا بعلم ما يتولونه من
بلاد ويعزل من يرى فيه تقصيراً عن ذلك، فاستقدم عمار بن ياسر مبر
لكوفة لما شكوه إليه وقالوا في شكوه هم إياه «إياه لا يرى علام استعمل»
وحمل بسأله عن الموقع والبلدان من بلاد العرب وأفرس حول الكوفة سؤال
مطعم خبير، ثم عزله لتقصيره بعد احتضاره.

ومن الواجب أن يشك في كل حبر يوم أن عمر كان يحفل معرفة من
المعروف العملية التي يحتاج إليها في تسيير الدولة، فلا يعقل مثلاً أنه كان يعهل

المعرفة العامة بالحساب، وقد كن تاحراً منذ نشأته في الحاهلية، وكان يحضر الحيوش ويعرف ما هي الأثوف وما هي عشاب الأثوف، فإذا استفسر عن رقم هلن يكون لا استفسر تجاغل واستعظم، وليس بجهل وغرارة كما جاء في أخبار الحراج من هجر ولحجرين.

قال أبو هريرة ما فحواه قدمت من هجر والبحرين بحمسمائة ألف درهم، قاتيت عمر بن الخطاب ممسياً، أسلمه إليه، فسأل: كم هو؟ قلت حمسمائة ألف درهم قال: وتدرى كم حمسمائة ألف درهم؟ قلت: نعم، مائة ألف ومائة ألف خمس مرات.. قال: أت ناعس، اذهب فبت الليلة حتى يصبح.

فكل شيء يحور أن يفهم من هذه لقصة إلا أن عمر كان يجهل ذلك الرقم ولم يسمع بمثله قبل ذلك، وهو الذي شهد الدولة وحسبها من عهد أبي بكر وأحصى الخند والمال في عهده، إنما هو عبطة واستعظام، وليس هو جهلاً بدلالة هذا الرقم في جملة الحساب.

وإذا قل من ينحيل علم عمر بالخرافية والحساب، فأنقل من أولئك من يتخيل له خطأ من السماع و لعاء، ولكنه كن يسمع ويعنى في بعض الأحيان، ولا ينهى عن عناء إلا أن تكون فيه عناية تثير لشهوت، جيء له برحل يعنى في الحج وقيل له إن هذا يعنى وهو محرم، فقال: دعوه فإن العناء زل الراكب.

وروى نثر مولى عثمان بن عفان أنه خرج في ركب مع عمر وعثمان وابن عباس، وكان مع بائل رهط من لشبان فيهم رياح بن المعترف الفهرى الذي كان يحدو ويجيد الحداء^(١) والعناء. فسأله ذات ليلة أن يحدو بهم فأنى وقال مسسكراً مع عمر: قالوا: احذو فإن نهاك فسقه فحد، حتى إذا كان سحر قل له عمر: كف فإن هذه ساعة ذكر ثم كنت لسة الثانية فسأله أن يصب لهم نصب^(٢) العرب فأنى وأعد استكره بالأمس قبلاً مع عمر،، قالوا له: كم قالوا بالأمس انصب فإن نهاك فانتبه فصب لهم نصب العرب حتى إذا كان السحر قل له عمر: كف فإن هذه ساعة ذكر. ثم كنت ليلة الثالثة فسأله أن يعيهم عاء الفيا^(٣) فما هو إلا أن رفع عقيرته^(٤) بعنائهم حتى بهه وقال له: كف فإن هذا يعنى القلوب.

(١) الحداء: العناء للإبل كي تحذ في سير. (٢) النصب: عداء رفق من الحداء وهو عداء لركب.

(٣) نقار: جمع عسة وهي بشارته لليماء. وقيل: تحتل بالمشة. (٤) عقيرته: صوته.

وكان يخرج للحج ومعه من يحسن العناء، فيقترح عليه أن يعنى شعراً ويؤثر
أن يكون ذلك من شعره.

خرج مرة للحج ومعه حرات بين حيدر وأبو عبيدة بن الحر ح وعبد الرحمن
ابن عوف، فاقترحوا على حرات أن يغيبهم من شعر ضرر، وهل عمر بل دعوا
أبا عبد الله فليغن من نيات مؤده. فمارال يعيهم حتى كان اسحر، فهتف به
عمر ارفع لسانك يا حرات فقد أسحرنا.

وجاء قوم فدكروا أن إمامهم يصلى بهم العصر ثم يتعنى نيات من الشعر،
فقام معهم إليه و ستخرجه من منزله وسأله فيم بلغ عنه، واستنشد الأبيات
التي يغنيها فأنشده

وفؤادى كلما نهته	عاد في الذات يغنى تعنى
لا أراه الدهر إلا لاهياً	في بمادبه فقد روح بي
يا قرين السوء ما هذ الصب	فنى العمر كذا بالعجب ^(١)
وشباب بار ^(٢) ملى مضى	قبل أن أقضى منه ربي
نفس لا كنت ولا كن الهوى	اتقى المولى وحافى وارهى

فأعد السبب لأحير، وقل لمن شكوا إليه من كان منكم مغنياً فليعن هكذا.
وكان مرة في سفر فرقع عقيرته بالعباء وأنشد

وما حملت من ناقة فوق رجليها

أبر وأوفى ذمة من محمّد

فاجتمع الركب إليه فقراء، فتفرقوا فعز ذلك وفعلوه مرات، فصاح بهم «يا
بى لئلك»^(٣)، إذ أخذت في مر مير الشيطان اجتماعهم، وإذا أخذت في كتاب
الله تفرقتهم. «لا يومهم على الغناء وسماعه، وما يلومهم أن يؤثره على
سماع القرآن مرات

ولاشك أن لشعف الشعر الحر والحديث الرائق والصوت الحسن لا يجمع
في نفس إلا اجمع معه ذوق للجمال وسرور بكل حسن جميل، وكى أين يقع

(١) لئبها من الشوق، يقال منه «بصاي» والبصا اسب مع الصبيان

(٢) البار، ذهب وودع

(٣) المتكاه المرأة ثم تنص.

هذا من صرامة عمر وبأسه وشدة حصره على ربة الحسان؟ فقد دخل في روع أناس أنها حميدة من نقائص حب الجمال، وقد سمعت هذا فعلاً من أدباء يجلبون عمر ولا يحسون نوق الحمال من مآثور حسناته، لأنه كن شديداً في الحجاب، وكان يهيئ لطيان الحسان، كما صنع بنصر بن حجاج ومعق من سنان، وكان يقول: «استعينوا بالله من شرر النساء وكونوا من خيرهن على حذر»

وعندنا نحن أن هذا حميعه يتم على الإحساس بحصر الحمال وطعيان فتنته، ولا يتم على غفلة عنه وقلة مبالاة بآثره، وما نخار أحداً من المترخصين في الحجاب كان يؤمن بسلطان الحمال أبلغ من يؤمن عمر بسلطانه، أو كان يعرف حق المرأة في الشوق إليه كما عرفه وأمر برعايته، فإنه كان ينكر على الأباء أن يكرهوا فتناتهم على قباح الوحوه ويوصيهم «أن لا تكرهوا فيتكم على الرحمن القبيح فإنهن يحبين ما تحبون».. وجاء له امرأة مروج أشعث أغبر تسأله الخلاص منه، فأمر به أن يحم وأن تقلم أطعاره، ويؤخذ من شعره، ثم قال له ولم في مجلسه «هكذا تصنعوا لهم، فوالله يهن ليحبين أن تترينوا لهن كما تحبون أن يرين لكم».

فكل ما روى عن عمر من الشده والرفق في معرض الجمال فهو دليل على الإحساس به وإكبر حطره، وليس مدليل على العفة عنه واستصغار أثره، وربما كانت الشدة والحجر أدل على ذلك من الرفق والحاسية

ومن لأدب العامة التي لها حظ من ذوق الحمال في معارص السياسة أدب التكريت الذي لا يستعنى عنه ولادة الأمر الموكلون بإحباء معالم الدول والاحتفال بمراسمها وأعيادها.

فعلى هذا الأدب كان لعمر النصيب الذي يعنه، فهو الذي خثر أوفيق على اختيار يوم الهجرة بداية للتاريخ الإسلامي. وإيه لأصلح يوم يؤرخ به الإسلام لأن العفائد كما قلنا في «عقريه محمد» «تفقس بالشدايد ولا تقاس بالقور والعلب، وكل إنسان يؤمن حسن بتعلب الدين وتفقر الدعوة، أما النفس التي تعنف حقاً ويتحلى فيها أنصار العقيدة حقاً فهي النفس التي تؤمن في لشدة وتعتقد ومن حولها صنوف البلاء»

وكلما اقترح على عمر اقتراح فيه نفخة من نوق الذكرى كن مجيباً له سريع الاصغاء إليه، فكان يحترم وفاة بلال وإقلاعه عن الأذن بعد وفاة أشي عليه السلام، ولكنه دعاه إلى الأذن تلبية لاقتراح الجلة من لصحابة في يوم ودع دمشق بعد الفتح المبين، فحيب المسمون يشهدون الصلاة الجامعة إذ بالصوت الذي يقطع بعد النسي يرتفع رويداً رويداً في الفضاء ويسرى رويداً رويداً من الأسماع إلى الصدور ولتفتوا وكأنهم يسألون ما؟ هل عاد محمد إلى الأرض؟ إن لم يكن قد عاد فقد عاد الحنين إليه أقوى ما ينبعث من صوت يسر إلى صدر يسر هذابت قلوب لا يذيبها الهول، ويكي أشيب أولئك الأبطال وأصبرهم على حر القتل

وإذا كان عمر المعجب بالجمال مستكراً رء ستتر يحوحد إلى الضر من ورائه، فعمر الرياضي المشغول بالرياضة البدنية ظاهر لنا نعمه وقوله، وبسيرته في الحاهلية وسيرته بعد الإسلام، وسيرته بعد، خلافة إلى أن فارق الحياة.

فكان يصارع في الموسم ويسابق على الحين، وكان ينوط محمد العرب بالرياضة والفروسية ويكتب إلى الأمصار أن «علموا أولادكم السباحة وفروسية وبروهم ما سر من المثل وحسن من الشعر». ولا يف بذكرهم أنه «لن تحور قوى ما دام صاحبها ينزع وينزه» أي يرمى بانفوس ويركب ظهور الخيل بغير ركاب.

أما الخطبة فقد كانت فيه من صفات لبنية ولم تكن من صفات الذهن وكفى، فكان له فم يمتلئ بالكلام حين يحط بكنه خلق ليقول، ولوحظ عليه أنه كن ينطق ببعض الحروف - كاضاد - من كلا شذفيه وهي تنطق في الأغلب من شذق واحد.

وكان جهورى الصوت وضح النطق سليم الشفنين في إحراج الحروف، وكتابته كلها كأنها خطب مرئجات، تفروها فكئت تصعى إلى خطيب لا تفقد منه إلا الصوت المسموع.

ولانطبغ على الكلام الذي لا نصنع فيه كان يستهل كل كلام بوافق طبعه ولا يستصعب من الخطب إلا لذي بعير من نصرت إلى الناس ويلحنه إلى المداراة والبطر فكان يقول «ما يصعدي كلام^(١) كما يصعدي خطب النكاح»، ولتمس من المقفعية ذلك فقال، ما عرفه إلا أن يكون أرب قرب

(١) ما يصعدي كلام ما يشق على

الوجه من الوجوه، وبطر الحدق من قرب في أحواف الحدق^(١)، ولأنه إذا كان حالساً معهم كانوا كأنهم نظراء وأكد، وهذا علا النبر صاروا سوقة ورعية والتمس الجاحظ علة ذلك فروى عن أناس أنهم رجعو باستصعاب عمر لحطب النكاح إلى «أن الحطيب لا يجد بداً من تركية الحاطب، فعلة كره أن يمدحه بميس فيه فيكون قد قال زوراً وخر القوم من صاحبه».

وكلا القولين حائر في بيان وجه المخالفة بين طبع عمر والتكلم في محافس لكح، فهو مطبوع على أن يتكلم إلى الناس كلام رجل يقود الرجال، ومطبوع على الصدق الذي تثقل على صاحبه المدهة، وهي مما لا غنى عنه في هذا المقام، ولو كان الحاطب من الأكهاء

وقد احتلوا في نظم الشعر، فرعم الشعبي أنه كان شاعرًا، ورويت أشعر لا تشبهه ولا ترضيه، وفي هو نظم الشعر حين قال «لو كنت أقول لشعر لريثت أحي زيدا».

ولا طائل في هذا الخلاف لأنه لم ينتهي إلى رأي قاطع يسكت عليه، ولكنهم في هذا الصدد أنه كان مطبوعاً على التعبير وله عنصرية فيه، أو أن تعبيره كان خاصاً به لا يشبهه تعبير سواه، فهو تعبير عمري بمفرداته وتركيبه لا يسبب بتعبير أحد من أهل عصره حتى يسهل تمييز كلامه من كل كلام، ويصعب تزوير القول عليه ولو أحكمت المحاكمة.

فمن خصوصيته في التعبير أنه كان يقول: «لولا لخليفي لأدت» وهو يعنى الخلافة ولا يقصد الإغراب.

ومنها وهو ينقل خبر إسلامه إلى حاله «وجئت إلى حلي فأعنته فدخل إلى البيت وأحاف الباب»، أي أوصده.

ومنها وهو يصف ما وقع في نفسه من الآفة لى تلاها أبو بكر رضى الله عنه حين أنكر موت النبي فقال: «والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يلاها فعقرت حتى ما تقسى رحلي»، يعنى أنه عجز عن الصام.

ومنها في الكتابة والقراءة ينهى عن العجلة فيها «شرُّ لكتابة لمسوق وبشرُّ لقراءة ابهرمة، وأجود الحط تينه^(٢)».

(١) لحدائق جمع حنقة وهي سود العين

(٢) مسوق هي كتابة من خروجها وسرعها، فسرهم نقران، تسرع قراءته لا يسير معانيه

ومنها وهو يذكر امرأة كنت تسقى اساس يوم أحد أنها «كانت تزفر للناس القرب» أي تحملها

ومنها في المشورة: «الرأي الفرد كالخط السحب، والرأيان كالخيطين لمبرمين، والثلاثة مرار لا يكاد ينتقض»^(١).

ومنها حين كتب إلى أبي عبيدة بعد ولايته الخلافة: «ولا تنعث سرية إلا في كثف من الناس»^(٢).

ومنها حين شك إلى الشاكي هجاء الشاعر الذي قال فيه

ولا يربون الماء إلا عسسية إذا صدر الورد عن كل مهمل

فقال: ذلك أنفى «السكاك» أي الزحام.

ومنها في سمحه باليكاء «ما لم يكن نفع أو لقلقة». أي ما لم يثر التراب ويفرط في العريل.

ومنها وقد حار بأهل الكوفة «أعصر بي»^(٣) أهل الكوفة، ما يرضون بأمر ولا يرضاهم أمير.

ومنها «إن قريشاً تريد أن تكون مغويت لمال الله». أي مصائد تحتجبه لها دون عباد الله

ومنها «تمعدروا وخشوشوا واقطعوا الرك وازوا على الخيل نرواً» أي تزيوا مزي العرب من معد بن عدنان.

ومنها «فرقوا بين المنايا واحعلوا الرأس رأسين، ولا تلتشوا»^(٤) مدار معجزة» أي تقيموا

ومنها «فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين، فلا يتابع هو ولا الذي يابعه بغرة أن يقتلا». أي أن يتعرضا لقتل.

ومنها «... إن لاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في الضلالة، فافهموا ما توعطون به، فإن الحريب من حرب في دينه» يريد المسلوب

(١) اسحب. الثوب اسحب لدى ٢ بيرم عوله مرار قوية محكمة (٢) يكتف. الجماعة

(٣) أعصر بي أعياني لهم. (٤) في حصار ولا تقصر بيدة تعجرون بها عن الاكتساب، وتعيش

ومنها وقد سمع بامرأة سافرة يبررها زوجها فقال: «هذه، لخرجة وهذا المرسلها لو قدرت عليهما لشرت بهما». أي لأعصت القول لهما.

ومنها لما سألوه لم حصنت المسجد؟ فقال: «هو أعفر للخامه وألين في الموطي». أي أستر للبصق.

ومنها «ثلاث من العواقب»^(١) جار مقدمة إن رأى حسة سترها وإن رأى سئة أداعها، ومرتة إن دخت عيها لستك وإن غنت عنها لم تأمنها. وسلطان بن أحسن لم يحمك، وإن أسأ قنك». ولستك أي تدولتك بلسانها.

ومنها وهو مخاطب سعد بن عبادة يوم السقيفة «لقد هممت أن أطاك حتى تنذر عضدك» أي تسقط.

ومنها وهو يتكلم عن امرئ القيس «خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصبح بصر». أي استنبط عين الشعر وشق طريق المعنى وأتى بالشرارد، الحسن.

ومنها وهو يتكلم عن نصيب المسمين في الغنائم ويبيت المدل. «وله لش بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا ابل وهو مكنه قبر أن يحمر وجهه». أي قبل أن يخل ويحمر وجهه في طلبه.

ومنها قوله لأعرابي استفتاه في صبد ظلي وهو محرم «أنتقتل في لحرم وتغمص الفتيا» أي تعيبها ولا ترضاها.

وأشبه هذا كثير لا تحلو منه خطبه أو حديث أو كتاب، تعتمد أن يكون شواهد لمرى أنه ليس بالمصادفة وليس بالتكرير لمط واحد من العبارات.

ويحق بهذا تسمية مواليه بين أسبق وأسلم، ويرفأ وفرقد وذكوان وفروح وما شبه هذه لأسماء، وهي تسمية مفردة تكاد نفتصر عليه وإنما هي لطبيعة العمرية تمثلت في صيغة الكلام وهي اختيار لأعلام، فلا تستطيع أن تسميها، عرباً أو عسطة أو تعماً^(٢) بنحو من أسحائه، بد ليس ورعها قصد متفق في جميع هذه الصيغ، وأبين ما يبين فيها أنها من عفو البداهة هـ وهناك، وأنها تترجم عن الطبيعة العمرية أصدق ترجمة وأشبه بصاحبها، فهي هوية حشة مستقلة حادة حالية من الرخرف.. وهكذا كان المتكلم عمر،

(١) الوراق جمع مدرة وهي الداهية

(٢) العسطة الكلام بلا نظام، وكلام معسوط أي محبط والتحمل التكلف.

وهكذا كان كلامه ادى ينطبع عليه حين يكون منطبعاً على التعبير، فلو أن كلمات تتمثل رجلاً لترعى لنا من مثل هذه الكلمات شخص عمر في حلقه وحقه كما كان.

ومحصل هذه الأخبار جميعاً أن عمر كان من نخبة المثقفين في العربية، وكان وافر السهم في ثقافة قومه وعصره، وكان بجانب العصى من ثقافته أغلب وأظهر من جوانبها النظرية كما هو المعهود في سياسة الأمم وعواهل الدول، ومن كان هذا لا يمنع أنه شتاق إلى نفاس لشعر وأطايب الأدب لما يحده فيها من راحة النفس ومتعة الضاطر

ويستطرد بنا الكلام على ثقافته العربية إلى الكلام على موقعه من الثقافات الأخرى في زمانه، وعلى حقيقة رواية التي شاعت وتواترت عن موقفه من مكتبة الإسكندرية التي قيل إنه أمر بإحراقها، فهل هو الأمر بإحراقها كما جاء في تلك الرواية؟ وإيا كان هو الأمر بذلك فما دلالة على تفكيره؟ وما وجه السبغة فيه؟ فحوى تلك لرواية أن عمرو بن العاص رفع إليه خبر المكتبة الكبرى في الإسكندرية فحاده الجواب منه بما بصره «أما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما به فبق كذب الله ففي كتاب الله عبه غبي وإن كان منها ما يحالف كتب الله فلا حاجة إليه، فتقدم بإعدمه». فل مقصر هذه الرواية فودعت الكتب على أربعة آلاف حمام بالمدينة ومضت ستة أشهر قبل أن تستند لكثرتها!

وأخرى شيء أن يلاحظ في مسألة انكته هذه أن الذين أخصصوه وأبروا عمر من تسعته كان معظمهم من مؤرخي الأوربيين الذين لا يتهمون بالنشيع للمسلمين وكنو جميعاً من الثقافات الذين يؤحد بنتائج بحثهم في هذا الموضوع فالؤرخ الإنجيزي الكبير إدوارد جيبون Gibbon صاحب كتاب لرونة لرومانية في احدثه وسقوطها، يسرد الحكية ويعقب عليها قسداً «أما أنا من جاسي هبني شديد الميل إلى إنكار الحادثة وتوابعها على السواء لأن الحادثة لمحيمة في الحق كما يقول مؤرخها إد يسألنا هو أن نسمع ما جرى ويعقب» وهذا الكلام الذي يقصده أجبنى عريب يكتب على تقوم ميديا بعد

سبعمائة سنة يوربه ويرجح عليه ولا شك سكوب اثني من المؤرخين كلاهما مسيحي وكلاهما مصري، واقدمهما لطريق يوتيوخوس Eutychius لدى توسع في الكدبة عن فتح الإسكندرية «وإن القضاء الصارم الذي سبب إلى عمر لبعض إلى أصحاب الفهم الصحيح المستقيم من فقهاء المسمين لذين يفتون بتحريم إحراق الكتب لدينية التي تقدم من اليهود والمسيحيين في الحرب، وما كان من الكتب دينياً ظنياً سواء ألع المؤرخون أو لشعراء أو لأطباء أو الفلاسفة فحكمهم فيه أن يستخدم على الوجه المشروع لمصلحة المؤمنين وقد تعزى إلى متقدمي الخلفاء بعد محمد عيرة مصرى من ذلك بالهدم والإبادة ولكن لو صح هذا لوجب أن تنفذ الأوراق سريعاً لقلة المادة المحترقة فلا يرجع إلى نكبة المكتبة في لحريق الذي أصابها على غير قصد بيد قيصر وهو بدفع عن نفسه، ولا إلى تعصب المسيحيين الأوائل الذين كانوا يدبرون لوسائل تدبيراً لتعفية الآثار المتحللة من أيام عبادة الأصنام، ولكننا ننحدر شيئاً فشيئاً من عصر أنتونين إلى عصر ثيوديسيوس فنعلم من سلسلة الأبناء المعاصرة أن القصر الملكي وهيكل سراسيس لم تنق فيهما تلك الأسفار التي جمعها البطالسة وبلغت في إحدى الروايات أربعة آلاف، وهي رواية أخرى سبعة آلاف، ولا بعد أن تحفل الكنيسة ومعهد البطريركة مذكورة من الأوراق والأضابير، فإن كانت هذه هي الوقود لدى أفنته الحمامات بما كان فيها من جدل بين القائلين بتعدد الطبيعة المسيحية ولقائلين بتوحيدها فقد يرى لفيلسوف وعلى فمه انتسامة أنها كانت في الحمامات أنفع لننى الإنسان!».

ولدكتور ألفرد بترل Butler المؤرخ الإنجليزي الذى أسهب في تاريخ فتح لعرب لمصر، وإسكندرية يلخص لحكاية وينقضها ابتداءً لأن حيا فليوتوس لذى قيل إنه خاض عمرو بن العاص في أمر المكتبة لم يكن حياً في أيام فتح لعرب لمصر ثم ينقضها لأسباب شتى منها أن كثيراً من كتب القرن السابع كست من الرق^(١) وهو لا يصلح لوقود، وأنها لو قصى الحليفة بإحرقها لأحرقت في مكابها ولم يتجشموا بقها إلى الحمامات مع ما فيه من أتعاب ومع إمكان شرائها من الحمامات بعد ذلك بأبسط الأثمان، وأب لو صرفنا لطر عن الكتب المخطوطة على لرق لكان كفى الباقي من نحائر المكتبة لوقود أربعة آلاف حمام

(١) الرق، منتج الراء ويكثرها، جلد رقيق مكتوب عليه

مائة وثمانيين يوماً، وهذا الشك الذي يعبور لفصحة من تأخر كتابتها رهاء خمسة قرون وبصف قرن بعد فتح الإسكندرية، ثم كتابتها بعد ذلك طواً من لمصادر والأسناد، بل هذا عدا ما غير من حتراق مكتبة هي السسة لثمة والأربعين للميلاد، وفيما تلا ذلك من اعترى والقلقل بين طوائف المسيحيين.

والمستشرق كار نوها يسمى الحكاية أسطورة، ويقول إنها نشأت بعد تريح لحدثه ستة قرون، وينفصها بثل الأسباب لتي لخصناها من كتب بتر، ثم يقول: «... وهناك عترص أخطر مما تقدم وهو أن ما ذكر عن يحيى لنحوى منقول عن كتاب الفهرست لابن لنديم في أواخر القرن العشر، وفيه أن يحيى هذ عرش جنى فتحت مصر وكان معرفاً من عمرو ولم يذكر شيئاً عن مكتبة الإسكندرية، فحادثة المكتبة بن من أوهام من لقطي أحدها عن خرافه كست شائعة في عصره»

ثم يصصى في تفنيده فيقول «وقد تساءل ابن خلدون عن مصنفات الفرس والأشوريين ولبابليين والقط التي حرقها عمر عند فتح العرب، وقال ابن خلدون هي كلام آخر إن لعرب لم فتحو بلاد افرس سأل سعد بن أبي وقاص عمر عم يأمر به في شأن الكتب التي بها فأمره بإلقائها في اليم فاشتقت لقصة من درس إلى الإسكندرية مع لرمس وفعل لحيال فعله هي تحريقها»

«وقد وقع تحريق في هذه الخرافة في بعض دوائر المعارف حيث نقر عن سبرنجل إن مكتبة الإسكندرية حرقها العرب عند فتح مصر، وأن الحليفة لتوكل أشائها من حديد، وأن الترك فتحو لإسكندرية ٨٦٨ وأضرموا فيها النار على عهد أحمد بن طولون ولكن أحمد بن طولون لم يفتح مصر ربما أقامه حليفة بغداد حاكماً عليها فلا علاقة للترك إذن بهذا الحدث المزعوم»

قل: «وهي سنة ١٨٧٧ ذكر الكونت دي لاسبرج أن أحد الضباط الإحدر اتهم بابليون الأول بإحراق مكتبة الإسكندرية».

قال «وبسبب هذا بالسبب الذي من أجله ظهرت هذه الخرافة هي القرون الثالث عشر ولم تظهر قبل ذلك».

«ففي أواخر القرن الثاني عشر رحعت مصر إلى حكم خفاء بغداد، وأبلى صلاح الدين ملاءه في بحروب الصليبية وانصر على المسيحيين هفقه لشعب

بفاتح مصر، وفرن بين اسمه رسم عمر بن الخطاب، وكان لابن القفطي أب يعجب بصلاح الدين ولاء صلاح الدين مصاء القدس، وعاصر عبد اللطيف البغدادي وهو من المعجبين مثله بصلاح الدين، فبلاقي في القدس وسمع منه هذه الأسطورة التي ترسع ابن القفطي في بقله فكان أول من ألف هذه الأسطورة من حاشية صلاح الدين لتركية حاكم مصر الجديد. ومما يروى عن صلاح الدين أنه دأع كنور القصر والمكتبة فبقيت هذه الرواية إلى القرن الثامن عشر يوشيه ما يسججه الحيال حول الخرافة العمرية.. ثم اتخذ صورتها التاريخية منذ ذلك العهد نعرزه خرافات أخرى لحقت بعمر ووافقت معنى قوله "لا كتاب إلا كتاب الله..".

ومن المشاركة الذين تناولوا حكاية المكتبة مؤرخ اكبير جورحي ريدان في الجزء الثالث من كتبه «تريخ لتمدن الإسلامى»، حيث قال إنه كان يميل إلى نفي الحكاية ثم عدل عن ميله هذا إلى قبولها وأورد من أسباب ذلك «أن حكاية إحرق مكتبة الإسكندرية لم يحتلها أبو الفرج لنعصب يبنى ولا دسب أحد بعده، بل هو بقله عن ابن القفطي وهو قاصر من قصاه المسلمين عالم بالفتة والحديث وعلوم اهرن واللغة والنحو والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والفرج والتعديل، وكان صبراً محشماً جمع من الكتب ما لا يوصف، وكانوا يحملونها إليه من أفاق، وكانت مكبته تساوى خمسين ألف دينار، ولم يكن يحب من الدنيا سواها، وله حكايات عربية من عرامه بالكتب، ولم يحلف ولداً فأوصى بمكبته لناصر الدولة صاحب حلب، وله مؤلفات عديدة في التاريخ والنحو واللغة، وفي جملتها كتاب 'حبر مصر من بتدئها إلى أيام صلاح الدين في ستة محلدات، وكتاب تراجم الحكماء الذي يحس في صدره، وأن ابن القفطي وعبد اللطيف لبغدادى أخذوا عن مصدر ضائع، وأما خلوكتب لفتح من ذكر هذه الحادثة فلابد له من سبب، والغالب أنهم ذكروها ثم حذفوا بعد نضج التمدن الإسلامى واشتغال المسلمين بالعم ومعرفتهم قدر الكتب، فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الحلفاء الراشدين فحذفوه، أو لعل لذلك سبباً آخر، وفي كل حال فقد ترحح عبدنا صدق رواية أبى الفرج «

ومرى نحن أن ابن القفطي كان أولى ممن تقدموه بالسكوت عن حريق المكتبة بأمر عمر بن الخطاب لو كان الذين تقدموه قد سكتوا عنه لعرفهم قدر

لكتب وغيرتهم على سمعة الحفاء الراشدين، فإن اس القفطى لا يجهل قدر لكتب ولا يسبقه سبق من المؤرخين هي المعالة بنفاسة المكتبات، فلابد من تعيل أصوب من هذا، لتعيل لسكوت المؤرخين اسلمين ولسبحين الذين شهدوا فتح مصر عن هذه الحكاية إلى أن حجت بعد بضعة قرون.

فمن حملة هذا العرض لأراء حنة من الثقات فى هذه المسألة يحق لى أن يعتقد أن كذب الحكاية أرجح من صدقها، وأنها موضوعة فى اقرر الذى كتبت فيه ولم تنص بالزمنة السابقة له بسند صحيح، وربما كانت مدسوسة على الرواة المتأخرين للتشهير بالخليفة لمسلم وتسحيل لتعصب الدميم عى وعلى الإسلام.

وإذا كانت هذه الحكاية من تلفيق النبات السيئة فالمعقول ألا بوضع قبل القرن لسادس الهجرى لدى تسربت فيه إلى الكتب المنوبة، وهذا يفسر لى كل عمومى يستوقف النظر فى الحكاية من جميع أطرافها لأن تلفيق هذه الحكاية يستلزم عناصر شتى لا تحتج كلها فى وقت واحد قبل القرن السادس للهجرة،

فهو يستلزم أن يكون الملق عليمًا بالأقوال والأحوال لى أثرت عن عمر بن الخطاب . وفيها ما يجعل حكاية المكتبة قريبة التصديق مشاهمة لما يتوخاه الخليفة فى وأمره ونواياه. ولم تكن هذه الأقوال والأحوال معلومة مستفيضة النحر بين المسلمين أنفسهم عند فتح الإسكندرية فضلاً عن المسيحيين أو الإسرائيليين، وما علمت واستفاضت بعدما نوبت السير وجمعت المتفرقت

ويستلزم تلفيق الحكاية للتشهير بالخليفة لمسلم أن يكون الملق عارفاً بما هى هذه لتهمة من المعانة، شاعر بما فيها من الاعتساف والخرية. ولم يكن هذا أيضاً مفهوماً فى أيام فتح الإسكندرية بين خصوم الإسلام، لأنهم كانوا قد تعودوا إحراق الكتب والتماثيل وعقار لوثنية وبقاياها رجساً من عمل الشيطان يستحق نار الدين قبل نار الجحيم، وما من عارف بالمكتب بينهم إلا كان يسمع بحماسة القياصرة المسيحيين فى تدمير التحف الإغريقية ولاسيما «ثيوديسيوس» الذى أحرق هيكلى شتى فيها ولاشك كتب كثيرة من بقايا المكتبة التى عليها الخلاف.

وقد يستلزم تلفيق الحكاية أن تكون مصر وأحبارها موضع هتدم ومثار قيل وقال، ولم تكن مصر قبلة أنظار لعالم كما كانت فى أوقات الحروب

الصليبية، يوم كنت هي ميدان العصر ومذط الضفر والهريمة بين حيوش الدب
المحتودة فيها أو على أنوابها.

وقد يستلزم كذلك أن يكون العصر حرازة بين الإسلام وخصومه كما كن
عصر الحروب الصليبية وما قسه بقليل.

وقد يستلزم مع جميع أولئك أن يشتد في لقل والقال حافظو الكتب
الإغريقية في بيرنطية وشواطئ أسيا العربية وهي البلاد التي كانت موطئ
أقدام الجيوش في الكر ولقر والقنوم والإباب، ومنها تدفق حافظو الكتب إلى
أوربا عندما أعار الترك على ميزنطية من تلك الأرجاء.

متلفيق الحكاية إذن كن عجيب في أيام فتح لإسكندرية وما تلاه من
لأزمة إلى زمان القفطى والبعداى وأسى الفرج الملقى، ولهذا لم تظهر حكاية
المكتبة في تلك الأيام

وتلفيقها في عصر الحروب الصليبية غير عجيب لاحتماع لأسباب التي
ستلزمها ذلك التلفيق، ولهذا ظهرت فيه وأمدبا ظهورها فيه بالسبب الذي يبطل
العجب ويفسر العوامص التي لا يفسرها تعيل معروف غير هذا التعليل.

لا أننا على لرغم من كل هذا نفرص أن عمر بن الخطاب أمر بإحرق
مكتبة الإسكندرية، فما هي الوصفة التي تلحقه من هذا الأمر؟ ولماذا كن يحرم
عليه أن يحرقها ويجب عليه أن يستبقياها ويفتح أبوابها؟ ولماذا كان ينبغي أن
يكون على يقين أنها شيء مفيد للمسلمين ولغيرها من الأمم، وأنها ذخيرة من
نخثر أعالام لا يجوز التفريط فيها؟

من النقص في تفكير الإنسان أن يشأ بمعزل عن بلاد اليونان وعن عصر
حكماء اليونان فلا يطلع على لفلسفة اليونانية؟ أكنت فائدة تلك لكتب واضحة
كل الموضوع من أحوال أقوامها الدين حفظوه، إن صح أنهم حفظوها؟

إن أحوال الروم ولقبص في ذلك العهد لم يكن فيها دليل واحد على أنهم
محفظون بينهم معرفة نفيسة، وأن ضيع كنهم فيه ضيع لسخيرة من ذخائر
العالم التي لا يجزئ التفريط فيها.

فقد كابوا على شر حال من النصف والفساد والجهل والهريمة ولشفاق

ولتهالك على سعاسف الأمور ، فبذا كن عمر مطالبا لعلم الفلسفة اليونانية أو غير ملوم على فوات الاطلاع عليها ، وإن كانت أحوال الأمم التي هي أهلها لا تدل على قيمتها بل تسوغ لاعتقاد خلوها من كل قيمة ، فأين هو العيب في تفكيره إن صح أنه فكر على ذلك لبول ؟

إنم يعيب الإنسان أن يكون عدو للمعرفة على إطلاقها ، ولم يكن عمر عدو للمعرفة ولا معرض عنها ، بل كان مشغوعاً بها حيث رآه دينية أو أدبية ، ومن قومه أنت أو من غير قومه .

فكان يستشعر العرباء في تدوين النواوين ومواقع الصبغة ولا ينهي عن علم شيء إلا أن تكون فيه فتنة أو ضلال .

وكن ولا ريب يؤثر للمسلمين أن يقسوا على دراسة لقرآن ويقدموا فهمه على فهم كل كذب ، وهذا وجه الأول الذي لا مرأى فيه ، وما من أحد هو مصاب بهذا الواجب قبل أن يطالب به عمر على تخصيص ، لأنه الحقيقة الذي هي عهده ينتشر المسلمون من أقصر المشرق ، وحيث عليهم أشد الخوف أن يحل العقد الذي جمعهم وبث فيهم الهمة والنأس وسودهم على العالمين

وفي الأحبار التي نقلت بهذا لصدد أن رجلاً أبيه انهم لم فتحوا المدائن أصاب كذباً فيه كلام معجب ، فسأله أمن كتاب الله؟ قال لا . فدعا بالدرة فحعل يصرنه بها وهو يقرأ ﴿الر * بَلَّكَ يَا الْكِتَابُ أُنْمِيس * يَا أَرْثَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

ثم قال «إبما أهلك من كن قبلكم أنهم أقسو على كتب علمائهم وأساقفتهم وتركوا التوراة و لآنحل حتى درسوا وذهب ما عنهما من العلم ،

رويت هذه الرواية عن عمر بن ميمون عن أبيه وليس فيها ما يأناه العقل . ولو حكمنا على عمر بحكم الدنيا وحكم التجربة الواقعية وتركنا حكم الدين والإيمان إلى حين

فبتجربة الرقعة أنقى عمر أن لسمين بكتسهم خرجوا من لظلمات إلى النور ومنتصروا على من حاربوه وعندهم كل كتب .

وم فرغ المسلمون بعد من قراءة القرآن ولا انقصت على تداوله بينهم

سنوات، فكيف يرصى لصيفه لدى يهيم، أمر دعاياه أن ينصرفوا عنه إلى كتب لا يؤمن ما فيها؟ وكيف يكون الحال إذا تفرقوا شذرا مدر^(١) ولهم في كل سد قرعة غير هذا الكتب الذي لم يفرغوا منه ولم يستوعبوا كل ما فيه؟ أمن عداوة المعرفة هذا أو من إنبات المعرفة التي تتقدم على غيرها؟ وإذا لم تتقدم هذه المعرفة على غيرها في السنوات الأولى من تداول القرآن الكريم فمتى تتقدم؟ ومتى يُعطى القرآن حقه من الفقه والوعى والإقبال؟ وأين هي العنيفة لروحانية التي تعدل في كتب من الكتب بعض ما عنده المسلمون بوحى لقرآن في صسر الإسلام؟

فعلى أى فرض من لفروض لم يكن في تصرف عمر ما نبأه العقل الذي ينظر إلى الحقائق المشهودة ولآثار الواقعة، ويحور أنه أمر بحراق مكتبة الإسكندرية على بُعد احتمال، ولكن الذي سجد لمصنف أن يفهم من ذلك أنه عدو لثقافة وهو الأديب لفقيه الخطيب، وهو قد وارن بين معرفة طاهرة النفع ومعرفة موهولة طواهره كلها تعرى بتهامه. ولا لوم عليه أن يولد حيث يجهلها، ولا لوم عليه أن تهتمها وهي لم تنفع ههنا يوم راحم بحسوس في الضلالة والهزيمة، ولا يقال عن عقل يفكر هذا التكبر إنه لم يفكر على هدى مستقيم

(١) شذر مدر أى متفرقين.

عمر في بيته



كان الحليفة الأكبر - صاحب الأمر هي الجزيرة العربية، وصاحب الطيبة على
من الأكسرة والقيصرة والفراغة، ومدير الحكم هي لرقعة، بوسطى بين
قارت العالم لمعمور - رجلاً فقيراً يعيش عشية الكفاف، ويقع من الغداء
والكساء، يحض لا يتمه كثير من الرجال، ويزهد فيه كثير من النساء.

عمر عنده أحب أن يخطب بعض النساء فيأبين عيشه، وقد أتى مثل هذا
لعيش نساء النبي عليه السلام، فلم يقبضن إلا وقد خيروا بينه وبين الطلاق.

وما ندرى أي الشهادة لحكم الضيفة، الأكبر أغلى وأجمل فإن الشهادات
لحكمه أكثر من أن تحصى، وهي جميعاً مما نعالى به السير وترد بجمال،
ولكن لا نعرف بينها ما هو أعلى وأحمر من هاتين شهادتين أن يعيش في
بيته عيشاً لا يشتهى، وأن تكون في يده صولة لست فلا ترى فيها امرأة من
النساء خلابة^(١) تغرها، ولا صولة تخيفها من أن ترفضها وتتابها.

إن امرأة واحدة ترقص عمر لأعلى في الشهادة له من ألف امرأة بقليل على
بيته ويظمن في سلطانه.

وقد وصفه امرأة خطبها ورفضته وصفاً لم يسمع فيما قبل عن إيمانه بالله
أصدق منه ولا أوجر وأوفى عقات أم نان بنت عتبة بن ربيعة إنه رجل «أنهله
أمر آخرته عن أمر دنياه، كأنه ينظر إلى ربه بعينه».

والذي يعيه من يوصف هو قولها عن محبته أنه كان يحبه كأنه يراه بعينه
فهو في الحق أصدق وصف لإيمان هذا الرجل المتفرد بيمينه كما يفرد
بكثير من شئونه إنه تجاوز حد الإيمان إلى حد الرؤية والعيان، وحقق مبالغ
أبي الطيب المتنبئ حين وصف العدة القصوى من لشجاعة، وحكمه فقال

تجاوزت مقدار شجاعة والنهي في قول قوم استمالع عالم

(١) حالة أي ما يحب ويحده

ومهما يكر من إيمان بالغيب فهو لا يسغ في يقين واحصور مبلغ الرؤية
دالعين، وهي قولة عبيرة من قائلة أصابت ما لم يصبه قائل، ولعلها لا تدرى
مدى صوابها .

وخطب عمر أم كلثوم بنت أبي بكر إلى أختها أم المؤمنين عائشة رضي الله
عنها فقالت له الأمر إليك ثم سألت أختها فأنته وقالت لا حاجة لي فيه.
فزجرتها قائلة أترغبين عن أمير المؤمنين؟ قالت نعم إنه خشن العيش شديد
على النساء وكرهت عائشة أن تجبهه^(١) بالرفض فوسطت في الأمر عمرو بن
لعاص يحتال له برفقه وحسن تدبيره، فجاء عمر ومأخذه قائلًا بلغني خبر أعيذك
بالله منه. قال ما هو؟ قال خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر^(٢) قال نعم، أفرغيت بي
عنها أم رغبت بها عنى؟ قال لا واحدة، ولكنها حدثت^(٣) نشأت تحت كف أمير
المؤمنين هي لين ورفق، وعبك غلطة، وبحزن نهاب وما تقدر أن تردك على خلق من
أخلاقك، فكيف بها إن حالفتك في شيء فسطوت بها؟ كنت قد خلفت أبا بكر في
ولده معير ما يحق عليك... ففهم عمر أن ابن لعاص لا يقدم على هذه الوساطة
بغير موسط، وأن هي الأمر مما سألته على نحو من الأحكام، فسأله كنهه يستطلع ما
وراءه من الممانعة كنف بعائشة وقد كلمتها؟ قال أنا لك بها، وأدب على خبر
مها أم كلثوم بنت عسى بن أبي طالب، نعت منها بسب رسول الله.

وام كلثوم بنت علي حدثت أيساً، ولحطور في عضابها كبر من المحطور
في إعضاب بنت أبي بكر، وإن عتمد بن العاص عى أن عمر يملك نفسه فلا
بعضبها، فقد كن حرياً به أن يعتمد على شيء من ذلك في خصمه ليست
لصديق فلن يفوت عمر - وهو يعلم من يخصصه في الأمر - أن يفهم حبيته
سعيه، وأن يتجاهه لئلا يكشف موقفه، برفض والاعتذار من عائشة وأختها -
رضى الله عنهما- ويعمل بما يراه الصواب

ولطريف في القصة - وكلها طريف - أن ذهب عمرو بن العاص إلى خليفة
لنواحه بما يؤخذ عليه من خلائقه وهو من أن يعضه، بل هو فوق ذلك وأثق
من موافقته إياه ما دام على صدق في مقوله.

والمرأه أن تأسى الضئونة في رجبها ولا تسفريح إليها، ولكن دارس الأخلاق

(٢) حدثت صغيرة بالس.

(١) بجبهه نواحه

لا ينبغي ان يعيب هذه الخصلة ، لا بمقدار ما فيها من نقص في اطناع
 الإنسانية الأصيلة.. إذ المحقق أن الخشوبة حرم من الصقر والمروية ولكننا
 نحطى كل الخطأ من حساب حرمنا من البر والرحمة، لأن المرء قد يكون
 ناعم للمس وهو قاسٍ مفرط لقسوة، ويكون خشن للمس وهو رحيم مفرط
 الرحمة، ويعلى في هذه الحالة أن تكون خشونته - كما أسفنا في فصل
 سبق - درعاً يستر بها مواضع اللين في حلقه، وصرعاً من الخجل أن يطلع
 على ناحيه فيه يتطرق إليها لضعف وتنقد منها الرماية

والخشوبة بقيض لصقل والنعومة، وليست نقيض العصف والرحمة، وعمر بن
 الخطاب من أقدان الرجال لذين تتجلى فيهم هذه الحقيقة أحسن جلاء، حتى
 في علاقته بالأهل والنساء

رحمة عمر رحمة في علف، وليست برحمة المكشوفة لكل نطر ولا مس، ولا
 تصول بالناس عشيرته حتى ينفشع هذا لغلغلة عن قلب وديع مفعم بالعطف
 والمودة، مفتوح اجواب لكل عاطفة كريمة ولو لم تكن من ولى حميم

ففسدوه اللاتي عاشربه قد كلفن بحبه ورضين عيشه لرضاهن بمودته وعطفه،
 وكنت إحدى التي سميت العاصية وسمها النبي عليه لسلام الجمية لا
 يطيق مراقبه، فإذا حرج مشيت معه إلى باب الدار فقلته ولم تزل في انتظاره

وكنت من سائه عاتكة بنت زيد، وهي على قسط وافر من الجمال ومن
 لذين ومن لئلاعة، تولدت^(١) في رثائه حين قتل هم يكن بكؤف عليه كبكاء كل
 زوجة على كل روج فقيد، وتعددت قصائدها في تأبينه بكلام لا يغيب عنه صدق
 المدح ولا صدق الحسرة وهي التي قالت فيه

عصمة الناس والمعين على الد	هر وغيث المختاب والمحرو
قل لأهل الضراء والنؤس موت	قد سقنه لنور كاس شعوب ^(٢)

وقالت فيه

رعوف على الأدنى عيظ على اعد	خى ثقه هي البائت مبب
متى ما يقر لا يكذب لك قوله	سريع إلى الحيراب غير قطوب

(١) موبت كان علفها يذهب من شدة الحر (٢) شعوب سم للعنة والموت، سميت كذلك لأنها تفرق الحلال

وقالت فيه

جسد يصف هي أكفـه رحمة له على ذاك الجسد

وقالت فيه

يا ليلة حسبت على نجومها فسهرتها والشامتون هجود

قد كان يسهرنى حذارك مرة فالبوم حُقْ لعينى الشهيد

ولا نُكِّى الرجز هذا النكاء على ما فى عيشته من الشظف إلا ومن وراء
حشوبته مودة قلب تعد إلى القلوب.

وأكتف ما تكون الدروع رُق ما يكون لموضع الذى يسها وأخوفه من
الإصابة فسطرُين لموضع الحصين لمحمى فهذاك لموضع اللين الذى
بخاف عليه، ولا بخدعت عن ذاك خدع من إظهار أو نظاهر غير مشعور به،
وغير مقصود، أين أكتف ما تكاثفت العلطة فيه من درع عمر التى عيبتها؟

المرأة ولا نزاع

فعلى المرأة كتب له عبرة شتهر بها وعدت من دلائل شدته عليها، وهى هـ
يقول رسول الله ﷺ «إن الله عيور يحب العيور، وإن عمر عيور».

وعسى المرأه ومن لمأه كن حدره أن تتحائل للعيور وسرج فى مضطرب لفتور،
وكلف أوصى بوصية فيها هابما هى الفتنة التى يتقيها، فما قل عليكم
بالأنكار لم يقل عليكم بالأنكار لأنهم امنع وأنصر، ولكنه قل عليكم بهن لأنهن
كثر حنًا وأقر خبًا^(١).

ولما توحس من زواج مسلمين بنذات الأعاجم، لم يتوجس منه لأن حرام بن
لأن «هى نساء الأعاجم خلافة، فإن أقبلتم عيهن عليكم على سائكم»
فانخلافة هى المحذور الذى يتقى.

وهنا كثافة الدرغ فاسحت هنا عن مفض لحذر، إنك لا تعد كثير حتى تلعب
الموضع الذى به عليه الرجل حيث قل، «لو أدركت عفرأ وعسرة حمعت
سهما^(٢)»، أو نم عليه الصبى الذى عناه ابن الخطاب حيث قل، «أحب أن
يكون الرجل فى هله كالصبى، فإذا احتيج إليه كن رجلاً».

(١) الحب حذاع (٢) عسرة بن حرام شاعر من الشعراء العشاق المشهورين وصاحبه عفرأ مات شهيد عشقه

ومنى كى فرط العيرة على المرأة أو احصر منها داسلاً على أنها ذلك الشيء
أهين، وإن قل الغيور لحدور بسببه إنها لشيء مهين؟

وابحث عن جانب واحد مغلق أو مقطوع من حوائط الحرم الذى ينسعى أن
يوصل فإبك لى تحده فى نفس هذا لرجل بته ومن جهت فى ابحت.
فكان اساً برأ لا ينسى لتحدث عن أبيه، ويعتز بذكراه عى ما كان من
قسوته عليه فى صباه، ولم يرل يقسم باسمه حتى بهد النبى، فانتهى وهو
يقارب الكهولة.

وكان اساً صب أساءه ويعرف وحد الآباء بالأساء، وبتزع الثقة من ول لا
بحنو على صغاره. أمر بكتابة عهد لبعض لولة فأقن صى صغير فجس فى
حصره وهو بلاطفه ويقبله، فسأله لمرشح للولاية أنقل هذا ي أمير المؤمنين إن
لى عشرة أولاد فقلت 'حداً منهم ولا دنا أحدهم منى.. فقل له عمر وما
نسى إن كان لك عز رحل نزع الرحمة من قلب. إيم يرحم لك من عبده
الرحماء. ثم أمر بكتب لولاية أن يمزق وهو يقول إبه بدا ثم يرحم أولاده
فكف يرحم الرعية؟

وكان كلاب من أمية الكدنى فى عروة فاشتاق إليه أبوه ألهم وحزن لعيانه،
وتصر سؤه بعمر فكتب إلى قائد الجيش يسعید كلاباً إلى المدينة، فلما عاد
ودخل عليه سأله ف بلغ من برك تأيك؟ قل كنت أكتبه أمره، وكنت أعتمد -
إذا أردت أن أحلب اساً - أعزو باقة فى إبله وأسمنها فأربحها وأتركها حتى
تسفر، ثم أغسل أخلاها حتى تبرد ثم أحلب له فأسقيه.

ثم بعث إلى أبيه فجاء يتراوح فى مشيته ضعيفاً بصره، معنياً ظهره، فسأله
كف أنت يا أما كلاب؟ قل كما ترى يا أمير المؤمنين ثم جاءه بلى حليه
إنه مفلر الرجل وقل وهو بدنى الإناء إلى همه لعمر الله يا أمير المؤمنين بى
لأشم رائحة يدى كلاب من هذا الإناء! فقال عمر هذا كلاب عندك حاضراً قد
حدثك به فوثب إليه ابنه، وصفق الأب الذى لم يكذب يراه يضمه ويقبله، وبكى
عمر، وأمر كلاباً أن يلزم أبويه ما بقيا، وله عبدة كأنه يجاهد فى سبيل الله.

ومن حاته على الأطفال أنه كن يشفق عليهم أن يحزنوا فى لهوهم ولعدهم
فلا يترك الضئف منهم حتى يئمن عى لهوه ومحصول لعبه، فحدث سنان من

سلمة أنه كان في صباه يلتقط البلح في أصول لخل مع بعض الصبية إذ أقبل عمر فنفرق الغلمان وثب هو في مكانه، فمادنا منه أسرع قائلاً يا أمير المؤمنين، بما هذا ما ألقى الريح قل عمر رضى أنظر فيه لا يخفى على فنظر في حجره ثم قال صدق.. إلا أن رضى لم يقع بهذا حتى يحرسه أمير المؤمنين إلى بيته فقال يا أمير المؤمنين، أترى هؤلاء الآر؟ وأشار إلى الصبية لهاريين، ثم قل والله لن اطبقت لأغروا على فاسترعوا ما معي فمشى معه عمر حتى بلغه بيته

وكثير على المصدقين لمعرضين في الصديق أن يعرفوا هذا عن عمر ثم يصدفوا أنه وأد ساء في الجاهلية على تلك الصورة البشعة التي انبثقت إليها في بعض الروايات، وحلاصتها أنه رضى الله عنه كان جالساً مع بعض الصحابة إذ صحك قليلاً ثم بكى فسأله من حصر فقال كنا في الجاهلية نصنع صنماً من العجوة فنعبده ثم نأكله، وهذا سب صحكى، أما بكائي فله كانت لي ابنة فأردت وأدها فأخذتها معي وحفرت لها حفرة فصارت تنفض التراب عن لحيتي فدفعها حية

فهي قصة يعنور الشك من ناحية ضحكها ومن ناحية بكائها ومن ناحية اجتماعهما في لحظة واحدة لتمكين واضع القصة من التفرقة بين عصرى عمر في جاهليته وإسلامه، وأدعى ما فيها من الشك تلك الحاتمة التي يتم بها اخضرار الفحيجة والبلوغ بها إلى دروتها وهي نفس الطفلة الصغيرة تراب حفرتها عن لحية أبيها.

فالوإذا لم يكن بالعادة لشبثة نير جميع القبائل العربية، ولم يشتهر بنو عدى حاصة بهذه لعدة ولا اشتهرت بها أسرة الخطب التي عاشت منها فيم نعم فاطمة أخت عمر وحفصة أكبر أولاده وهي لى كنى أب حفص بسمها.

وقد ولدت حفصة قبل بعث الإسلامى بخمس سنوات فلم يشدا. فمادنا وأد الصعري المزعومة وهي على السر لى تفهم فيها كيف تنفض التراب عن لحية أبيها؟ ولماذا انقصت أخبار هذه لصعري المزعومة فلم يذكرها أحد من بحوانها وأحوالها ولا أحد من عمومته وحنولها؟

ما نحسبها إلا إحدى جبايات الإعراب على من خفقو وهي سيرتهم مثال

للإغرب والإعجب، فهي احصاءة بصعفها خلائق عمر النى لا سدر هذا النبدل
من اسقيص يى النقيص بين جاهليته وسلامه، وقد كان عمر فى جاهليته لم
يسلم بعد يوم أشفق على أخته وهى دامية الوجه، وكان فى جاهليته يوم أحب
أخاه حبه المعرط وبقي عليه.

فليس وقوع، لقصة المزعومة فى الجاهلية مانعاً لعرابتها ومعرباً بتصديقها
وعبر هذا الآب وهذا الأخ يطبق هذه الفسوة النى لا صدق.

إن قليلاً من الأنباء من 'حب أئده كما أحب عمر' بقاءه، وإن قليلاً من
الإخوة من أحب أخاً كما أحب عمر زيد أخاه، فما سمع سمع بعد بقله إلا
سالت عثرته، وما هبت لصبا، كم قل، إلا وجد نسيم زيد وتمنى نظم الشعر
لبنظمه فى رثائه.

بل إن قليلاً من الأصدقاء من 'خلص لأصدقائه وعشرائه كم أخلص عمر
لكل صديق وعشير - وهو القتل. «لقاء الإخوان حلاء الأحرار»، وهو القائل
حرصاً على المودة وضد بها «إذا أصاب أحدكم ودأ من أخيه فليتمسك به،
فلم يصيب ذلك».

فبادر أردنا أن ندق عن وشائج الرحم وصلات المودة فى نفس هذا الرجل
لمهيب الخيف فلسفت عنها فى يناسعها لحيية، لتى تسرى منها وترقرق فى
بواحيها، ولا تنقب عنها فى لصخور التى تكتنفها وتطفو عليها وترفع أعلامها
أو تحر حريون أن تنقب عنها بين هذه الصخور والأعلام ولكن على هدى
وبصرة. فلا نقع منها برأى العين من بعد أو قرب، ولا نفترى من تنديه كأنه
كل شيء تحتويه.

فم هذه الصخور والأعلام التى كانت تروع الباضر من هيبة عمر ومن ملامح
سيماه؟ هى مظهر قدرته على نفسه لا أكثر ولا أقل، وهى لحارس ليقتط
الذى يحمى تلك النفس أن يتسرب إليها الوهن وأن يؤخذ على حين غرة، من
حدث يخاف عليها

ولمراء لا يعتصم بقدرة على نفسه وهو آمن، ولا يوقظ الحارس على دخيلته
وهو وادع فى سريره إنما يعتصم بقدرة ويوقظ حارسه حين يحذر، ونما
يحذر من الطارق لدى لا يسهين به ولا يرال على رقعة منه

وقد كان عمر بن الخطاب أكثر ما يكون اعتصاماً بقدرته في أمس الأمور بقية وسريرة طبعه في حشبة الخديعة من ناحية انترف والمتعه، فهو لا يستسلم لشهوة مأكلا وممس ولا فيه ديوويه، وفي حشيه احدىعة من ناحية ولده وأمه فهو يجفل من أن يرى لهم ررق لا يعرف مآتاه، ويجفل من أن يرى بهم بلا سماء بين الإبل لعجاف مخعه أن يسمتها لهم الدس هي مراعيهم لأنهم ولد أمير المؤمنين وتلك إبل نساء أمير المؤمنين

وكان أكثر ما يكون اعتصاماً بقدرته حين يمح الفتنة الكبرى لى يقتدر به شيطان الغواية، وتلك هي المرأة لا فرق بين خياره وشراره، فمن شراره استعد بالله.. ومن خيارها كن على حذر.

وذا عتصم عمر بن الخطاب بنفسه فستظر شيئاً وحداً لن تجد حولاً عنه، وهو تقديره العدل تقدير الحائف أن يريد فيه شعرة أو ينقص منه شعرة.. ومتى اعتصم بنفسه ستيقظ وانتصر، ومتى استيقظ وانتصر فللحق يقطبه وهي سبيل الحق انتصاره.

يعرض شأن المرأة فهو العنور الحذور، وهو لواقف على الميرس فيما تعطاه وعيم تعطيه، فلا هي بطالة ولا مطومة في كل أمر يرجع إليه

فمن همه كان لا تطلم لضعفها ولا تعين لحيائها وحفره، ومن حقه عبده ألا تكره على رواج الرجل لقبيح، تحب لنفسها ما يحبه الرجل لنفسه، وأن يعرف له عذرها حيث يعرف للرجل عذره في لصله بيها وبينه فسمع مرة أعرابية تنشد

فمنهن من تسقى بعذب مبرد نقاح^(١) فتلكم عند ذلك قرت

ومنهن من تسقى بأخضر اجن^(٢) أحاح^(٣) ولولا حشبة الله قرت

فتوهم في زوجها عيباً وأرسل في طلبه فإيا هو متغير الفم، فخيريه بين خمسمائة درهم وطلاقها، ففقر الدرهم وطفله.

وسمع امرأة من وراء بابها تنشد

تداول هد الليل تسرى كواكه وأرقى ألا خسر ألامه

فوالله لولا الله لا شيء غيره لرازل من هذا السرير جرنه

(١) نقاح، ماء يعبد بصفى (٢) لاجن ماء الحنجر لطعم واللون (٣) والأجج نالح، بر

فسأل عن زوجها فلم أنه حرج في غرويه صارت غيبته فيها، فأمر بعد ذلك ألا تطل غيبة الأزواج في العزوات.

وكان يقبل شكوى المرأة من زوجها الذي بهمر النظافة ولزينة، لأن النساء «يحدثن أن تتزينا لهن كم تصون أن يتزين لكم».

وقبل شكوى المرأة من زوجها الخصب^(١) قبل لئاء بها بوهما أنه شاب وهو موخوط لرأس بالشيب، فأوحعه صرباً وقال: غررت القوم

ولم يكن يتحرج مع المرأة مثل هذا التحرج أن تستر من سيرتها ما لا يصير ستره إن عاق زواجها فكشفه رجس بأمر ابنة له أسلمت وأصحبها حد من حدود الله، فهمت أن تدبح نفسها، فأدركها أهلها وقد قطعت بعض زوجها^(٢) فبرئت ونات واستقامت على الهداية فسأله آخر القوم الدين يخطبونها بما تقدم من سيرتها؟ قال: «ولك»، أتعمد إلي ما ستره الله فتديه؟ والله لئن أخبرت شأتها أحداً من الناس لأحعبتك نكالا، «أنكحها نكاح العقفة المسمة».

فهي أولى عنده ببعض الحباة حين لا ضير في الحباة، وقد عاهد الناس فيما عاهدهم عليه «ليمنعن النساء إلا من الأكفاء»

وبرى أنه قصي في خلاف بين الزوج وزوجة بانقول الفصل في بناء الأسر وتعمير البيوت، حين قال رجب هم بطلاق امرأته لأنه لا يحدها «أو كل البيوت بنى على الحب؟ فأين الرعية والتنعم؟».

فيه لمر برت البيوت لم يدركه متجددة العصر الذين يعطون بأحب والرواج ويجهنون أن الرعاية والندم أقصم بالرام والعمير من رواح يبني على الحب وحده، لأن الحب موط بالأمواء التي يغير بين أوبة وأخرى، وأما مناط الرعاية والندم فهو الأحلاق التي قل أن يطرأ عليها تغيير

وفد استشار النساء فيم يحسن كم استشار الرجال فيما يحسنون، ولم يتعال قط أن يرجع عن خطئه إذ ردت عنه امرأة بانينته لصادعة^(٣) ومن ذلك أنه نهى ناس في بعض خطبه أن يريدوا مهور أسباء على أربعين أوفية، فصاحت به امرأة فطساء من صفوف النساء: «مداك لك؟ فلم يأنف أن يسألها

(١) الخصب الذي يحصب بالحب أو بخرد (٢) الأوداج جمع وديج وهو عرق في العنق

(٣) البسة لصانعة المراد لبينة التي تعمد على الإدمان والتعديج

ولم؟ قالت: لأن الله تعالى يقول ﴿وَأَنبِئُكُمْ إِحْدَاهُمُ قَطْرًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْ شَيْءٍ
أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾. فرجع عن خطئه واعترف بصوابها.

فما للمرأة من حق تعطيه، وما ليس لها بحق لا تعصده وتدار عنه

والذي ليس لها بحق في رأي عمر - ورأي كل رجل ذي رحولة - ألا تعرض
لعمله لدى لا يفعله، ولا يرجع إليها في مثله، ولا سيما إن كان شئاً من شئون
لدوله، ومهمة من أخص مهام لرجال، فحشفت له امرأته في أول مقصر
تسأله هيم وجدت^(١) عليه؟ فالتفت عاصباً وقال لها: وقيم أنت وهما؟.. ثم
أنت لعبة يععب بها ثم تتركين كلمة لا تلبس القفار الداعم، وم يحلق القفار
الداعم يلبس في كل حين.

والذي ليس بحق لمرأة أن تغلو كلمتها على كلمة وليها، وهذا الذي كن
ينكره عمر على أهل المدينة حيث قال: «.. كنا معشر فريش نعلب النساء، عما
قدما على الأنصار، إذ، هم قوم تعلمهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب
نساء الأنصار.

وصحت عني امرأتى فراجعني فأنكرت أن تراجعني. قالت ولم تنكر أن
أراجعك؟ فوالله إن أرواح النبي ﷺ لبرأعته وإن إحداها لمحرره اليوم حتى
الليل.. فأفرعني...».

نعم هذا مفرع لعمر، وقد كان ولا ريب مفرعاً لرسول الله أن تعو كلمة عني
كلمته في بيته، لكن طريقة محمد في تعليق الكلمة طريقة نبي يوم مسعيه،
وطريقة عمر طريقة مريد مؤتم ببيوة، ولا جناح عني عمر ألا يلحق بشأو محمد
في كل ما سبق إليه

فمحمد إنسان عظيم، وعمر رجل عظيم، وهذا هو الفرق بينهما كما بيده
في منسبة سابقة وإنما انفارق بينهما في المناسبة التي نحن بصدد أن
لرحم العظيم يرحم المرأة كم يرحمها الجدي في معرض القوة والنضال،
ولكنه يأنف أن يستكين لسلطانها في معرض الهوى والفتنة، فيكسرها ولا
يكسرها إذا جت في الغرور وتطلقت في عتابه، ومن ثم سبصر عمر ولده

(١) وجدت عينا عصمت من المراجعة.

نفسه - عبد الله - لأنه عجز عن تصيق روحه، فما أشروا عليه باستحلافه فل
لم كلمه في ذلك «ويحك» كيف أستحيى رجلاً عجز عن طلاق مرأته^(١)».

أما لإسنان لعظم فهو يشمل ضعف الإنسانية كله ويعطف عليه ومنه
ضعف المرأة في عرورها واعتزازه بدلال لضعف على القوة لأنه في حقيقته
اعتزاز بمكانها منها وتقدير لتلك لقوة في بعض نواحيها فهو يرى في تكبر
المرأة إذ كانت كثيرة عنده نوعاً من الاعتراف بكبره، وهو لا يقف معها في
ميدان كما يقف كل ذكر ونثى لأن ميدانه هو يشمل أيدينيين مجتمعين إذ هو
ميدان الإنسان كله والإنسانية جمعاء.

على أن شأن الرجل مع المرأة لا يظهر من رأى الرجل فيها كما يظهر من
رأيه فيها فبعد معمة عمر للمرأة وقوله فيها يبقى له شأن في عالمها يظهر لنا
من رأيها هي فيه.

وقد أكرت سيدة نساء عصر عمر فوصفته بأنه كن نسيج وحده، وهي
عائشة رضي الله عنها، وجمعت الشفاء بنت عبد الله بعض صفاته فقالت إنه
«كان إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو الناسك حقاً»،
وصاحت أم أيمن مرصعة لبني يوم أصيب «اليوم وهي الإسلام».

وعينا نحن أن نسأل المرأة في عصر عمر عن مثل الرجل في عصرنا، ولا
نسأل فيه نساء زمان غير ذلك الزمن وما نحالت نعرف رأى المرأة يومئذ في
الرجل الذي يكبر في عينها كما نعرفه من امرأة هي هند بنت عتبة زوج نبي
سفين وأم معاوية، فليس أقدر منها على الحوب ولا أصرح فيه.

جاءت أبوها يشاوره في رحلين من قومها يخطبانها فاستخبرته عنهما
فقال يصفهما «أما أحدهما ففي ثروة واسعة من لعيش إن تبعته تابعك، وإن
ملا عنه خط إليك، تحكمين عليه في أهله وماله، وأما الآخر فموسع عليه،
منظور إليه في الحسب والرائى الأريب، مدره أرومته^(٢) وعر عشيرته،
شديد العيرة لا يدم على صعة، ولا يرفع عصاه عن أهله».

فقلت «يا أبتا» لأول سيد مصياغ للحره، فما عشت أن تلبس بعد بئها،
وتصيع تحت جديحه، د، تابعها بعها فأشرفت^(٣) وخافها أهلها فأمنت؟ ساء

(١) مدره السيد الشريف المقدم في نفس وسد ولأرومة الأصل. (٢) الأثر لغير

عند ذلك حالها . وقبح عند ذلك دلالها . فإن حانت بولدها أحمقت . ومن أنصت فمن خساً ما أنصت^(١) فاطو ذكر هذا عني ولا تسمعه على بعداً وأما لآخره من لفظة الحريصة العقية^(٢) . وإلى لأحلاق مثل هذا لوأمقة فزوحيه»

وبحسب هذا رأى المرأة للحياة في زمان عمر . ولو شئت بحسبها رأيها في كل زمان عني أن نضمه بمطابق لقلب ولا تلقى بطرف اللسان فإن ربت خشية العيش في بيت عمر عني القدر الذي مرصاه المرأة فهي خشية غير محققة السبب . لأنها لا تحسب عني عمر «الزوج» من ناحية حتى تحسب لعمر «الرجل» من ناحية أخرى . إذ هي بم ذات من قلة القدرة عني لعيش وإنما جاءت من كثرة القدرة على النفس . وهي خبيقة بعجب بها المرأة في الرجل لدى تكبره . لأنها من أقوى حلائق الرجولة فيه .

وليس لدينا بين واقف عن النساء اللاتي تزوج من عمر يعين على التمييز بين سمائهن والنحت في المياسم الشخصية التي يتعدن فيها أو يختلف . ويحيز لك أن نسهب في لكلام عن موقع كل مهن من نفسه . وأثرها في حياته . ومبلغ حظوتها عنده . وسبب هذه لخطوه في ربه وشعوره . وما يدل عنه جميع ذلك من نوع فطرته ودوقه . فقد سكت لتاريخ وسكت عمر عن كل بدن واقف في هذا الباب . فلم يبق لدينا منه إلا أسماء وأعوام وبوادير مقتضيات . لا تساعد على تكوين سمات واصحات فصلاً عن لتفرقة بين تلك السمات

عمر أنت تعتقد أن التاريخ لم يعقدنا شيئاً كثيراً في هذا الباب . لأننا مستطيعون أن نعوض ما فقدناه بالقياس إلى ما عرفناه . فلا نخطئ إذ رحت أن سمات هؤلاء النساء جميعاً تدخل في صق الوصف الذي كان يستحبه عمر في المرأة ولا يطبق منها أن مدافعه وتخرج عنه .

فأفصل ما كان بشرطه في المرأة أن تكون ولوباً ووداً . ولا تعاب بالحقوق فيسرى حمقها في دمء ولده . إذ «لم يقم حنين في طر حمقاء تسعة أشهر إلا خرج مائناً^(٣)» - كما قل .

وما دوق لحمال فقد كان عمر به كما كن في جميع حلائقه عرباً حباً

(١) أحمقت وندت أحمق . وأنجبت ولدت حبناً

(٢) الحريصة بعداء فيها حياة وحده والعقية الكريمة

(٣) المائناً الأحمق ليس

يستمتع ما يستملحه كل عربي صميم، ويستحس الحسن عنده وهو أعم من الملاحه ويروى عنه أنه قال «سروجه سمراء دلفاء»^(١) عيب^(٢) من فركتها^(٣) على صدقها» وأنه قال «إذا تم ببض المرأة في حس شعرها فقد تم حسنها» وهذا هو الملاحه والحسن كم وصف في الشعر لعربي من قديم إني حديث ومن القبل الذي بقي لدينا من أخبار سائه تعلم أنه كان موقور احظ من هذا الحال في لزوجات، فقد وصف أكثرهن بالحسن لبارع، وضرب المثل بملاحه إحد هن بين ساء قريش وهي قريية بنت أبي أمية بن المعيرة، فروى في مأنور الحديث الشريف أن سعد بن عبدة قال يوماً في حضرة النبي عليه السلام ما رأيته من ساء قريش ما كان يذكر من جمالهن؛ فقال له عليه السلام «هل رأيت ساء أبي أمية بن المعيرة؟ هل رأيت قريية؟» وهي إحدى زوجات عمر قبل إسلامه.

وروى أن حميلة بنت ثابت سميت بهذا الاسم لجمالها، وكان سمها هي الحاهلية عاصية، فكرهته بعد إسلامها، وسألت عمر ثم سألت النبي في تغييره فتفق على تسميتها بوصفها ونوديت بعد ذلك باسم حميلة، وروى عن عتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل أنها أعطيت شطر الحسن مع ما رزقته من لفصاحة وتقوى، وروى مثل ذلك عن زوجات أخوات وإن لم يتفوقن هذا التفوق المشهور ومن أخبار زوجاته أنه طلق شتين من أشهر سائه بالجمال وهما قريية وحميلة. تزوج الأولى وطلقها قبل إسلامه، وتزوج بالثانية وطلقها بعد إسلامه، ولا بدري على التحقيق ما سبب تطلق هاتين الزوجتين الحميلتين، فهل هو دلال الجمال ضاق به صدر عمر وهو على شموخ امرأة غير صبور؟ لعله ذاك، ولعل أذى ألقى عتكة بنت زيد في عصمته أنها تجاوزت دلال الصفر حين بنى بها، أو غضت من دلالها بالفتنة والتقوى.

وكذلك بقيت في عصمته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وهي حميلة صغيرة، وولدت له ابناً سماه باسم أخيه زيد الذي كان يحبه ويذكره ويطلب المكاء عنده، وأعزاه عنده السبب والأدب والمحافظة على أصرة النبوة، فلم يفرقا في الحياة ولم يشب بينهما خلاف إلا حين حاصتها الهدية من ملكة الروم فضمها إلى بنت المال.

(١) دلفاء صغيره الأنف (٢) عيب حسنه العين وسعها (٣) فركتها أبصتها وركتها

وله مع إحدى أولئك الزوجات قصة صغيرة لا يعوتت بردها هي لكلام على حياته الخاصة لأنها كثيرة الدلائل عليه تدل على عمر في ثوبته، وتدل على عمر في سورة صبعه، وتدل على عمر في ثوبته إلى الحق كلما وجب أن يثوب له فقد طلق حميله وله منها ولد صغير، فراه يوماً يلعب مع الصبيان فحمه بين يديه، فأدركته جدته، الشموس بنت أبي عامر وجعلت تمارعه ياه حتى أسهيا إلى أبي بكر رضي الله عنه وهو حليفة - فقال له أبو بكر حل بسنه وبينه فهي حاصنته. فردّه إليها ولم يراجعها بكلمة.

ولعمري إن في هذه لقصة الصغيرة من الدلالة عليه لا يعنى عن قصص، وفيها عمر إنسان عطوف، وفيها عمر رجل سوار الطبيعة، وفيها عمر صاحب خلق مكبر يكبح من صيغته كل سورة جاورت حد العدل والإنصاف، وهذا هو عمر في شتى نواحيه.

وقد تدل هذه القصة على شيء يبرئه من بعض اللوم في تطليقه أم هذا الولد فاسمها عاصية وسم أمها الشموس، وكأنه - كما ينسب عنهم هذا الاسم - من أسرة تباهى بدلال بدنها وشموسهن وتختار لهن من الأسماء ما يدل على هذه الخصلة، وقد يضيف إلى تأكيد هذه الخصلة فيهن أن عاصية غضبت حين اختار لها عمر اسم حميلة وقالت له سميتني باسم الإمام! ثم ختار لها النبي هذا الاسم فقالت يا رسول الله! أبيت عمر فسميتي حميلة فغضبت قل عليه لسلام أو ما علمت أن الله عز وجل عند لسان عمر وقلبه؟

فكأنها شأت في قوم يعتقدون أن الحسين والترغيب إنما هو من شأن الإمام، وأن الشموس والعصيدة ألق بالحرائر وإن أحبب أرواحهن وأحبوهن، فإن كان في تطليقها مأخذ على عمر فقد يكون فيه مأخذ عليها تفسر له فتراقهما بعدما أحبا وأحبت.

ودقق عمر الدربة من دكور وإماء بحياء ونجيت، فقرث عنه بهم لأنه كان كأمير البداوة كافة يستكثر من الذرية ويوصي الناس أن يستكثروا منها، وكانوا جميعاً عنده بمكان الحب والودة لا يخشى الانحراف عن العدل من جانب كما يحشاه من جانب هذه الذرية أو جانب أهله على التعميم، ولهذا كن يجمعهم إذا نهى الناس عن حوزة حق من الحقوق فسلعهم أنه قد نهى عنه

ويذكرهم "إن لئس يطورون إليكم نظر الطير إلى اللحم"، ويفسّم لهم لئس فعنه أحد منهم ليضعفن عليه العقوبة!

ولس ب أن نحصى فتاواه وقضيت في محاسبة أهله أو محاسبة أئنه خاصة قد سائر أهله، فداك عمر له لم يقطع عنه طوال حياته، ولك يكفى بمثل من مثل عديدة مساورة وهو قصاؤه في تحار أئناه بمال من بيت مال المسلمين، وداك أن ائنه عند الله وعبيد الله حرجا في حيش إلى العرق، ففلا تولا بالنصرة وذهب إلى أنى موسى لأشعري وهو أميره، فقال لهم لو أقرر على مر أنفعكما به؟ ثم عرض عليهم أن يحملا إلى أبيهم مالا من مال الله فيشتريا به متاعا من لعراق يبيعه بالمدينة ثم يؤدسان رأس المال ويكون لهم لربح فلما عم عمر سألهم أكل الحيش أسلفه؟ ثم أمرهم أن يؤدوا أئال ورجه، فسكت عند الله وقال عبيد الله ما سعى لك يا مير المؤمنين هذا، لو نقص هذا أئال أو هلك لضربه^(١) وقال ربح في المجلس ما أمر المؤمنين لو جعلته قرصا^(٢) فحد رأس مال ونصف ربحه، وأخذ الله نصف ربح المال

وإما كان عمر يقى محاسبة الولاة لأبائهم وذويهم وقرار هذه محاسبة بإيه، ولكنه كان يقترض من بيت المال ليتجر ويربح ما يعيش به في أهله، ويلجأ إلى التجارة لقله رزقه الذي فرضه لنفسه من بيت مال المسلمين، وقد فرض رزقه لنفسه بعد مشاورة أصحاب رسول الله، فقال عثمان كل وطعم وقال عبي ما يصلح ويصلح عيال بالمعروف، ومن أسرت قضيت وكان يقترض فيعسر فيتأخر قضاؤه، فيأنيه صاحب بيت المال ويشد في تقاضيه، فيحتل له عمر ويؤجله إلى أن يستحق عطاءه مع عطاء المسلمين، فيسد به دينه

مع هذا كان يشفق أن يقترض من بيت المال إلا أن يتعدر عليه، لاقتراض من بعض صحبه، فأرسل مرة إلى عبد الرحمن بن عوف في طلب أربعة آلاف درهم يسهر بها عيبرا^(٣) إلى الشام، فعاد لرسول يقول له خذ من بيت المال ثم ردها وشق ذلك عليه فلقى صاحبه وعم منه صدق ما سعه فقال أقرمت عمل أن تحيى قلتهم أحدها أمير المؤمنين دعوه له وأخذ يوم لقيامه؟ لا ولكني أردت أن أخذه من رجر حريص شحيح مثلك، فإن مت أخذه من ميرثي.

(١) اعرض فرصة قرصا أى دفع به مالا سجره ويخون بربح يسبب على ما شرط

(٢) العبر الإبل التي تحمل الود

وحدث ما توقعه من محيء الأجل قبل سداد ديونه جميعاً فلم يشغله الموت ولا شغلته كدور الخطوب التي يضطرب بصريفها قبل موته أن يسأل عن ديونه ويوصي بسدادها من ماله ومال أهله، وقال لاسه «إن وفي به - أي دالير - مال ل عمر هذه من أموالهم ولا فاسأل فيه سي عسى، فإن لم تف أموالهم فاسأل فيه قريشاً ولا تعدهم»^(١) إلى غيرهم» وكان عبد الرحمن من عوف حاضراً، فأشار عليه مقترحاً أن يستقرضها من بيت المال حتى تؤدي، فلم يفعل عمر، ودعا لاسه عبد الله فقال اصمنها فضمها، وهي بوعده فلم يدهن أبوه حتى شهد بها على نفسه أهل الشورى وعدة من الأنصار، وم انقضى أسبوع حتى حمر المر إلى عثمان، وأحصر الشهود على البراء بدفعه، وقد بيعت لعمر دار في هذا الدين وسميت زمناً باسم دار القضاء، لأنها بيعت في قضاء دينه.

ولأن يموت عمر مديناً موفى الدين لهو أعظم الشرفين وأيسر من ذلك شرفاً أن يموت غنياً بغير دين.

(١) أي لا محاورهم وتتركهم لسؤال غيرهم

صورة مجملّة



صحبنا عمر بن الخطاب في حالات كثيرة تختلف فيها صور الرجال.

صحبناه في جاهليته وإسلامه وفي سره وعلائته وفي بيته وحكومته وفي دينه وثقافته، وفي اتصاله بالله واتصاله بالذس، فبدأ الصورة المحمّية من جميع هذه الصور المختلفة صورة رجل عظيم من معدن لعبقريّة والامتدّاز بين الناس على اختلاف العصور، وإدراكاً هو صاحب مذق وأخلاق من نبل لصفات الإنسانيّة، توقّعت فيه على قوّة بارزة وتلاقّت فيه إلى غاية واحدة وهي إحقاق الحق وإدحاض الساطر، ووسمته حميفاً بسمة الحنديّة المهاددة التي تحمي الحدود للذس وتحميها من الناس، وهو هو في طبيعة من يحمي وفي طبيعة من يحتمي على السواء.

ورسخت في طويته حليفة المساواة في العدل حتى أصبحت كالوطيفه العصويّة التي لا تنفص منه، وحتى أصبح يتجرّد من نفسه أو يجرّد منها شخصاً آخر غريباً عنه لا فرق بينه وبين أحد في حدود الله وحرماته، وتمكّن هذه الحلقة منه حتى جرّث على لسانه عمداً وغير عامد، فكان يتكلّم عن نفسه كما يتكلّم عن غريب. سمع يخبر عمر بن الخطاب ويحكى بن الخطاب ما يقول عمر وهذا فلان بن عمر وليس بفلان ولدي إلى أشباه هذه لتجريدات التي تسعت فيه من خبيقة اسسوية بين جميع الذس، وبينهم وبين نفسه قس جميع الناس

وكانت فيه خشونة لأقوياء، لصرخاء، ولكم كما قل عرقوه من الصحابة «بطنه خير من ظاهره» أو كما قال فيه الصديق من كلام فحواه أن منعصه هم المبعوضون لبحير.

وكان له محبوبون من كرام الناس لا يعدلون بحبه حب أحد من أمثاله، فكان عبيد الله بن مسعود يقول «لو علم عمر كان يحب كلّاً لأحبسه، وإنه إني لأحسب العضاه^(١) قد وجدت لفقد عمر».

(١) جمع عضاهة وهو شجر كبير له شوك، ووجبت أي حرمت عليه

و لعالب هي أمثار عمر من أصحاب الطباع لقويه المهية ان بحجب عنهم
الهيبة لغة العرباء الذين لا يختلطون بهم في السر و لعالية، بل نحجب عنهم
ألفة الأقربين في كثير من الأحيان، لأنهم من تفردهم بالصراحة والحق في عرله
دائمة بين الصق الناس بهم وأقربهم إليهم

أعارك أنس المجد من كل وحشة فإن في هذا الاسم غريب

ولكنهم لا يكرهون إلا عن حصاً أو حسد لثيم. وكان عمر على تخصيص
ممن لا يشيرون شعور لكرامية في قلب إسس، لأنه كن على عظم «شخصيته»
مبيراً من العنصر الشخصي في معاملة الأصدف، و لحصوم وإنما بنحم
العداء الشديد من الإحساس بهذا «العنصر الشخصي» ومقبلته بمثله مقاسة
انصدام وانتقام.

ولذين كانوا يدوقون إصاف عمر كانوا يستمرئون ويحبونه، ولذين كانوا
يدوقون عقبه كانوا لا يشعرون بعمر بن الخطاب معاقب لهم صراً لا عنهم،
و نم يشعرون بميزان الشريعة منصوباً على رؤسهم، ويتسبون فيه وعمر
رئاء عمر، لو وحب لعقاب فلا موضع لها للضعيفة ولا لاصطدام لنفس
بالنفس وحتدام الحزارة بالحزارة.

ولهذه الخصة ذكره بلحب والإعجاب من استلوا معدله أشد انلاء، وانطدعت
نفوسهم على الدهاء أو المهجاء.

فعمرو بن العاص ومعاوية كان بشأن عليه وشدة استلب في حياته بصربات
عدله وهيبته، والخطيئة أهدى الشعراء و يخلهم بالثناء كان رفاقه يذكرونه اسم
عمر بعد موته فيرنعب ثم يهدأ فيقول برحم الله ذلك المرء، ويثنى عليه

وقد قر عمرو بن العاص إذ رأى عمر سكي لاستعطاف الخطيئة إياه في سجنه
ما ظلت الخصرء ولا أفنت العيراء أعدل من رجن يبكي على بركة الخطيئة

وقد شاء لقدر أن يموت عمر قتلاً فلا يكون قتله دليلاً على بغضاء
«شخصية» أو خسة ترتبط بحياته العربية، وإنما البغضاء «الوطنية» هي عنة
التامر على قتله بين العلويين في ميدان اقتال على التحقيق، وهكذا كل بغضاء
مقيت بعد موته مقرونة بذكره فإنما هي في أصلها «بغضاء وصبة» كمنه ورء
الدعوى الطائفية والحداثات المذهبية، وإن تطولت الأيام

فمعلوم أن عمر مات بطعنات من حمجر قيروز «أبي لؤلؤة» من سبأ الفرس بالمدينة. وأن قيروز هذا جاء عمر قبل مقتله بأيام فشك إليه مولاة البعيرة بن شعبة لأنه فرص عليه خراجاً درهمين في كل يوم، فسأله عمر عن صداعه فأنشأه أنه «بجار نقاش حد» . فلم يستكثر عمر هذا الحراج عسى من يصنع هذه الأعمال، وقال له قد بلغني أنك تقول: «لو أردت أن عمل رحي نطحن بالريح فعلت» وطلب إليه أن يصنع رحي على هذه الصفة، فقال له لن سمت لأعمل لك رحي يتحدث بها من بالشرق والغرب . ثم انصرف وهو يقول: «وسع لباس عدله عيري» . فقل عمر لسامعيه لقد بوعدني العبد أنفاً ولم يو خذه بهذا الوعيد بر كس من بيته أن تلقى بغيرة ليحفف عن مولاة

هذا هو السبب لظهور لدى لا يستتر ما وراءه، لأن أبا لؤلؤة لم يكر إلا مفعلاً للكيد الذي تفق عليه كثيرون، وقد روى عبد الرحمن بن أبي بكر أنه رأى هذا الرجل مع الهرمران وحفنة قتل مقتل عمر جالسين يتحدثون فلم حاجاهم قموا وقوف فسقط بينهم خنجر له رأس نصابه في وسطه، وهو الحنجر الذي حمه فيروز لقتل عمر وقتل نفسه به أخذ بفعلته.

والهرمران أمير رالت عنه الإمارة بعد ذهب لدولة الحوسية، وجفينة من أهل الأسار وهم على ولاء لفرس، وأبو لؤلؤة فبرسي شديد الحقد على المسلمين، لم يسر أسره ولم يرل كلما حىء إلى المدينة بأسرى من وقعت فارس مسج رعوسهم وتنوع المسلمين جمعين.

وقد كان شاركهم في هذه المؤامرة يهودى محبوب تطهر بالإسلام وهو المسمى بكعب لأحبار. ولعله أراد أن يكسب سمعة العلم بالأسرار من علمه بالأمم مرة، فذهب إلى عمر قبل ثلاثة أيام من مقتله ينذره أن يخنار ولى عهده لأنه ميت في ثلاثة أيام. فسأله عمر وما بدريث قال أجده في كنب لله ،لتوراة قم تحر هذه الدعوى عى عمر وعدر سبأله «له» إنك لنجد عمر بن الخطاب فى التوراة» فشئفق لرحل أن يكشف دحله وقال بل أحد صفتك وحليتك وأنه قد فسى أحلك. ثم كرر له انذر مرتين فى اليومين التالسين

فعمر إنما ذهب رحمه الله - شهيد مؤامرة من أعداء الدولة الإسلامية لاشت فيها، وب كانت قصة الحراج إلا لستدر الذى يحوارى به المتآمرون

بالمدينة والبلاد الأخرى مخافة القصاص الذي يحق بهم إذا جهروا بما دبروه أو جهروا بالعلة التي من أجلها تربصوا بذلك التدبير.

إن مقتل عمر أحرى أن يعد جزءاً من أكبر أجزاء سيرته ولا يحسب نهاية تختم تلك السيرة دون أن تضيف إليها.

فقد تمثلت في مقتله مزاياه الكبار التي تمثلت في جلال أعماله وعظائم مساعيه وخصاله، فكان عمر الصريع قدوة في الشجاعة وتقديم الواجب والإيثار على النفس ومحاسبة الضمير وسداد التدبير، كما كان عمر في أصح ساعاته وأسلمها للعمل والتفكير.

وكان - رضى الله عنه - ينظر إلى الحياة كأنها رسالة تؤدي ما استطيع أدائها ثم لا معنى إذا فرغ من رسالتها أو حيل بينه وبين أدائها، فبعد الحجة التي مات على أثرها أناخ بالأبطح ثم كوم كومة من البطحاء ألقى عليها طرف رداءه واستلقى عليها ورفع يديه إلى السماء، ودعا الله: «اللهم كبرت سنن وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط، اللهم ارزقني الشهادة في سبيلك، واجعل موتى في بلد رسولك».

ومضت أسابيع فخرج يوماً قبيل الفجر يوقظ الناس ثم يسوى الصفوف للصلاة، فلم يؤم الناس حتى فاجأه القاتل بطعنيتين إحداهما في كتفه والأخرى في خاصرته، وقيل ثلاث طعنات إحداهن تحت السرة وقد خرقت الصفاقين^(١) قضى بها نحيه رحمه الله، وقيل بل ست طعنات منها تلك الطعنة القاتلة.

فلم تشغله هذه الطعنات المفاجئات عن الصلاة، ولم يفكر أن يشغل المسلمين بمقتله عن أداء فريضتهم في موعدها، وسأل عن عبد الرحمن بن عوف ليصلي بالناس.

ثم جعل يغمى عليه ولا ينتبه إذا دعوه، حتى قال بعض عارفيه: إنكم لن تفرعوه بشيء مثل الصلاة إن كانت به حياة.. فنودي: الصلاة... الصلاة! فلما سمع النداء فتح عينيه وفاء بكلمات متقطعات: «الصلاة! ها.. الله.. إذن» ثم قال: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

ولم يهمه من قتله بعد أن حمل إلى منزله إلا أن يعرف المظلمة كان قتله أم لبسفى من القاتل؟ فلما علم أنه أبو لؤلؤة قال: ولم قاتله الله وقد أمرت به

(١) صفاق البطن وهو الجلد الباطن عند سراد البطن.

معرفاً؟! ثم حمد الله قائلاً: «الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند الله بسجدة سجدها له قط، ما كانت العرب لتقتلني».

وهمه بعد ذلك أن يلقي حسابه عند الناس وهو وشيك أن يلقي حسابه عند الله. فأمر ابن عباس أن يخرج إلى المهاجرين والأنصار يسألهم: أعن ملاً منكم ومشورة كان هذا الذي أصابني؟ فصاحوا معلّنين: «لا والله، ولوددنا أن الله زاد في عمره من أعمارنا».

واشتد الجلاء كان الناس لم يصابوا بمصيبة قبلها، فنهاهم أن يبكوا عليه، ثم سقوه نقيع التمر فخرج من الجرح أحمر كما هو قلم يعرفوا أدم هو أم النقيع خرج بلونه، فسقوه اللبن فخرج أبيض يشوبه صديد، فأشار عليه الطبيب أن يعهد فقال:

«لو قلت غير هذا لكذبتك».

وكان قد أنكر على الناس أن يجيئوه بالطبيب قبل أن يفرغ من وصاياه. ويحكم أيها الناس، أنظر في أمر نفسي قبل أن أنظر في أمور المسلمين؟.. فلما قال الطبيب مقالته أخذ في تدبير المهم من شئون الدولة وأولها الخلافة، فجعلها شوري ليستقر بها القرار ما استطاع إقراره، ونجا بأهله منها وهو يقول: «.. أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً^(١) لا وزر ولا أجر إني لسعيد».

وهو في هذا كله لا يخالف دينه من صراحة ولا يكتم طبيعة أهل الفناء من حب الحياة، ولا يخفي «إن للحياة لنصيباً من القلب وإن للموت لكربة» ولكنها لم تمنعه قط أن يعطي الحق حيث وجب للموت أو للحياة.

فلما فرغ من شئون الدولة نظر في أمر دينه فنبأ أن يدفن قبل أن يضمن سدادته، وأقبل يطمئن إلى مضجعه في جوار صاحبيه وقد فرغ من حقوق الدنيا.. فدعا بابنه عبد الله ينطلق إلى عائشة أم المؤمنين ويقرئها منه السلام.. ونهاه أن يسميه عندها أمير المؤمنين لأنه ليس اليوم للمؤمنين أميراً.. ثم يستأذنها أن يدفن إلى جوار صاحبيه - يعني النبي عليه السلام وخليفته الصديق.

(١) أي لا لي ولا علي.

بوجودها عبد الله تبكي فسلم عليها واستأذنها فأذنت وقالت:

كنت أريده لنفسى، ولأثرته به اليوم على نفسى!

فلم يكفه هذا حتى يستوثق كل الاستيثاق من رضاها، فعاد يخاطب ابنه: «يا عبد الله بن عمر! انظر، فإذا أنا قبضت فأحملوني على سريري ثم قف على الباب، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلنى، وإن ردتنى فردنى إلى مقابر المسلمين، فإنى أخشى أن يكون إذننا لى لمكان السلطان».

وقال شهود دفنه: «فلما حمل فكأن المسلمين لم تصبهم مصيبة إلا يومئذٍ.. وفارق الدنيا أعدل العادلين وهو مظلوم أو متهم بظلم، فما دلها شئ على عظم فضله ولا عظم الحاجة إلى العدل فيها كما دلها هذا الختام.

الفهرس

الصفحة

٣	تقديم
٦	١ - عبقرى
١٣	٢ - رجل ممتاز
٢٠	٣ - صفاته
٥١	٤ - مفتاح شخصيته
٦٥	٥ - إسلامه
٨٧	٦ - عمر والدولة الإسلامية
١١٢	٧ - عمر والحكومة العصرية
١٢٣	٨ - عمر والنبي
١٤٦	٩ - عمر والصحابة
١٦٧	١٠ - ثقافة عمر
١٨٨	١١ - عمر فى بيته
٢٠٤	١٢ - صورة مجملة